
تأليف: أ. أ. نيهاردت
الآلهة والأبطال
في اليونان القديمة
ـمـة:
مادي



الآلهة والأبطال
في اليونان القديمة

* الآلهة والأبطال في اليونان القديمة
* تأليف: أ. أ. نيهاردت ـ ترجمة: د. هاشم حمادي
* الطبعة الأولى ـ ٥ / ١٩٩٤

* الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ هاتف : ٣٣٢٠٢٩٩ ـ ص.ب ٩٥٠٣ ـ تلكس: ٤١٢٤١٦
فاكس : ٣٣٣٥٤٢٧
* التوزيع :
قسم التوزيع ـ الأهالي للنشر والتوزيع
دمشق ـ هاتف: ٢٢١٣٩٦٢ ـ ص.ب: ٩٢٢٣ ـ تلكس: ٤١٢٤١٦

تصميم الغلاف: عوض عمايري

تأليف: أ. أ. نيهاردت

الآلهة والأبطال

في اليونان القديمة

ترجمة: د. هاشم حمادي

مقدمـــة

لاشـك أن هذا الكتـاب ضروري لكـل من يهتم بتـاريـخ الثقـافة والأدب والفن . فمنـذ عصـر النهضـة والكتـاب والـرسـامـون والنحاتون ينهلون من معين الميثـولـوجيا اليونانية والرومانية ، ويستقون منها المواضيع لتجسيد إبداعهم . . . إن مايشـد الشعـراء والرسامين والنحاتين إلى الميثالوجيا اليونانية والرومانية ليس فقط عمق وفنيـة الشخصيـات الأسطورية فيها ، بل ويعود إلى أن الأسطورة الاغريقية جاءت كمحـاولـة لتفسـير ظهـور الحيـاة على الأرض ، وللكشف عن أسبـاب الكـوارث والظـواهـر الطبيعيـة ، التي وجـد الانسـان القديم نفسه عاجزاً أمامها ، ولتحديد مكان الانسان في العالم المحيط به .

كان خلق الأسطورة أول خطوة خطاها الانسان في طريق الابداع واكتشاف نفسـه ، وبـالتـدريـج تكـونت من الحكـايـات المختلفة ، التي ولدت على الأرض الاغريقية ، ملاحـم كـاملة عن مصـير الأبطـال والآلهـة التي تحميهم . كل هذه الأساطير والأناشيد والأشعار ، التي كان ينشدها ويرويها المغنون الجوالون ، تحولت إلى ملاحـم («الأليـاذة» ، «الاوذيسـة») ، وظهـر الشعـراء المسـرحيـون القـدمـاء (اسخيلوس ، سوفوكليس ، يوريبيدس) الذين بنوا تراجيدياتهم على مواد مستقاة من الحكايات القديمة عن الآلهة والأبطال .

كان اليونانيون القدماء شعباً نشيطاً يتوق إلى المعرفة، ويتطلع إلى معرفة العالم الحقيقي، الذي تسكنه كائنات معادية للانسان، وتبث فيه الخوف. لكن التعطش اللامحدود لاكتشاف هذا العالم تغلب على الخوف من الخطر المجهول. إن مغامرات أوديس، ورحلة الأرغونيين في طلب الجزة الذهبية تجسيدٌ صِيْغ في قالب ملحمي لتطلعات الانسان نحو معرفة أكبر قدر ممكن عن الأرض التي يعيش عليها. وكبقية الشعوب القديمة مر اليونانيون في البحث عن ملاذ من قوى الطبيعة الغاشمة عبر الفيتيشية (الايمان بأن الطبيعة كائن حي كالأحجار والأشجار والمعادن)، التي استمرت لاحقاً في عبادة التماثيل الرائعة، التي تمثل آلهتهم الكثيرة. ويمكن أن نلاحظ في معتقداتهم وأساطيرهم آثار الايمان بوجود الجن ومختلف أشكال التطير البدائية. لكن الاغريق انتقلوا بسرعة كبيرة إلى أنسنة آلهتهم، أي تصويرها على شكل بشري مع إعطائها الصفات الثابتة: الجمال والقدرة على الظهور بأي مظهر، والخلود، وهذه هي الصفات الأهم. كانت آلهة اليونان القديمة تشبه الناس في جوانب كثيرة، فهي طيبة، رؤوفة، ورحيمة، لكنها غالباً ماتكون قاسية، ظالمة، منتقمة ومخادعة. إن حياة البشر تنتهي بالموت حتماً، أما الآلهة فكانت خالدة، ولم تكن تعرف الحدود في تنفيذ رغباتها، ومع هذا فقد كان ثمة ماهو فوق الآلهة، إنه القدر «المويرات»، الذي لم يكن رادلقضائه، ولم يكن ثمة بين الآلهة من يقف في وجهه. فهذا زوس في «الياذة» هوميروس غير قادر على وضع نهاية للمبارزة بين البطلين هكتور وآخيل. إنه يسأل القدر، ويلقي القرعة بين البطلين في كفتي الميزان الذهبي، وتتحرك كفة موت هكتور نحو الأسفل، ويجد زوس، بكل قوته الإلهية، نفسه عاجزاً عن مد يد العون لمحبوبه. إن هكتور الباسل يموت بطعنة من رمح آخيل، رغماً عن إرادة زوس، وتمشياً مع إرادة القدر. وهذا مانستطيع أن نراه لدى الشاعر الروماني فرجيل في تصوير المبارزة بين البطل الطروادي إينياس والقائد الايطالي تورنوس،

حيث يقوم جوبيتر، كبير آلهة الرومان، بإلقاء القرعة في الميزان، فتسقط كفة تورنوس، وبضربة هائلة من سيفه يجندل إينياس خصمه.

إن آلهة وأبطال الملاحم اليونانية كائنات حية مفعمة بالنشاط، ولاتتورع عن الاحتكاك المباشر مع البشر الفانين، وحبهم، ومساعدتهم... إنها كائنات طيبة، نبيلة، ولكنها في الوقت نفسه لاترحم الأعداء. إن حياة الآلهة والأبطال ملأى بالمآثر بالانتصارات والمعاناة. فهذه أفروديت تتعذب بسبب ضياع حبيبها أدونيس، وهذه ديمترا تقاسي الأمرين بعد أن اختطف هادس الكئيب ابنتها المحبوبة برسفونة، وهذا بروميثيوس يشرب كأس العذاب حتى الثمالة، وهو مكبل بالقيود إلى الصخرة، تحت رحمة نسر زوس، لقد عاقبه زوس لأنه سرق النار الإلهية للبشر من على الأولمب. وبسبب الحسرة تتحجر نيوبة، بعد أن يموت جميع أولادها بسهام أبولون وأرتيميس، ويموت أغاممنون، بطل حرب طروادة، على يد زوجته الخائنة، حال عودته من الحملة. حتى هرقل، بطل اليونان العظيم، الذي أنقذ الناس من الكثير من المحن، وخلصهم من العديد من الكوارث، وجد نهايته التي تقشعر لهولها الأبدان. والملك أوديب يكفر عن جرائمه بسمل عينيه، ويروح يضرب مع ابنته أنتغون في أرجاء الأرض اليونانية، دون أن يجد ملاذاً. إن أبطال الملاحم اليونانية يعاقبون أنفسهم بأنفسهم على جرائم ارتكبها أسلافهم، دون أن ينتظروا عقاب الآلهة. إنه الشعور بالمسؤولية تجاه الذات والأقارب والوطن، عن سلوكهم.

وقد جاء الرومان فتبنوا الميثولوجيا الاغريقية وحولوها إلى اغريقية ـ رومانية. فأسدوا للبشرية بذلك خدمة جليلة. إذ أن أغلب أعمال النحت الاغريقية الرائعة لم تصل إلينا إلا بالنسخ الرومانية، إلا في حالات نادرة. وإذا كنا الآن قادرين على التعرف على الفن الاغريقي فإن الفضل الكبير في ذلك يعود إلى الرومان[1].

هوامش المقدمـــة

١ ـ نظراً لتعدد الصيغ التي نكتب فيها أسماء الآلهة والأبطال اليونانيين فقد حاولت توحيد هذه الأسماء قدر الامكان بالاعتماد على «معجم الأساطير اليونانية والرومانية»، الصادر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في عام ١٩٨٢، وهو من إعداد سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر.

المترجم



الآلهـــة(1)

أصـل العالـم والآلهـة

في البداية لم يكون موجوداً سوى الخواء الكوني (Chaoc) السرمدي، المظلم واللامحدود. وكان مصدر الحياة يكمن فيه. فكل شيء ظهر من الخواء الكوني اللامحدود ـ العالم كله والآلهة الخالدون. ومن الخواء الكوني جاءت آلهة الأرض، غايا (Gaia) أوجيبا (Géa) وقد امتدت واسعة جبارة، تهب الحياة لكل من يعيش وينمو عليها. وبعيداً تحت الأرض، بعد السماء المشرقة الشاسعة عنا، على عمق سحيق، ولد التارتار المتجهم (Tartare) (أعماق الجحيم) وهو هوة سحيقة، مملوءة بالظلام السرمدي، ومن الخواء الكوني ولد الحب ـ إيروس (Eros) القوة الجبارة، التي تحيي كل شيء، وأنجب الخواء الكوني الظلمة الأبدية إيريب (Erébe) والليل المظلم ـ نوكس (Nyx). ومن الليل والظلمة جاء النور الأبدي ـ الهواء أو الأثير، (Aithér) والنهار المشرق البهيج (Hemena) وقد انتشر الضوء في العالم بأسره، وراح الليل والنهار يتناوبان.

وأنجبت الأرض الجبارة المعطاء السماء (Ouranos) الزرقاء، التي لا حدود لها، وامتدت السماء فوق الأرض. وباعتزاز شمخت نحو السماء الجبال العالية،

التي انجبتهـا الأرض، وانبسـط البحـر الصـاخب أبـداً، واسعاً شاسعاً. وسادت السماء العالم، وتزوجت من الأرض المعطاء، فأنجبا ستة أولاد وست بنات ـ جبابرة أقـويـاء. وقد أنجب ابنهما، الجبار أوقيانوس (Océan)، الذي يُزَنِّرُ الأرض كلها، والآلهة تيثيس (Tethys)، أنجبا كل الأنهار، التي تدحرج أمواجها نحو البحر، كما أنجبـا الآلهـة البحـريـة الأوقيـانـوسيـات (Les Océanides). أما المارد هيبر يون (Hyperion) وثييـا (Theia) فقـد أنجبـا هيليـوس (Helios)، إله الشمس، وسيلينة (Selene) إلهـة القمـر، وإيـوس (Eos) أورورا (Aurore) الوردية، إلهة الفجر. وأما أستر ايوس (Astraeos) وإيوس فأنجبا النجوم، التي تتلألأ في سماء الليل المظلمة، والـريـاح وهي بوريـاس ريـاح الشمال العاصفة، وايروس الريح الشرقية ونوتوس الريح الجنوبية الرطبة وزيفير الريح الغربية الحنونة، التي تسوق السحب المحملة بالأمطار.

وبـالاضـافـة إلى المـردة فقـد أنجبت الأرض الجبـارة ثلاثـة عمالقـة ـ السيكلوبات، ذات العين الواحدة، وثلاثة عمالقة بحجم هائل كما الجبال، لكل منهم خمسـون رأسـاً، وقد عرفوا باسم هيكاتونشير لأن لكل منهم مئة يد. ولم يكن بمقدور أي شيء أن يقف في وجه قوتهم الهائلة، التي لاحدود لها.

كان أورانـوس يكن الكـراهيـة والبغض لأبنـائـه العـمالقـة في جوف الإلهة الأرض، فسجنهم في الظلمـة الظلماء، ولم يسمـح لهم بالخـروج إلى الـدنيـا. مما سبب المعـانـاة لأمهم الأرض التي كانت مثقلة بالعبء الفظيـع، المحبـوس في جوفهـا. وقـد استـدعت أولادها المردة، وراحت تحرضهم على التمرد على أبيهم أورانوس، لكنهم كانوا يخافون من مس أبيهم بسوء، وحده كرونوس[٢] (Cronos)، الماكر، خلع أباه بدهائه، وسلبه السلطة.

وعقـابـاً لكـرونـوس أنجبت إلهة الليل لفيفاً من الآلهة الفظيعين: ثاناتوس الموت، إيريدا ـ الشقاق، أباتا ـ الخداع، كير ـ التدمير، هيبنوسْ ـ النوم، الذي

تتخلله الكوابيس المرعبة، ونيميسيدا ـ الانتقام للجريمة، والكثير من الآلهة الأخـرى[٣]. وقـد جلب هؤلاء الآلهـة الهـول والشقاق والخداع والصراع والبؤس إلى العالم، حيث تربع كرونوس على عرش والده.

زوس[٤]

ولادة زوس:

لم يكن كرونوس واثقاً أن السلطة ستبقى في يديه إلى الأبد. فكان يخاف أن يتمـرد عليـه هو أيضـاً أبنـاؤه فيفعلوا به مافعـل بوالـده أورانـوس. ولذا فقد أوعز لزوجته ريبيا (Rhéa) بأن تحضر له ماتلده من أولاد، وراح يبتلعهم دون رحمة. وقد هال ريبيا أن ترى مصير أطفالها، فقد ابتلع كرونوس خمسة منهم: هستيا[٥]، ديميترا[٦]، هيرا[٧]، هادس[٨]، وبوزيدون[٩]. ولم تكن ريبيا ترغب في فقدان ولدها الأخـير، فرحلت بنـاء على نصيحـة والـديها السماء (أورانوس) والأرض (غايا)، إلى جزيرة كريت، وهناك في المغارة العميقة أنجبت زوس. وفي هذه المغارة أخفته عن أبيه الظالم، وقدمت لكرونوس حجراً طويلاً ملفوفاً بالأقمطة، فابتلعه ظناً منه أنه ابنه.

وفي هذه الأثناء كان زوس ينمو ويترعرع في كريت. كانت الحوريتان إيدا وأدراستيـا تسهـران على زوس الصغـير. وقـد أرضعتـاه من حليب العنزة الإلهية أمالتيه. وكان النحل يجلب العسل لزوس من سفوح جبل ديكتا العالي. وفي كل مرة كان يبكي فيهـا زوس الصغـير كان الكـوريت[١٠] الشبـاب، الـذين يحرسون المغارة، يقرعون التروس بالسيوف، كي لايسمع بكاءه كرونوس، فيصيب زوس ماأصاب أخوته وأخواته.

زوس يلتـقي كرونـوس، صراع آلهـة الأولمب مع المـردة: شب زوس،

وأصبح رجلاً، وقد تمرد على أبيه، وأجبره أن يعيد ماابتلع من أولاده. وراح كرونوس يخرج أولاده الآلهة من فمه، الواحد تلو الآخر. وبدأوا الحرب ضد كرونوس والمردة من أجل السيطرة على العالم.

كان هذا الصراع فظيعاً وعنيداً. وقد ثبت أبناء كرونوس أقدامهم على الأولمب العالي. وانضم إلى جانبهم بعض المردة، وفي طليعتهم المارد أوقيانوس وابنته ستيكس مع أولادها زيلوس (الحماسة) ونيكة (النصر) وبيا (القوة). كان هذا الصراع خطيراً بالنسبة لآلهة الأولمب. فقد كان خصومهم أقوياء ورهيبين، لكن السيكلوبات جاءت لنجدة زوس. وقد صنعت له الرعود والبروق، التي رمى بها زوس المردة. استمر الصراع عشر سنوات، لكن لم ترجح لا كفة هؤلاء، ولا كفة أولئك. أخيراً حزم زوس أمره، وأطلق من جوف الأرض الهيكاتوشير العمالقة، ذوي الأيدي المئة، واستنجد بهم. وقد خرجوا بحجومهم الهائلة، كما الجبال، من جوف الأرض، وانخرطوا في المعركة. كانوا ينتزعون الصخور الهائلة من السلاسل الجبلية، ويقذفون بها المردة. كانت الصخور تسقط بالمئات للقاء المردة، وهم يقتربون من الأولمب. كانت الأرض تئن، وكان الهدير يملأ الجو، وكان كل شيء يهتز من حولك. حتى التارتار (الجحيم) اهتز من هذا الصراع. راح زوس يقذف الصواعق النارية، الواحدة تلو الأخرى والرعود، ذات الهزيم الذي يصم الآذان. وعمت ألسنة اللهب الأرض كلها، وراحت البحار تغلي، وغلف الدخان والنتانة كل شيء بغشاوة كثيفة.

أخيراً تقهقر المردة، وغلبوا على أمرهم، واندحروا، وقد قيدهم الأولمبيون، والقوا بهم في التارتار الأسود، في الظلمة السرمدية، ولدى بوابة التارتار النحاسية، التي لاسبيل إلى تدميرها، يقف الهيكاتونشير ذوو الأيدي المئة، لكي لايجد المردة الجبابرة سبيلاً إلى الخروج من التارتار.

صراع زوس وتيفون Typhon :

لكن الصــراع لم ينتــه بذلــك . فقــد غضبت الأرض ـ غايــا ـ على زوس الأولبي لقسـوتـه في معاملة أبنائها المردة المندحرين . فتزوجت من التارتار الأسود، وأنجبت التيفون ـ وهو مخلوق مرعب له مئة رأس . نهض تيفون من جوف الأرض هائـل الحجم ، برؤ وسـه التنينيـة المئـة . وقد مزق الجو بزعيقه الوحشي ، كان نباح الكـلاب ، وأصـوات البشـر ، وخـوار الثـور الهـائج ، وزئير الأسد ، يسمع في هذا الزعيق . كان اللهب العاصف يتصاعد من حول تيفون ، وكانت الأرض تميد تحت خطواته الثقيلة . وارتعدت الآلهة فرقا . لكن زوس قاذف الصواعق ـ انقض عليه بجـرأة ، وبـدأت المعـركـة . ومن جديـد ومض البرق في يدي زوس ، وتردد هزيم الرعد ، واهتزت الأرض وقبة السماء من أساسها . واندلعت ألسنة اللهب الساطع على الأرض ، كما حصـل أثنـاء الصـراع مع المـردة ، وراحت البحار تغلي من مجرد اقـتراب تيفـون . وراحت سهـام زوس ، قاذف الصـواعق تتساقط بالمئات . وكان يبـدو وكأن الجـو نفسـه يشتعل من نيرانها . أحرق زوس رؤ وس تيفون المئة كلها . فسقـــط على الأرض ، وانطلق من جسمـــه وهـج هائـل ، حتى أن كل ماحـولـه انصهـر . رفـع زوس جثـة تيفون ، وقذف بها في التاتار المظلم ، الذي أنجبه . لكن تيفون لايزال ، حتى في التارتار ، يشكل خطراً على الآلهة ، وعلى كل ماهو حي ، فهو يثير العواصف ، ويوقظ البراكين ، ومن زواجه من إيشيدنا (Echidna) . وهي نصف امــرأة ، ونصف أفعى ، رزق بالكلب أورثـــروس (Orthros) [11] ، والكلب الجهنمي كير بير (سير بير) ووحش بحيرة لير ن وشيمير (Chimére) [12] .

انتصــر آلهــة الأولب على أعـــدائهم ، ولم يعـد بوسـع أحـد أن يتصـدى لسلطـانهم ، وأصبـح بوسعهم الآن أن يحكمـوا العـالم ، وهم مطمئنـون . وكـانت السماء من نصيب زوس ، قاذف الصواعق ، وهو أشدهم قوة ، أما البحر فكان من نصيب بوزيـدون ، وكـان العـالم السفـلي ، مملكة أرواح الموت ، من نصيب هادس

(Hadés) ، بينما بقيت الأرض ملكاً مشتركاً. وعلى الرغم من أن أولاد كرونوس تقاسموا فيما بينهم السيطرة على العالم، إلا أن زوس، حاكم السماء، هو الذي يسود الجميع. فهو يحكم البشر والآلهة، وهو الذي يدير شؤون كل مافي العالم.

الأولمب :

عالياً فوق الأولمب المشرق يتربع زوس، يحيط به لفيف من الآلهة. وهنا أيضاً زوجته هيرا وأبولون، ذوالشعر الذهبي، وشقيقته أرتيميس، وأفروديت الذهبية، وأثينيا القوية، ابنة زوس وكثير ون غيرهم من الآلهة.

وتقوم على حراسة مدخل الأولمب العالي الهورات (Les Heures) الثلاث الحسناوات، اللواتي يرفعن الغيمة الكثيفة، التي تسد البوابة حين تهبط الآلهة إلى الأرض، أوترتفع إلى قصورزوس العالية. وعالياً، فوق الأولمب، تمتد السماء الزرقاء السحيقة، ومنها يتدفق الضوء الذهبي. وفي مملكة زوس لايوجد مطر ولاثلج، ولاتعرف إلا الصيف المشرق البهيج. ومن تحتها الغيوم، التي غالباً ماتحجب الأرض البعيدة. وهناك على الأرض يحل الخريف والشتاء محل الربيع والصيف، ويحل البؤس والحزن محل السعادة والفرح. صحيح أن الآلهة بدورها تعرف الأحزان، لكن أحزانها سرعان ماتزول، وتعم البهجة الأولمب من جديد.

وتحيي الآلهة المآدب في قصورها الذهبية، التي بناها هيبايستوس، ابن زوس. وعلى عرشه الذهبي الرفيع يتربع الملك زوس، الذي نضح وجهه الرائع والشجاع بالعظمة وبالوعي الهادىء، والفخور بالسلطة والجبروت وعند عرشه نرى إيرينه (Trenée) ربة السلم، ونيكه (Nike) ربة النصر المجنحة، رفيقة زوس ابداً. هاهي ذي الربة العظيمة هيرا، زوجة زوس، تدخل، إن زوس يحترم زوجته. وكل آلهة الأولمب تكن الاحترام لهيرا، حامية الزواج. حين تدخل هيرا،

في ثوبها الفاخر، بجمالها الباهر، يقف جميع الأرباب، وينحنون لها وهي تسير نحو العرش الذهبي، وتجلس بجوار زوس. وقرب عرش هيرا تقف رسولتها، إيليثيا (Ilithie) المجنحة، ربة قوس قزح، والجاهزة أبداً للانطلاق فوراً، على أجنحة قوس قزح، إلى أقصى المعمورة، لتنفيذ أوامر سيدتها.

الآلهة يحتفلون. وتقوم ابنة زوس هيبية (Hébé) وغانيميد (Ganiméde) ابن ملك طروادة، الذي أحبه زوس، ووهبه الخلود، يقومان بتقديم الأمبر وزيا والرحيق ـ طعام وشراب الآلهة[١٣]. وتقوم الجذابات[١٤] وربات الشعر والموسيقى بالغناء والرقص لهم. حيث يأخذن بأيدي بعضهن على شكل حلقة، بينما تتمتع الآلهة برؤية حركاتهن الرشيقة وجمالهن الأخاذ، الفتي أبداً. وفي هذه المآدب تحل الآلهة كل الأمور، وفيها تحدد مصير العالم والبشر.

ومن الأولمب يرسل زوس إلى الناس عطاءاته ويرسخ النظام والقوانين على الأرض. فمصير الناس بين يدي زوس: السعادة والبؤس، الخير والشر، الحياة والموت. وعند بوابة قصر زوس يقوم وعاءان كبيران. في الوعاء الأول عطايا الخير، وفي الآخر عطايا الشر. ومن الوعائين يغرف زوس الخير والشر، ويرسلهما للناس. والويل كل الويل لذلك الإنسان، الذي لايغرف له نافث الصواعق إلا من وعاء الشر. كما إن الويل كل الويل لمن يخل بالنظام، الذي سنه زوس على الأرض، ولايتقيد بقوانينه. حيث يقطب ابن كرونوس حاجبيه الكثيفين برهبة، فتحجب السحب السوداء السماء. يستبد الغضب بزوس العظيم فيرتفع الشعر على رأسه بشكل فظيع، وتقدح عيناه شرراً لايطاق. ويلوح بيده اليمنى، فيتردد هزيم الرعد عبر السماء كلها، ويومض البرق الساطع، ويميد الأولمب العالي.

ولدى عرش زوس تقف الربة ثيميس (Themis) حامية القوانين. وبإيعاز من نافث الرعد تدعو إلى اجتماع الآلهة على الأولمب، والاجتماعات الشعبية على الأرض، وتسهر على أن لاينتهك القانون والنظام. وعلى الأولمب توجد أيضاً

الربة ديكه، ابنة زوس، والتي تسهر على العدالة في الحكم. وينزل زوس أشد العقاب بالقضاة غير العادلين، حين تبلغه ديكه بأنهم لايراعون القوانين، التي سنتها، والربة ديكه هي حامية الحقيقة وعدوة الخداع.

وعلى الرغم من أن زوس يرسل للناس السعادة والبؤس، فإن من يحدد مصير الناس هن ربات القدر، الذي لايرد والمعروفات باسم المويرات (Moire) [١٥]، واللواتي يعشن على الأولمب. حتى أن مصير زوس نفسه في أيديهن. إن القدر يسيطر على البشر والآلهة. ولاتوجد قوة قادرة على تغيير أي شيء، مما هو مقدر للبشر والآلهة. بعض المويرات ينفذن أوامر القدر. فالمويرا كلوتو تغزل خيط حياة الانسان، محددة طول حياته. وإذا ماانقطع الخيط انتهت الحياة. أما المويرا لاشيزيس فتقوم بتوزيع الأقدار على الانسان في حياته خبط عشواء. وليس بمقدور أي كان تغيير المصير الذي تحدده المويرات، كما تستطيع ذلك المويرا الثالثة ـ أتروبوس. فهي تدون في ملف طويل كل ماحددته أختاها في حياة الانسان. وكل مايدون في ملف المصير هو حتمي. إن قضاء المويرات العظيمات صارم لاراد له.

وثمة على الأولمب أيضاً ربة المصير السعيد إنها الربة توشه (Tuche) [١٦]. فمن قرن الوفرة Corne d'abendance، قرن العنزة الإلهية أمالتيه (Amalthee)، والتي رضع زوس من حليبها، تغدق عطاياها على الناس. ويالسعادة ذلك الانسان، الذي يلتقي في درب حياته ربة السعادة توشه. لكن هذا نادراً مايحدث.

هكذا يتربع زوس على عرش الأولمب. يحيط به جمع من الآلهة، وهو يسهر على النظام في العالم كله.

بوزيدون (Poseidon) وآلهة البحر .

عميقـاً في لجة البحـر ينتصب قصـر رائـع ، إنه قصر بوزيدن شقيق زوس ، نافث الرعد ، وهو مثير الزلازل والبراكين على الأرض ، إنه حاكم البحار . تخضع أمـواجهـا لأدنى حركـة من يده ، المسلحـة بالحـربـة ، ذات الشعب الثلاث . وفي أعماق البحر تعيش مع بوزيدون زوجته الرائعة أمفيتريت (Amphitrite) ، ابنة شيخ البحـر العـراف نيريوس (Neres) . والتي اختطفها بوزيدون من والدها . وكان قد سبق له أن رآهـا ذات مرة تمرح مع أخـواتهـا النـيريثيـد (Nereides) على شاطىء جزيـرة ناكسـوس . وقـع إلـه البحـر في غرام أمفيتريت الحسناء ، وأراد حملها على مركبتـه ، لكن أمفيـتريت أختبأت لدى أطلس (Atlas) الجبـار ، الـذي يحمـل قبة السماء على كتفيـه القويتين . مرت فترة طويلة وبوزيدون يبحث عن ابنة نيريوس الحسنـاء عبثـاً . وأخـيراً كشف له عن مخبئهـا الدلفين ، وتقديراً لهذه الخدمة وضع بوزيـدون الـدلفين في عداد الأبراج . اختطف بوزيدون ابنة نيريوس الحسناء من عند أطلس وتزوجها .

ومنـذ ذلـك الحـين وأمفيتريت تعيش مع زوجها بوزيدون في أعماق البحر . وعـاليـاً فوق قصـرهما تصطخب الأمـواج . وتحيـط ببـوزيـدون مجموعة من الآلهة البحـريـة ، الخـاضعـة لإرادتـه . ومن بينهم ابنـة تيرتـون (Triton) ، الـذي يثـير العـواصف حين ينفـخ في بوقه ، المصنـوع من القـوقعـة البحـرية . ويتردد صوت كهـزيم الـرعـد . وبـين الآلهـة أيضاً أخوات أمفيتريت الحسناوات نيريثيد . حين ينطلق بوزيدون في مركبته ، تجرها الخيول الرائعة ، يمخر عباب اليم ، فإن الأمواج المصطخبـة أبـداً تفتـح الطريق أمام سيدها . وبوزيدون الذي يجاري زوس نفسه جمالاً ، ينطلق بسـرعـة عبر البحـر الـرحب ، ومن حولـه تمرح الـدلافـين ، وتخرج

الأسماك من أعماق البحر، وترافق مركبته. وحين يلوح بوزيدون بحربته الرهيبة، المثلثة الرؤوس ترتفع أمواج البحر عالية كما الجبال الراسيات، تغطيها ذرى الرغوة البيضاء، وتعربد العاصفة الصاخبة في البحر. وعلى الصخور الساحلية تتحطم الأمواج العاتية، فتهتز الأرض. لكن ماإن يمد بوزيدون حربته، مثلثة الرؤوس، فوق الأمواج، حتى تهدأ الأمواج، وتخف العاصفة، ويعود البحر هادئاً كالمرآة. وبالكاد يسمع نغم تراقصه عند الشاطيء ـ أزرق لا حدود له. . .

وبين الآلهة، التي تحيط ببوزيدون، الشيخ نيريس، وهو عراف البحر، الذي يعرف كل أسرار المستقبل الدفينة. والنصائح، التي يسديها هذا الشيخ العراف، نصائح حكيمة. ولديه خمسون ابنة حسناء في ميعة الصبا، يرقصن بين أمواج البحر بجمالهن الأخاذ. إنهن النيريئيد اللواتي يخرجن من لجة البحر وقد أمسكن بأيدي بعضهن، ويمسرحن على الشاطىء على أنغام أمواج البحر الهاديء، التي تلامس الشاطىء بحنان. ويردد صدى الصخور الساحلية أصوات غنائهن العذب، كما زمزمة البحر الهادئة. إن النيريئيد يحمين الملاحين ويوفقنهم في إبحارهم.

وبين آلهة البحر أيضاً نجد الشيخ بروتيوس (Protee)، الذي يقوم، كما البحر، بتغيير شكله، ويتحول ـ حسب رغبته ـ إلى مختلف أشكال الحيوانات والعفاريت، وهو بدوره إله العرافة، فقط يجب تقييده فجأة، والسيطرة عليه واجباره على الكشف عن أسرار المستقبل، وبين أتباع بوزيدون، مزلزل الأرض، يطالعنا الإله غلوكوس (Glaucos)، حامي البحارة وصيادي السمك الذي يتمتع، بدوره، بموهبة التنبؤ. وغالباً مايخرج من أعماق البحر فيكشف المستقبل للناس، ويسدي النصائح الحكيمة لهم. إن آلهة البحر واسعو القدرة، عظيمو السلطة، لكن يسودهم جميعاً بوزيدون العظيم.

إن أوقيانوس (Océan) الشائب[١٧] ـ وهو الاله الجبار، الذي عادل زوس

نفسه شهرة واحتراما ـ يحيط بالبحار والأراضي كلها. إنه يعيش بعيداً عن [illegible] العالم، ولا يشغل باله بشؤون الأرض. ولديه ثلاثة آلاف صبي ـ آلهة الأنهار ـ وثلاثة آلاف إبنة ـ الأوقيانوسيات، آلهة النهيرات والينابيع. ويهب أولاد الأوقيانوس وبناته الخير والسرور لما هو فان بفضل الماء الحي المتدفق أبداً، وبهذا الماء يروون الأرض كلها، وكل ماهو حي عليها.

مملكة هادس (Hadés) الكئيب[18] :

عميقاً تحت الأرض يحكم هادس الكئيب، الذي لايرحم، وهو أخو زوس. ومملكته مظلمة، لاتنفذ إليها أشعة الشمس الساطعة أبداً. إن هوة سحيقة تقود من سطح الأرض إلى مملكة هادس الحزينة. وفيها تجري الأنهار الكئيبة، كما يجري فيها نهر ستيكس المقدس، الذي تقسم الآلهة نفسها بمياهه.

وفيها تصطخب أمواج نهري كوتسيت وأشيرون، حيث أرواح الموتى تملأ بالأنين ضفافهما الكئيبة.

وفي العالم السفلي تتدفق مياه نهر ليثية (Lethe)، التي تهب النسيان لكل ماهو أرضي[19]. وعبر الحقول الكئيبة لمملكة هادس، المملوءة بأزهار الأسفوديل[20] الكئيبة، يندفع أشباح الموتى الخفيفون، الذين لاجسم لهم، وهم يشكون من حياتهم البائسة بدون ضوء وبدون رغبات. وبهدوء يتردد أنينهم الذي بالكاد يسمع، والشبيه بحفيف الأوراق الذابلة، تدفعها ريح الخريف. ولاعودة لأحد من مملكة الحزن هذه. فالكلب سير بير (Cerbere)، ذو الرؤوس الثلاثة، والأفاعي التي تتحرك على عنقه، وتطاق فحيحاً رهيباً، يقف على حراسة المدخل. أما شارون (Charon) العجوز القاسي، الذي ينقل أرواح الموتى فلا يعيد أبداً روح أي كان عبر مياه أشيرون المتجهمة، إلى هناك، حيث تشرق شمس الحياة الساطعة.

ويجلس هادس، حاكم هذه المملكة على عرش ذهبي مع زوجته برسفونه (Persephone) ، وتقف على خدمتـــه آلهـة الانتقـام الايـرينـات (Les Erinnyes) القـاسيـات . فكن يلاحقن المجـرمـين بالسيـاط والأفاعي ، ولا يتركنهم يرتاحون دقيقة واحـدة، فيعـذبنهم بتبكيت الضمير ، ولايمكن الاختباء منهن ، فهن يعثرن على ضحيتهن في كل مكـــان . وعلى عرش هادس يجلس قاضيـــا مملكـة المـوتى مينوس (minos) ورادامانت (Rhadamanthe) وبالقرب من العرش يقف إله الموت ثانـاتـوس (thanatos) ، شاهـراً سيفه . يرتدي معطفاً أسود، وله جناحان أسودان كبـيران . وحـين يأتي ثانـاتـوس إلى فراش المحتضر لكي يقص بسيفه خصلة من شعـره، ويقبض روحـه فإن برودة القبـور تهب من هذين الجنـاحين . وإلى جانب ثاناتوس تقف الكيرات (Les Keres) الكئيبات . إنهن لايكففن عن التحويم فوق ساح القتـال . ولاتسـل عن فرحهن وهن يرين كيف يسقـط المحـاربون المصابون الـواحـد تلو الآخر. حيث ينقضضن بشفاههن الحمراء على الجروح، وبكل نهم يمتصصن دم المصابين الساخن ، وينتزعن أرواحهم من أبدانهم .

هنـا أيضـاً، إلى جانب عرش هادس ، نرى الإله الشاب الجميل هيبنوس (Hypnos) . إنه يحوم بشكل غير مسموع فوق الأرض وفي يديه ثمار الخشخاش ، ومن القـرن يصب الشـراب المنـوم . يلامس هيبنـوس بكـل لطف عيـون النـاس بصـولجـانـه الرائع ، ويغمض الأجفان بهدوء ، فيروح الناس في سبات لذيذ . ولا يستطيـع أن يقف في وجـه الإلـه هيبنوس القادر لا الناس ولا الآلهة ولا حتى زوس نافث الرعد نفسه . حتى عينيه الرهيبتين يجعلهما هيبنوس تغطان في سبات عميق .

ويطـوف أرجـاء مملكـة هادس آلهـة الأحـلام . وبينهم الآلهـة ، التي تعطي الأحلام الصادقة والبهيجة ، لكن ثمة آلهة للأحلام الفظيعة والرهيبة ، التي تخيف النـاس وتعـذبهم . كما إن هنـاك آلهة للأحلام الكاذبة . وهؤلاء يضللون الانسان ويقودونه إلى الهلاك .

إن مملكة هادس مليئة بالفظائع . ففي ظلمتها يعيش الشبح الفظيع إمبوزا (Empousa) بأقــدام حمار. كانت هذه الشيطـانـة تستـدرج النـاس ، تحت جنـح الظلام ، إلى مكان مهجور، فتمص كل دمهم ، ثم تلتهم أجسادهم ، التي لاتزال تنتفض . وهنـاك تطـوف أيضـاً العفـريتـة لاميا (Lamia) ، التي تتسلل تحت جنح الظــلام إلى غرف نوم الأمهــات السعيــدات ، وتختطف أطفـالهن ، لكي تروي غليلهـا من دمهم . وعلى رأس جميـع الأشبـاح والعفـاريت تقف الـربـة العظيمة هيكـات (Hecate) ، وهي بثـلاثـة أبـدان وثلاث رؤ وس . وفي الليالي غير المقمرة تطوف تحت جنح الظلام عبر الطرقات وعند القبور برفقة حاشيتها الفظيعة ، ومن حولهـا كلاب ستيكس[٢١] . إنهـا ترسـل الفظـائـع والكـوابيس إلى الأرض وتهلك النـاس . ويستعـان بهيكـات في مجال السحـر ، وهي أيضاً المضادة الوحيدة للسحر لأولئك الذين يحترمونها ، ويقدمون لها القرابين من الكلاب على مفارق الطرق ، حيث تتفرع ثلاثة دروب .

إن مملكة هادس فظيعة ويكرهها البشر[٢٢] .

هـيرا (Hera) [٢٣] :

الالهـة هيرا ، زوجـة زوس ، حاميـة الـزواج والسـاهـرة على قدسية ومتانة العلاقات الزوجية .

بعـد تغلب زوس على كرونـوس وقـذف الأخـير هيرا وأخوتها وأخواتها من أحشـائـه عمدت ريا (Rhea) والدة هيرا ، إلى نقلها إلى أطراف الأرض إلى عند الأوقيـانـوس الشـائب ، حيث سهـرت ثيتس (Thetis) على تربيتها . عاشت هيرا فترة طويلة بعيـداً عن الأولمب . في هدوء وراحـة . وقـد رآهـا نافث الـرعـد زوس فأحبهـا ، وخطفهـا من ثيتس . أحيـا الآلهـة عرسـاً فخماً لزوس وهيرا . وقد قامت

إيـريس (Iris) ربـة الفتنة والشقاق، بالباسها ثياباً فاخرة فتألقت بجمالها المهيب بين آلهـة الأولمب. وهي جالسـة على العـرش الـذهبي إلى جانب زوس. كان جميـع الآلهـة يقـدمـون الهـدايا للحاكمة هيرا، أما إلهة الأرض غيا فقد أنبتت من جوفها شجرة تفاح رائعة ذات ثمار ذهبية هدية لهيرا. كل مافي الطبيعة كان يمجد هيرا وزوس.

إن هيرا تحكم على الأولمب العالي. وهي تحكم، كما زوجها زوس، بالرعود والصـواعق، وبكلمـة منهـا تغطي السحب الممطـرة الـداكنة السماء، وباشارة من يدها تثور العواصف الرهيبة.

إن هيرا العظيمة رائعة، فمن تحت اكليلها يتدلى شعرها المتموج الساحر، وتتـوهـج لحاظهـا بعظمـة هادئـة. إن الآلهة تحترم هيرا، ويحترمها زوجها زوس، سائق السحب، ويتشاور معها. لكن ليس من النادر أن يدب الخلاف بين زوس وهـيرا. إذ غالبـاً ماتعـترض هيرا على زوس، وتجـادلـه في اجتـماعـات الآلهـة. وحينـذاك يغضب نافث الـرعد، ويتوعد زوجته بالعقوبات. فتلوذ هيرا بالصمت وتكبت غضبهـا. فهي تذكـر كيف قيـدهـا زوس بالسلاسل الذهبية، وعلقها بين السماء والأرض، وربط إلى رجليها سندانين، وعرضها للجلد.

لا توجد إلهة تعادل هيرا العظيمة من حيث سطوتها. إنها تنزل عن الأولمب بعظمـــة، في ثوب فاخـر طويـل، حاكتـه أثينـا نفسهـا. في مركبـة يجرهـا جوادان خالـدان.. إن الـرائحة الزكية تعبق على الأرض، حيث تمر هيرا. كل ماهو حي ينحني إجلالاً للملكة الأولمب العظيمة.

إيـــو (Io) [٢٤]:

غالبـاً ماكـانت، هيرا تتعـرض لإهـانات زوجها زوس. وهذا ماحدث حين

أحب زوس إيو الحسناء، ولكي يخفيها عن هيرا حول إيو إلى عجلة. لكن نافث الرعد لم ينقذ إيو بذلك. فقد رأت هيرا العجلة البيضاء بياض الثلج، وطالبت زوس أن يهديها إياها. ولم يستطع زوس أن يرد هيرا خائبة. أما هيرا فلم تكد تمتلك إيو حتى وضعتها تحت حراسة آرغوس (Argos) ذي المئة عين[٢٥]. ولم تستطع إيو المسكينة أن تخبر أحداً بقصتها، إذ فقدت، وهي التي حولت إلى عجلة، موهبة الكلام. كان آرغوس يقوم على حراسة إيو، دون أن تذوق عيناه النوم. وكان زوس يرى عذابها. وهكذا فقد استدعى ابنه هرمس وأمره أن يخطف إيو.

وصل هرمس على عجل إلى قمة ذلك الجبل، حيث كان آرغوس ذو المئة عين، يقف على حراسة إيو. وقد استطاع بحديثه تنويم آرغوس. وماإن أغمض هذا عيونه المئة حتى امتشق هرمس حسامه المعقوف، وبضربة واحدة أطاح برأس آرغوس. صحيح أن إيو أصبحت مطلقة السراح، ولكن زوس لم ينقذها بهذا أيضاً من سخط هيرا. فقد أرسلت على المسكينة ذبابة البقر الفظيعة، التي راحت تطارد إيو، التي جنت من فرط ماتعرضت له من عذاب. ولم تعثر على الهدوء في أي مكان. راحت إيو تندفع في هذا الجري المسعور أبعد فأبعد، بينما الذبابة تقتفي أثرها، ولاتكف دقيقة واحدة عن غرز إبرتها، كالحديد الحامي، في جسمها. جرت إيو عبر أماكن كثيرة، ومرت على بلدان لاتحصى. أخيراً وبعد تطواف طويل وصلت في بلاد سيثيا إلى الصخرة التي كان بروميثيوس الجبار مقيداً إليها. وقد تنبأ للمسكينة بأنها لن تتخلص من عذابها إلا في مصر. وانطلقت إيو تطاردها الذبابة. وكم قاست وعانت قبل أن تصل مصر. وهناك على ضفاف النيل، الوافر الخيرات، أعاد لها زوس هيأتها الأولى، وأنجبت ابنها إيبافوس (paphos)، الذي أصبح أول ملك على مصر ورائد جيل الأبطال، الذي ينتسب إليه هرقل، أعظم أبطال اليونان.

أبـولـون (Apollon) [٢٦] :

ولادة أبولون :

ولـد إلـه النـور، أبولون ذو الشعر الذهبي ، في جزيرة ديلوس (Delos) ، ولم تستطع أمه ليتو (Leto) ، التي كانت الربة هيرا تطاردها ، العثور على ملاذ لها في أي مكـان . فراحت تطـوف أرجـاء العـالم يطاردها التنين بيثون (Python) ، الذي أرسلتـه هيرا في أعقـابهـا ، إلى أن حطت الـرحـال أخيراً في جزيرة ديلوس . التي كانت تتقاذفها أمواج البحر العاصف في تلك الأزمنة . لكن ما إن وطئتها قدما ليتو حتى ارتفعت الأعمـدة الجبـارة من لجة البحـر ، وثبتت هذه الجـزيرة غير المأهولة . وقـد ثبتت الجـزيـرة بشكل راسخ في المكان الذي لاتزال تقوم فيه حتى يومنا هذا . كان البحر يصطخب من حول ديلوس ، وكانت صخور الجزيرة ترتفع بكآبة ، وهي عاريـة ، لانبـات يغطيها . وحدها طيور النورس البحرية كانت تجد لها ملاذاً هنا . لكن هاقـد ولـد أبـولـون ، إله النور ، فتلألأ كل شيء وازدهر ، وسطعت الصخور السـاحليـة وجبـل كينت والـوادي والبحر ، وبصوت عال راحت الربات ، اللواتي اجتمعن في ديلوس ، يمجـدن الإلـه الوليد ، وهن يقدمن له طعام الآلهة وشرابها . كانت الطبيعة كلها تشاطر الآلهة فرحهن .

صراع أبولون ضد بيثون وتأسيس معبد دلفي :

انطلق أبـولـون عبر السـماء الـلازورديـة والقيثارة[٢٧] في يديه ، متنكباً قوسه الفضي ، والسهام الذهبية ترن بصوت عال في جعبته . كان أبولون الأبي السعيد يحوم عالياً فوق الأرض ، مهدداً كل ماهو شر وكل ماهو وليد الظلام . كان أبولون مندفعاً إلى حيث يعيش بيثون ، الذي كان يطارد أمه ليتو. كان يريد أن ينتقم منه على كل ماألحق بها من عذاب .

ولم يمض من الـوقت إلا أقله حتى وصـل أبـولـون الشعب المظلم، حيث يعيش بيثـون. ومن حولـه كانت ترتفـع الصخور عالية نحو السماء. كانت الظلمة تخيم على الشعب. وفي أسفله كان يجري نهر جبـلي يغطيـه الـزبـد، ويحـوم فوقـه الضبـاب. وخـرج بيثـون الـرهيب من جحـره. كان جسمـه الضخم، المغطى بالحراشف، يتلوى بين الصخور بدوائر لاحصر لها. وراحت الصخور والجبال تهتز من ثقـل جسمـه، وتنـزاح من مكـانهـا. كان بيثون الثائر يدمر كل شيء، ويزرع الموت من حوله. ولاذت الحوريات وكل ماهو حي بالفرار من شدة الهول. وارتفع بيثـون الهـائـج، وفتـح شدقيه الرهيبين، وأوشك أن يبتلع أبولون. وحينذاك تردد رنـين وتـر القـوس الفضي، وكـما الشـرارة ومض في الجـو السهـم الـذهبي الـذي لايخطىء الهـدف، تلاه ثان فثـالـث. كانت السهـام تتسـاقط كالمطر على بيثون، فوقـع على الأرض، وقـد فارق الحيـاة. وتـردد عاليـاً نشيـد النصر المهيب (بيآن) لأبولون المقدام. قاهر بيثون. على إيقاع الأوتار الذهبية لقيثارة الإله. طمر أبولون جثـة بيثـون في الأرض، هنـاك حيث تقـوم دلفي المقـدسـة، وأقام في دلفي معبداً وعرافة (oraculum)، لكي يتم فيه التنبؤ للناس بمشيئة والده زوس.

ومن على الشـاطىء العـالي رأى أبـولـون بعيـداً في البحـر سفينـة البحارة الكـريتيـين، فانـدفـع عبر البحـر الأزرق، بعـد أن تحول إلى دلفين، وماإن بلغ السفينـة حتى طاركما النجم السـاطـع من الأمواج البحرية إلى مؤخرة السفينة، وقـادهـا إلى مرفأ مدينة كريسا[٢٨] وعبر الوادي الخصب قاد البحارة الكريتيين إلى دلفي، وجعلهم كهنة معبده الأوائل.

دفنة Daphne [٢٩]:

إن الألـه المشـرق أبولون يعرف الحزن أيضاً. فلم يكد ينتصر على بيثون حتى

نزلت به نازلـة . فبينـما كان يقف فوق جثـة الـوحش، الـذي قتله بسهـامه، معتزاً بانتصـاره، رأى بالقـرب منـه إيـروس (Eros) الشاب، إله الحب، وهو يشد قوسه الذهبي، وقال له أبولون ضاحكاً :

- ماحـاجتـك يابني إلى مثـل هذ السـلاح الرهيب؟ من الأفضل أن تدعني أرمي السهـام الـذهبيـة الصـائبـة، التي قتلت بها بيثـون للتـو. فهـل بمقـدورك أن تجاريني، أنا النبّال المشهور؟ .

ورد إيروس على أبولون بغضب :

- إن سهـامـك يافـويبـوس أبولون لاتخطىء الهدف، فهي تصيب الجميع، لكن سهمي يصيبك أنت أيضاً .

خفق إيـروس بجنـاحيـه الذهبيـين، وفي غمضـة عين كان قد حط على البارناس العالي. وهناك أخرج من جعبته سهمين. أحدهما، جارح القلب ومثير الحب، أصاب به قلب أبولون، والثاني ـ قاتل الحب، أطلقه إيروس فأصاب قلب الحورية دفنة، ابنة إله النهر بينيوس .

وفي ذات مرة التقى أبولون دفنة الحسناء فأحبها . لكن ماإن وقعت عينا دفنة على أبـولـون، ذي الشعـر الـذهبي حتى انطلقت، بسرعة الريح، لاتلوي على شيء، فسهم إيـروس، قاتـل الحب، اخـترق قلبهـا، وانطلق الإله، ذو القوس الفضي، في أعقابها .

وصـاح أبـولـون بها : قفي أيتهـا الحـوريـة الحسنـاء. مابالك تهربين مني، كالنعجـة يطـاردهـا الـذئب؟ فأنـا لست لك بعـدو. انظري لقد جرحت قدميك بأشـواك القتـاد الحـادة. هيه، هلا توقفت. فأنا أبولون إبن زوس، نافث الرعد، ولست مجرد راع عادي فان .

لكن دفنـة الحسنـاء راحت تسـرع أكثـر فأكثر من جريها . وانطلق أبولون في

أثرها مسرعاً. وراح يقترب منها رويداً رويداً. وكاد أن يلحق بها، وأحست دفنة بتنفسه. وفقدت قواها، وهنا توسلت دفنة إلى أبيها بينيوس:

- أبي بينيوس، ساعدني، عجلي أيتها الأرض، وانشقي، ثم ابتلعيني، أوه انزعوا عني هذه الهيئة، فهي لاتجرعلي سوى الشقاء.

ولم تكد تنطق بهذه الكلمات حتى تسمرت أطرافها، وغطى اللحاء جسمها الغض، وتحول شعرها إلى أوراق، أما يداها، المرفوعتان نحو السماء، فقد تحولتا إلى غصني غار. ظل أبولون طويلاً واقفاً أما الغار، وأخيراً قال بأسى: .

- فليزين إكليل من خضرتك رأسي، ولتكوني منذ الآن بأوراقك زينة لقيثارتي وجعبتي، ولتبق أبداً خضرتك أيها الغار يانعة لاتذبل. ابق أخضر إلى الأبد.

وخشخش الغار بأغصانه الكثيفة بلطف رداً على أبولون، وأحنى قمته الخضراء، وكأنه يعرب عن موافقته.

أبولون عند أدميتوس (Admete) :

كان على أبولون أن يتطهر من ذنب دم بيثون المراق، فهو نفسه يطهر الناس، الذين يقترفون جرائم القتل. وبقرار من زوس ينسحب إلى تساليا، حيث الملك أدميتوس الرائع والنبيل. وهناك يرعى قطعان الملك فيكفر بذلك عن ذنبه، وحين كان أبولون يعزف بين المراعي على مزماره القصبي، أوعلى قيثارته الذهبية، كانت الوحوش البرية تخرج من الغابات مفتونة بعزفه. وكانت الفهود والأسود الكاسرة تتجول بين القطعان دون أن تمسها. وكانت الأيائل والغزلان تتجمع على صوت المزمار. كان السلم والحبور يسودان كل ماحوله. كانت الخيرات تتدفق على دار أدميتوس. وكانت ثماره أفضل الثمار، وكانت خيوله

وقطعانــه الأفضل في تساليا كلها. كل ذلك بفضل الإله ذهبي الشعر. كما ساعد أبـولـون أدميتوس في الزواج من السيست (Alceste) إبنة بيلياس (Pelias)، ملك بولكوس. وكان والدها قد وعد بتزويجها فقط بمن يستطيع أن يكدن أسداً ودباً في مركبته. وقـد وهب أبولون حبيبه أدميتوس قوة لاتقهر، فاستطاع هذا أن ينفذ طلب بيلياس. ظل أبولون في خدمة أدميتوس ثماني سنوات، عاد بعدها إلى دلفي.

يعيش أبولون في دلفي ربيعاً وصيفاً. وما إن يحل الخريف، وتذبل الأزهار، وتصفر أوراق الأشجار، ويصبح الشتاء البارد، الذي يغطي بالثلج قمة البارناس، على الأبواب، حتى ينطلق أبولون في مركبته، التي يقودها التم الأبيض، إلى بلاد الهيبر بـوريـين (Les Hyperboreens)[٣٠]، التي لاتعـرف الشتـاء. وهناك يمضي الشتـاء كله. وحـين يخضوضر كل شيء في دلفي، وتتفتح الأزهار، وينفرش وادي كريسا ببساط مبرقش، يعــود أبـولـون ذهبي الشعر على طيور التم إلى دلفي، ليتنبأ للنـاس بمشيئـة زوس، قاذف الصـواعق، وحينـذاك يحتفـل في دلفي بعودة أبولون من بلاد الهيبر بوريين. إنه يقضي الربيع والصيف بكاملهما في دلفي، كما يزور مسقط رأسه ديلوس، وفيها أيضاً أقيم على شرفه معبد رائع.

أبولون وربات الإلهام:

في الـربيـع والصيـف يحيي أبـولـون حلقات الرقص والغناء مع ربات الإلهام التسـع على سفـوح جبـل هيليكـون الكثير الغابـات، حيث يتردد خريـر المياه المقدسة لنبع هيباكرين، وعلى البارناس العالي، لدى مياه نبع كاستاليا الصافية.

إن ربــات الإلهــام الشــابــات الحسنــاوات، بنــات زوس ومنمــوزين. (Mnemosyne)[٣١] يرافقن أبـولـون باستمـرار، إنـه يقـود كورس ربـات الإلهـام، ويرافق غناءهن بالعزف على قيثارته الذهبية. وبكل عظمة يسير أبولون في مقدمة

كورس ربـات الإلهـام ، مكللاً بالغـار. ومن خلفه كاليوبة ، ربة الشعر الملحمي ، أوتـرب ، ربـة الموسيقى ، إيراتو، ربة الشعر الغزلي ، ملبومين ، ربة التراجيديا ، ثاليا ربة التراجيديا ، تيربسيشور، ربة الرقص ، كليو، ربة التاريخ ، أورانيا ، ربة علم الفلك ، وبوليمنيا ، ربة التراتيل ، المقدسة . إن كورسهن يتردد بشكل مهيب ، وتقف الطبيعة كلها خاشعة ، وكلها آذان صاغية لغنائهن الإلهي .

وحين يظهر أبولون على الأولب برفقة ربات الإلهام ، ويتردد عزف القيثارة وغناء ربات الإلهام ، يخيم الصمت على كل شيء . وينسى آرس (Ares) صخب المعارك ولايومض البرق في يدي زوس ، جالب السحب ، وينسى الآلهة الخصام ، ويسود السلام والصمت على الأولب . حتى نسر زوس يخفض جناحيه القويين ، ويغمض عينيـه الثـاقبتـين ، ولايعود يسمع صياحه ، فقد غفا بهدوء على صولجان زوس . وفي هذا الصمت المطبق تتردد بمهـابـة أنغـام أوتـار قيثـارة أبولون . وحين يداعب أبـولـون الأوتـار الـذهبيـة بمرح فان حلقة الرقص والغناء الزاهية والمتألقة تتحرك ، عبر صالة المآدب الربانية ، إن ربات الإلهام ، الهورات ، أفروديت الشابة أبـداً ، وآرس وهـرمس ، جميعهم يشـاركـون في حلقـة الرقص والغناء المرحة ، وفي المقدمة تسير العذراء الجليلة أخت أبولون ـ أرتيميس الحسناء . وعلى إيقاع أنغام قيثارة أبولون يرقص الآلهة وقد غمرتهم دفقات النور الذهبي .

ولدا آيولوس :

حين يستبـد الغضب بأبـولـون فإنه يصبح رهيباً ، وحينذاك لاتعرف سهامه الـذهبيـة الـرأفـة . فلقد صرعت الكثيرين . وبها قتل إيفيالتيس وأوتوس (الوواد ـ ALoades) ولـدا آيـولـوس ، الفخـوران بقوتهما ، واللذان لم يرغبا في الخضوع لأي كان . ومنـذ طفـولتهـما المبكـرة اشتهرا بطولهما الهائل وبالقوة والجرأة ، التي لاتعرف الحدود . وراح أوتوس وايفيالتيس يهددان آلهة الأولب :

- دعونا نشب فقط، ونصل إلى كامل قوتنا الخارقة، وحينذاك سوف نكوم جبال الأولمب وبيليون وأوسّا[٣٢]، الواحد فوق الآخر، ونصعد عليها إلى السماء. ولسوف نخطف منكم، أيها الأولمبيون، هيرا وأرتيميس.

هكذا راح ولدا آيولوس العاصيان يهددان الأولمبيين. وكان من شأنهما أن ينفذا تهديدهما. فلقد قام أوتوس وايفيالتيس بتقييد آرس الرهيب، إله الحرب، وزجا به مغلولاً في السجن النحاسي. وقد أمضى آرس ثلاثين شهراً في السجن إلى أن اختطفه هرمس السريع، وهو على آخر رمق. . كان أوتوس وإيفيالتيس جبارين، ولم يتحمل أبولون تهديدهما. وهكذا فقد شد قوسه الفضي، ومثل شرر اللهب، ومضت في الجو سهامه الذهبية، فسقط أوتوس وإيفيالتيس وقد اخترقت السهام جسديهما.

مارسياس (Marsyas)

أنزل أبولون عقاباً قاسياً بالساطور[٣٣]، مارسياس الفريجي، لأن مارسياس تجرأ على مباراته في الموسيقى. لم يسكت أبولون، عازف القيثارة، على مثل هذه القحة. فذات مرة، وبينما كان مارسياس يتسكع في بساتين فريجيا، عثر على مزمار من القصب، كانت الربة أثينا قد رمت به، بعد أن لاحظت أن العزف على المزمار، الذي ابتكرته بنفسها، يشوه وجهها الرائع. وقد لعنت أثينا ابتكارها وقالت:

- لينزل العقاب القاسي بمن يرفع هذا المزمار.

ودون أن يعرف شيئاً عن كلام أثينا رفع مارسياس المزمار، ولم يلبث أن أتقن العزف عليه لدرجة أن الجميع تحولوا إلى آذان صاغية لهذه الموسيقى الساذجة. وقد ركبَ مارسياس الغرور ودعا لمباراته أبولون نفسه، حامي الموسيقى.

قبل أبولون التحدي، وجاء في هلاميدا[٣٤] طويلة مزركشة، وعلى جبينه إكليل الغار، والقيثارة الذهبية في يديه.

هل كان بمقدور مارسياس، وهو من سكان الغابات والبراري، أن يستخرج من المزمار أنغاماً شجية كتلك التي كانت تصدح من الأوتار الذهبية لقيثارة أبولون، رئيس ربات الإلهام! وهكذا فقد كانت الغلبة لأبولون. ولما كان التحدي قد أسخطه فقد أمر بتعليق مارسياس المسكين من يديه، وسلخ جلده عنه حياً. لقد دفع مارسياس غالياً ثمن وقاحته، أما جلد مارسياس فقد علق في مغارة عند نهر كيلين في فريجيا. وفيما بعد انتشرت الإشاعات بأن الحركة كانت تدب في هذا الجلد، كأنه يرقص، حين كانت تصل المغارة أنغام مزمار القصب الفريجي، ويبقى دون حراك حين تتردد أنغام القيثارة الشجية.

ايسكليبوس (ايسكولاب) Eoculape :

لم يكن أبولون منتقماً فقط، ولم يكن دوره يقتصر على بعث الهلاك بسهامه الذهبية، بل وكان يطبب الأمراض. فايسكليبيوس ـ إله الطب وفن الطب ـ هو ابن أبولون. والقنطور[٣٥] الحكيم شيرون (Chiron) هو الذي سهر على تربية ايسكليبيوس على سفوح بيليون. وقد أصبح ايسكليبيوس طبيباً حاذقاً، لدرجة أنه تفوق على أستاذه. لم يكن اسكليبيوس يقوم فقط بشفاء الأمراض، بل وكان يحيي الموتى أيضاً. وبهذا فقد أغضب هادس، حاكم عالم الأموات، وزوس قاذف الصواعق، لأنه أخل بالنظام والقانون، الذي سنه زوس على الأرض، فقذف زوس الساخط بصاعقته، فأردى أسكليبيوس قتيلاً، لكن الناس ظلوا يتعبدون ابن أبولون، باعتباره الإله الشافي. وقد أقاموا له الكثير من المعابد، ومن بينها معبد اسكليبيوس الشهير في أبيدور.

وقد انتشرت عبادة الإله أبولون في كل أرجاء اليونان. وكان الإغريق يعبدونه كإله للضوء، وكإله يطهر الانسان من رجس إراقة الدم، وكإله يتنبأ بمشيئة زوس، وكإله القصاص، الذي يبعث الأمراض ويشفيها. وكان الشباب يعبدونه ويعتبرونه حامياً لهم. كان أبولون حامي الملاحة، وكان يساعد في تأسيس المستوطنات والمدن الجديدة. ويولي أبولون رعاية خاصة للفنانين والشعراء والمغنين والموسيقيين.

أرتيميس (Artemis)

ولدت الربة الصبية أبداً، أرتيميس في ديلوس في نفس الوقت الذي ولد فيه أخوها أبولون، ذو الشعر الذهبي. كان الحب النزيه والصادق يربط بين الأخ وأخته. وكانا يكنان كل الحب لأمهما ليتو.

كانت أرتيميس تتعهد بالرعاية والعناية كل مايعيش على الأرض، وينبت في الغاب والحقول. كما كانت تسهر على الناس وعلى قطعان الماشية الداجنة، وعلى الوحوش البرية. وهي تبارك الولادة، العرس والزواج، وتسهر على نمو الأعشاب والورود والأشجار. وتقدم النسوة الاغريقيات القرابين الثمينة لأرتيميس، التي تهب السعادة في الزواج، وتشفي الأمراض.

إن أرتيميس، الرائعة، مثل النهار الصافي، تصطاد بمرح في الغابات الظليلة والبراري، التي تستحم تحت الشمس، وقد تنكبت القوس والجعبة، والرمح في يدها. ولامنجاة من سهامها، التي لاتخطىء، لا للأيّل الرعديد، ولا للوعل الوجل، ولا للخنزير البري الهائج. وعلى أعقاب أرتيميس تغذ السير وصيفاتها الحوريات، فتتردد في الجبال الضحكات المرحة والصراخ ونباح الكلاب. وحين تشعر الربة بالتعب من الصيد، تسرع مع الحوريات إلى دلفي،

إلى أخيها المحبوب أبولون النبّال . وعلى إيقاع قيثارة أبولون الذهبية تقود حلقات الـرقص والغنـاء مع ربـات الإلهـام والحـوريـات . وأرتيميس تبـز جميع الحوريات وربـات الإلهـام حسنـاً وجمـالاً ، وهي أطـول منهن بمقـدار رأس كامل . كما تحب أرتيميس أن تخلد للراحـة في المغـاور البـاردة والمضفـرة بالخضـرة ، بعيداً عن أعين الفـانـين . والـويـل كل الـويـل لمن يزعجهـا ، على هذا النحو كان هلاك أكتيون الشاب Actéon ، ابن أفتونيا ، ابنة قدموس ، ملك طيبة .

أكـتـيـون[٣٧] :

في أحـد الأيـام ، كان أكتيـون يصطـاد مع رفاقه في غابات كيثير ون ، وعند الظهيرة توقف الصيادون المتعبون لأخذ قسط من الراحة في ظل غابة كثيفة ، بينما ذهب الفتى أكتيـون ليبحث عن المـاء . وقـد قادته قدماه إلى واد أخضر مزهر ، إنه وادي غارغـافيـا[٣٨] ، المكرس للربة أرتيميس . وقد نمت فيه بكثافة أشجار الدلب والتنـوب والآس ، وكـما السهـام الداكنة تسامت فوقه أشجار السرو المشوقة ، أما العشب الأخضـر فكـان مطعـماً بالأزهـار . كان خريـر الجـدول الشفـاف يتردد في الـوادي . وفي كل مكـان كان يخيم الصمت والهدوء والبر ودة . وعلى السفح الحاد للجبل رأى أكتيون مغارة رائعة ، محاطة بالخضرة . فاتجه نحو المغارة ، وهو لا يعرف أن أرتيميس غالباً ماتأتي هذه المغارة للاستحمام .

كانت أرتيميس قد دخلت المغـارة للتـو . وكانت قد أعطت القوس والسهام لإحـدى الحـوريـات ، استعـداداً للاستحـمام . خلعت الحوريات صندل الربة ، وعقصن لها شعـرهـا ، وهمّت بالذهاب إلى الجدول لغرف الماء البارد ، وعلى حين غرة ظهـر أكتيـون عنـد مدخـل المغارة . صرخت الحوريات بصوت عال ، إذ رأين أكتيون ، وهو يدخل ، وأحطن أرتيميس ، إحاطة السوار بالمعصم ، كي يخفينها عن

نظر هذا الفـاني. وكمـا تضـرم الشمس المشـرقـة النار الأرجوانية في الغيوم كذلك اصطبـغ وجـه الربة بلون الغضب، وقدحت عيناها شرراً، فأصبحت أكثر جمالاً وروعـة. لقـد غضبت أرتيميس لأن أكتيـون أزعجهـا في اسـتراحتها. وفي سورة الغضب حولت أرتيميس أكتيون المسكين إلى وعل.

وعلى رأس أكتيـون نما قرنـان، لهما فروع، وتحـولت قدماه ويداه إلى أقدام وعل. وتطاول عنقه، وازدادت رهافة سمعه، واكتسى كل جسمه بالوبر المبرقع. ولاذ الوعل الرعديد بالفرار. وإذ رأى أكتيون انعكاس صورته في الجدول هم بأن يطلق صرخـة «يـاللمصيبة»، لكنه لايستطيع. وراحت الدموع تتدفق من عينيه، عينيّ الوعل. ولم يحتفظ إلا بعقل الانسان فقط. لكن ما العمل؟ إلى أين المفر؟

التقطت كلاب أكتيـون أثـر الـوعـل، ولم تعـرف فيه سيدها، فانطلقت في أعقابه، بنباح يصم الآذان. انطلق الوعل الرائع يسابق الريح عبر وديان وشعاب كيثيـرون، مخترقـاً الهضـاب والغـابات والحقول، وقد ألقى بقرنيه المتفرعين على ظهـره، بينما كانت الكـلاب جادة في أثـره. كانت الكـلاب تقـترب منـه رويـداً رويـداً، وهـاهي قد لحقت به. وانغرزت أنيابها الحادة في جسد أكتيون المسكين ـ الـوعـل. ويهم أكتيـون بأن يصـرخ «أوه ارحموني، فأنا أكتيون، سيدكم!»، لكن لايخـرج من صدر الوعل سوى الأنين، ويسمع في هذا الأنين صوت إنسان، ويقع الوعل ـ أكتيون على ركبتيه. وفي عينيه يبدو جلياً الحزن، الرعب والتوسل. ولكن الهلاك محتوم: فالكلاب الهائجة تمزق جسده أشلاء.

ويعرب رفاق أكتيون، الذين وصلوا المكان، عن أسفهم لأنه كان غائباً، ولم يشاركهم هذا الصيد الموفق. مزقت الكلاب الوعل الرائع. ولم يعرف رفاق أكتيون هوية هذا الوعل. هكذا مات أكتيون، الذي أزعج الربة أرتيميس، والوحيد من بين الفانين، الذي رأى الجمال الالهي لابنة زوس ولوتو.

بالاس أثينـا (Palasathena) : [٣٩]

ولادة أثينا : إن زوس نفسه هو الذي أنجب الربة بالاس أثينا . كان زوس قاذف الصـواعق ، يعـرف أن ربـة العقـل ميتيس ستر زق بولدين : انثى هي أثينا وولـد ذكـر، لامثيـل له في العقـل والقـوة . وكـانت المـويـرات ، ربات القدر، قد كشفن لزوس أن ابن الربة ميتيس سوف يطيح به عن العرش ، وينتزع منه السلطة على العـالم . وقـد خاف زوس . ولكي يتجنب المصـير المفجع ، الذي تنبأت له به المويرات ، عمد ، بعد أن نوّم الربة ميتيس بأحاديثه اللطيفة ، إلى ابتلاعها قبل أن تنجب ابنتهـا أثينـا ، وبعـد مرور بعض الـوقت شعـر زوس بألم هائـل في رأسـه . وحينـذاك استـدعى ابنـه هيبايستوس ، وأمره بأن يشق له رأسه ، كي يتخلص من الألم الـذي لايطـاق ومن الضجيـج في رأســه . لوح هيبايستوس بالبلطة ، وبضربة قويـة شق جمجمـة زوس ، فخـرجت من رأس قاذف الصـواعق المحاربة القديرة ، الـربـة أثينا بالاس وقد ظهرت أمام عيون آلهة الأولمب الذاهلة بسلاحها الكامل ، وفي خوذة رائعـة ، تحمـل الـرمـح والـترس . ولـوحت أثينـا برمحها الساطع بشكل مخيف . وترددت صيحة الحرب ، التي أطلقتها ، بعيداً عبر السماء ، وهزت الأولمب من أسـاسـه . كانت عينـا أثينـا الزرقاوان تتقدان حكمة ، وكانت كلها تشع جمالاً ساحـراً فاتنـاً . ومجـد الآلهـة ابنة زوس الحبيبة على قلبه ، والتي أنجبها من رأسه . حامية المدن ، ربة الحكمة والمعرفة ، المحاربة التي لاتقهر أثينا بالاس .

إن أثينا تحمي أبطال الاغريق ، وتسدي لهم النصائح الحكيمة ، وتمد لهم يد العـون عنـد الخطـر . وهي تحمي المـدن والقـلاع وأسـوارهـا . أما فتيات الإغريق فلأثينـا عنـدهن منزلة خاصة ، لأنها تحمي العمل اليدوي ولايستطيع أحد ، لا من البشـر ولا من الـربـات ، التفـوق على أثينا في فن الحياكة . والجميع يعرفون مدى

خطورة مباراتها في هذا الميدان، ويعرفون الثمن الذي دفعته أراخنة (Arachne). ابنة أدمون، التي سولت لها نفسها أن تتفوق على أثينا في هذا الفن.

أراخنـــة: (٤٠)

اشتهـرت أراخنـة في جميـع أرجـاء ليديا(٤١) بفنها. وغالباً ماكانت الحوريات تتـوارد من سفـوح تمول ومن على ضفـاف باكتول، ذي الرمال الذهبية، ليتمتعن برؤ يـة عملهـا. كانت أراخنـة تحوك من الخيوط، الشبيهة بالضباب، نسيجاً شفافاً كالهـــواء، كانت فخـورة بأنـه لامثيـل لها في العـالم في فن الحيـاكـة. وفي ذات مرة صاحت أراخنة طرباً:

ـ فلتأتِ أثينا بالاس نفسها لمباراتي: فهي لن تتفوق علي.

وهكذا ظهرت الربة أثينا أمام أراخنة في هيأة عجوز حدباء، شاب شعرها، وقالت لها:

ـ ليس كل ماتجلبه الشيخوخـة شراً ياأراخنـة: فالسنـوات تجلب معهـا الخـبرة والحنكـة. اسمعي نصيحتي: ليكن طمـوحك هو التفوق في فنك على الفانين فقط. ولاتتحدي الربة لمباراتك. وتوسلي إليها بخشوع أن تصفح عنك بسبب كلماتك الوقحة. فالربة تغفر لمن يتوسل إليها.

ألقت أراخنة المغزول الدقيق من يدها، وقدحت عيناها غيظاً، وردت بكل جرأة:

ـ لست بالعـاقلة أيتهـا العجوز، هلا ألقيت مواعظك هذه على كناتك وبناتك، أما أنا فدعيني وشأني. فبمقدوري أن أسدي النصائح لنفسي بنفسي، أما ماقلته فلن أتراجع عنه. فما بال أثينا لاتأتي، وماالذي يمنعها من أن تباريني؟

ـ إنني هنا ياأراخنة ـ صاحت الربة وقد عادت إلى هيئتها الحقيقية.

ركعت الحوريات والنساء الليديات أمام ابنة زوس المحببة، ورحن يمجدنها. وحدها أراخنة ظلت صامتة. واصطبغ وجه أثينا بلون السخط. وظلت أراخنة متشبثة بموقفها، ولم ترعوعن إبداء رغبتها في مباراة أثينا. ولم تشعر أن الهلاك القريب يترصدها.

بدأت المباراة. حاكت أثينا على خمارها الأوكروبل الأثيني المهيب، وصورت نزاعها مع بوزيدون على السلطة في أتيكا. وقد شارك في فض هذا النزاع اثنا عشر إلهاً، بمن فيهم والدها زوس. رفع بوزيدون حربته، ذات الرؤوس الثلاثة، وضرب بها الصخرة فإذا بنبع مالح ينبجس من الصخرة العقيمة. أما أثينا، التي كانت ترتدي الخوذة، وتحمل الترس، وتلبس الإيفيدا[٤٢] فقد لوحت برمحها، وأرسلته عميقاً في الأرض. فنمت من الأرض شجرة الزيتون المقدسة. وقد حكم الآلهة بالفوز لأثينا، إذ اعتبروا أن هديتها لمقاطعة أتيكا أكبر قيمة[٤٣]. وفي زوايا الخمار صورت الربة الآلهة وهم يعاقبون الناس، الذين يشقون عصا الطاعة، ووضعت ذلك كله ضمن إكليل من أوراق الزيتون. أما أراخنة فقد رسمت على خمارها مشاهد من حياة الآلهة، يبدو فيها الآلهة ضعافاً، تسيطر عليهم الشهوات البشرية. ومن حول ذلك حاكت أراخنة إكليلاً من الأزهار، المغطاة باللبلاب. كان عمل أراخنة ذروة الكمال، ولم يكن من حيث الجمال يقل عن عمل أثينا، لكن تصويرها كان يدل على عدم احترام للآلهة. وثارت ثائرة أثينا، فمزقت عمل أراخنة، وضربتها بالمكوك. لم تتحمل أراخنة المسكينة ما لحق بها من عار، فجدلت حبلاً، وصنعت أنشوطة، ثم شنقت نفسها. لكن أثينا أطلقت أراخنة من الأنشوطة. وقالت لها:

- عيشي أيتها العاصية. لكنك ستظلين معلقة أبداً، وتحوكين دائماً، ولسوف يستمر هذا العقاب في ذريتك.

رشت أثينا أراخنة بعصير عشب سحري، وللحال تقلص جسمها،

وتساقط شعر رأسها، وتحولت إلى عنكبوت. ومنذ ذلك الحين والعنكبوت أراخنة معلقة في شبكتها، ولاتكف عن حوكها.

هرمس[٤٤] (Hermes)

في كهف جبل سيرميس في أركاديا ولد هرمس، ابن زوس ومايا[٤٥]. ورسول الآلهة. وفي سرعة البرق الخاطف كان ينتقل من الأولمب إلى آخر الدنيا في صندله المجنح وصولجانه السحري في يديه. وهرمس يحرس الدروب. وفي اليونان القديمة كانت الهيرمات[٤٦] المكرسة له، تقوم على أطراف الطرق ومفارقها، ولدى مداخل الدور.

كان يحمي المسافرين وهم على قيد الحياة. وهو الذي يقود أرواح الموتى في الرحلة الأخيرة - إلى مملكة هادس الكئيبة. وبصولجانه السحري يغمض أعين الناس، ويجعلهم يروحون في سبات عميق. إن هرمس حامي الطرق والمسافرين وإله التجارة. وهو الذي يدر الربح في التجارة، ويرزق الناس الثروة. وهرمس ابتكر المقاييس والأعداد وأحرف الهجاء، ولقن ذلك كله للناس. ثم إنه إله الفصاحة، كما إنه في الوقت نفسه إله المكر والدهاء. فلا أحد يستطيع التفوق عليه في المكر والحيلة، وحتى في السرقة. فهو الذي سرق ذات مرة - مازحاً - صولجان زوس، وحربة بوزيدون ثلاثية الرؤوس، والسهام الذهبية والقوس من أبولون، والسيف من آريس.

هرمس يسرق بقرات أبولون: ما إن ولد هرمس في مغارة سيلين الباردة، حتى وضع في ذهنه مقلبه الأول. فقد قرر أن يسرق بقرات أبولون، صاحب القوس الفضي، والذي كان يرعى القطيع آنذاك في وادي بيرا في مكدونيا. ولكي

لاتنتبه أمه خرج بهدوء من أقمطته، وقفز من السرير، ثم انسل خارجاً من المغارة. ولدى بوابة المغارة رأى سلحفاة، فأمسك بها، ومن درعها، مع ثلاثة غصون، صنع القيثارة الأولى، بعد أن شد عليها الأوتار، ذات الأنغام الحلوة، عاد هرمس إلى المغارة خفية، وخبأ القيثارة في سريره، ثم غادر مسرعاً، وانطلق يسابق الريح إلى بيريا. وهناك خطف من قطيع أبولون خمس عشرة بقرة، ولكي لاتترك وراءها أثراً ربط إلى أقدامها القصب والأغصان، وساق البقرات بسرعة باتجاه البيلوبونيز. وحين كان هرمس يسوق البقرات في وقت متأخر من الليل عبر بيوتيا، التقى عجوزاً، يعمل في بستان الكرمة.

وقال له هرمس: ـ خذ إحدى هذه البقرات، ولاتخبر أحداً أنك رأيتني، وأنا أسوق البقرات من هنا.

فرح العجوز بالهدية السخية، ووعد هرمس بالصمت، وبأن لايدل أحداً على الوجهة التي ساق فيها هرمس البقرات. بعد ذلك تابع هرمس طريقه. ولم يبتعد إلا قليلاً حتى قرر أن يعرف ماإذا كان العجوز سيبر بوعده. وهكذا فقد خبأ البقرات في الغابة، وغير شكله، ثم عاد إلى حيث العجوز، وسأله:

ـ هلا أخبرتني عما إذا كان أحد الصبيان قد مر من هنا، وهو يسوق البقر؟ إذا ماأخبرتني إلى أين ساقها أعطيتك ثوراً وبقرة.

تردد العجوز قليلاً: فقد كان يتوق للحصول على ثور وبقرة أخرى. فأشار إلى الجهة، التي ساق منها الصبي البقرات. غضب هرمس من العجوز جداً، وحوله إلى صخرة، لكي يبقى صامتاً أبداً، ويذكر أنه يجب أن يبر بوعده.

بعد ذلك عاد هرمس في طلب البقرات، ثم ساقها على عجل. أخيراً وصل بها إلى بيلوس، وبعد أن ضحى باثنتين للآلهة، وأزال كل آثار القربان، خبأ البقرات الباقيات في كهف، بعد أن أدخلها ووجوهها إلى الوراء، لكي تقود آثارها، ليس إلى الكهف، بل منه.

بعد أن أنجز ذلك كله عاد هرمس بهدوء إلى والدته مايا في المغارة، ورقد في سريره بهدوء، بعد أن لف نفسه بالأقمطة.

بيد أن مايا لاحظت غياب ابنها، فقالت له معاتبة.

- لقد قمت بعمل سيء. لماذا اختطفت بقرات أبولون؟ لسوف يغضب. وأنت تعرف مدى رهبة أبولون حين يغضب.

- لست أخاف أبولون - رد هرمس على أمه - فدعيه يغضب. وإذا ماخطر له أن يسيء إليك أو إلي، فلسوف أسطو على كل معابده في دلفي، وأسرق كل حوامله الثلاثية الأرجل وذهبه وفضته وثيابه.

وفي هذا الحين كان أبولون قد لاحظ اختفاء البقرات، فانطلق يبحث عنها. ولكنه لم يستطع العثور عليها في أي مكان. أخيراً قاده الطائر العرّاف إلى بيلوس. ولكنه لم يدخل الكهف، حيث خبأ هرمس البقرات، لأن الآثار كانت تقود إلى خارج الكهف، لا إلى داخله.

أخيراً، بعد بحث طويل وعقيم وصل إلى مغارة مايا. وإذ سمع هرمس باقتراب أبولون حشر نفسه بشكل أعمق في سريره. والتف بأقمطته بشكل أشد. دخل أبولون مغارة مايا فرأى هرمس راقداً في سريره بوجه بريء. وحين راح يعاتب هرمس على سرقة البقرات أنكر هرمس كل شيء. وراح يؤكد لأبولون أنه حتى لم يفكر بأن يسرق بقراته، وأنه لايعرف مكانها.

وصاح أبولون بغضب: - اسمع أيها الصبي، لسوف ألقي بك في التارتار المظلم، ولن ينقذك لا والدك ولا والدتك، إذا لم ترد لي بقراتي.

فأجاب هرمس: لم أر بقراتك ياابن ليتو، ولا أعرف عنها شيئاً، ولم أسمع من الآخرين عنها. وهل هذا مايشغل بالي؟ إن لدي أعمالاً أخرى واشغالاً أخرى، فكل همي ينحصر بالنوم وحليب أمي واقمطتي. كلا، أقسم أنني حتى لم أر اللص الذي سرق بقراتك.

مهما غضب أبولون فإنه لم يستطع بلوغ شيء. أخيراً انتزع أبولون هرمس من سريره، وأرغمه على الذهاب إلى زوس. لكي يفض هذا نزاعهما. وهكذا فقد جاء الالهان كلاهما إلى الأولمب. ومهما لف هرمس ودار، ومهما احتال وراوغ، فقد أمره زوس باعادة البقرات المخطوفة إلى أبولون.

قاد هرمس أبولون من الأولمب إلى بيلوس. وفي الطريق أخذ القيثارة، التي صنعها من جلد السلحفاة. وفي بيلوس دل أبولون على المكان، الذي خبأ فيه البقرات. وبينما كان أبولون يخرج البقرات من الكهف جلس هرمس على صخرة مجاورة للكهف، وراح يعزف على قيثارته، فترددت الأنغام الشجية عبر الوادي وشاطيء البحر الرملي. راح أبولون يصغي إلى عزف هرمس؛ وقد استولت عليه الدهشة. فقد سحرته أنغام القيثارة لدرجة أنه أعطى هرمس البقرات مقابلها. أما هرمس فقد صنع لنفسه ناياً[٤٧] ـ الآلة الموسيقية المحببة لدى رعاة اليونان.

ثم إن هرمس الجميل، ابن مايا وزوس، المراوغ والداهية، والسريع، سرعة الخاطر في تطوافه عبر العالم، قد برهن على سعة حيلته ودهائه منذ نعومة أظفاره، كان يعتبر تجسيداً لقوة الشباب. ففي كل مكان في الباليسترات[٤٨] كانت تنتصب تماثيله. فهو إله الرياضيين الشباب. وكانوا يتوسلون إليه قبيل المصارعة ومسابقات الجري السريع.

كثيرون هم الذين عبدوا هرمس في اليونان القديمة: المسافرون، الخطباء، التجار، الرياضيون، وحتى اللصوص.

آريس،[٤٩] أفروديت، إيروس وهيمينايوس[٥٠]

آريس:

إن آريس الهائج، إله الحرب، هو ابن زوس قاذف الصواعق وهيرا. ولم

يكن زوس يحب ابنه. ولو لم يكن آريس ابنه إذن لكان قد رمى به منذ عهد بعيد في التارتار المظلم، هناك حيث يتعذب المردة. إن قلب آريس الشرس لاتسره إلا المعارك الطاحنة. فتراه لايقر له قرار، وهو يتحرك وسط قعقعة السلاح وصراخ وأنين المتقاتلين، في سلاحه الساطع، حاملاً ترسه العملاق. ومن خلفه يندفع ولداه ديئيموس وفوبوس ـ الخوف والرعب. ومعهما إيريس، ربة الشقاق، واينيو الربة التي تزرع القتل. ويحمى الوطيس، وتتردد قعقعة السلاح، ويتساقط المحاربون، وهم يطلقون الآهات، لكن آريس يتلذذ برؤية ذلك. إن اريس يشعر بنشوة النصر حين يصيب المحارب بسيفه الرهيب، ويتدفق الدم الحار على الأرض. إنه يضرب خبط عشواء، يميناً وشمالاً.

إن آريس عنيف، شرس ورهيب، لكن النصر ليس أبداً حليفه. فغالباً مايتقهقر آريس في ساح المعركة أمام أثينا بالاس المحاربة، إبنة زوس، التي تتغلب على آريس بحكمتها وإدراكها الهادىء لقوتها. ولايندر أن يتغلب حتى الأبطال الفانون على آريس، وخاصة إذا مامدت لهم أثينا بالاس يد المساعدة. وعلى هذا النحو أصابه البطل ديوميد برمحه النحاسي تحت أسوار طروادة. كانت أثينا هي التي سددت الضربة. وقد ترددت بعيداً صرخة الإله الجريح، لكأن عشرة آلاف محارب قد صرخوا دفعة واحدة، وهم يندفعون إلى ساح الوغى ـ تلكم كانت صرخة آريس من شدة الألم. ودب الرعب في قلوب الاغريق والطرواديين، أما آريس الشرس فقد انطلق، مدثراً بغيمة كالحة، مضرجاً بالدم، انطلق إلى أبيه زوس ليشكو أثينا إليه. لكن زوس لم يستمع لشكواه. فهو لايحب ابنه، الذي لايتلذذ إلا بالنزاع والمعارك والقتل.

أفروديت (Aphrodite) [١٥] :

تيقظ أفروديت الحب في قلوب الآلهة والفانين. وهذا مايجعلها تسود العالم كله.

لاحيلة لأي كان في تجنب سلطتها. وحدهن أثينا، فيستا وأرتيميس لايخضعن لجبروتها. إن أفروديت الطويلة، الهيفاء، ذات الشعر الذهبي المتموج، الذي يستقر كالتاج على رأسها الرائع، هي تجسيد للجمال والشباب الدائم. وحين تسير بروعة جمالها، وفي ثيابها العبقة الرائحة، حتى الشمس تزداد تألقاً. وتصبح الأزهار أكثر روعة. وتهرع وحوش الغابات البرية إليها من مجاهل الأحراج، وتأتي الطيور أسراباً. وتتمسح بها الأسود والفهود والنمور والدببة بكل خنوع. وبين الوحوش البرية تسير أفروديت هادئة، فخورة بجمالها الذي يخطف الأبصار. وعلى خدمتها تقوم وصيفاتها الهورات[٥٢] والشاريت، ربات الجمال والرشاقة.

ولدت أفروديت ابنة أورانوس قرب جزيرة كيشير، من زبد الأمواج البحرية الأبيض، بياض الثلج. وحملها النسيم الخفيف اللطيف إلى جزيرة قبرص[٥٣]. وهناك أحاطت الهورات الشابات بربة الحب، الخارجة من أمواج البحر. فألبسنها الثياب المحوكة بخيوط الذهب، ووضعن على رأسها اكليلاً من الأزهار الزكية الرائحة. كانت الأزهار تنمو بشكل رائع هناك، حيث كانت أفروديت تضع قدميها. جيء بالربة الساحرة إلى الأولمب. وقد رحّب بها الآلهة وحيّوها بصوت عال. ومنذ ذلك الحين تعيش بين آلهة الأولمب أفروديت الذهبية، الشابة أبداً، والأجمل بين الربات.

بيغماليون[٥٤] : كانت أفروديت تهب السعادة لمن يخلص لها في خدمته.

وهكـذا فقـد وهبت السعـادة لبيغـماليـون ، الفنـان القبرصي . ان بيغماليون يكره النساء ، ويعيش وحيداً ، ويتجنب الزواج . وفي ذات مرة صنع من العاج الأبيض الرائع تمثالاً لفتاة فريدة في جمالها . كان هذا التمثال ينتصب ، وكأنه حي في مشغل الفنان . كان يبدو وكأنه يتنفس ، وكأنه لن يلبث أن تدب فيه الروح فينطلق . وكان الفنـان يمضي السـاعـات وهـو يتأمـل رائعته . إلى أن وقع في حب التمثال الذي صنعـه بنفسـه . وقـد أهـداه القـلادات والأساور والأقراط الثمينة ، وألبسه الثياب الفاخرة ، وزين رأسه بأكاليل الزهر . وكان غالباً مايهمس له :

- أوه لو أنك كنت حية ، لو كان بمقدورك أن تردي على حديثي . إذن لكم كنت سعيداً !

لكن التمثال كان أخرس :

حلت مناسبة الاحتفال بعيد أفروديت . وكان قربان بيغماليون للربة عجلة بيضاء ، ذات قرون مذهبة . وقد رفع يديه إلى الربة ، وراح يهمس متوسلاً :

- أيتهـا الإلهـة الخـالدة ، وأنت ياأفروديت الذهبية ! إذا كنت قادرة أن تلبي طلب المتوسل فأعطني زوجة بروعة تمثال تلك الفتاة ، الذي صنعته بنفسي . . .

لم يجرؤ بيغماليون على الطلب من الآلهة أن تحيي تمثاله ، فقد كان يخاف أن يثير بهذا الطلب سخـط آلهـة الأولب . انـدلـع لهب القـربـان ساطعـاً أمام تمثال أفروديت ربة الحب ، وكانت تلك إشارة من الربة لبيغماليون أنها سمعت توسله .

وعـاد الـفنـان إلى داره ، ولم يكـد يقـترب من التمثـال حتى . . . أوه ياللسعـادة ، ياللفـرح ! لقـد أصبـح التمثـال حيـاً . بقلب ينبض ، وعينين تموران بالحياة . هكذا أعطت الربة أفروديت بيغماليون زوجة حسناء .

نرسيس (Narcisse) (**) : لكن من لايتعبـد لأفروديت الذهبية ، ومن يرفض عطـايـاهـا ، ومن يشق عليها عصا الطاعة ، لاتتورع ربة الحب عن إنزال العقاب

الصـــارم به . على هذا النحـــو عاقبت نرسيس الجميـــل ، ابن سيفيـــز إلــه النهـر ولير يوبة ، وكان بارداً ومتعجرفاً . ولم يكن يحب أحداً إلا نفسه ، فقد كان يعتبر أنه هو وحده الجدير بالحب .

وفي ذات مرة ضل طريقه أثناء الصيد في حرج كثيف ، فرأته الحورية إيكو. لكن الحـورية لم تستطـع أن تبدأ الحديث مع نرسيس ، فقد عاقبتها الربة هيرا[٥٦] بالصمت ، ولم يكن بمقدورها أن ترد على الأسئلة إلا بترديد الكلمات الأخيرة ـ الصـدى ، راحت إيكـو تنظـر بإعجاب إلى الشاب الرشيق والجميل . وهي مختبئة خلف الأجمة . كان نرسيس يتلفت يمنة ويسرة ، لايعرف إلا أين يتجه ، ثم صاح بصوت عال :

ـ هيه ، من هنا؟

ـ هنا ـ تردد جواب الصدى .

ـ تعالَ هنا! صاح نرسيس .

ـ هنا ـ رد الصدى .

ويتلفت نرسيس الجميـل ذات اليمين وذات اليسار ، وقد تملكته الدهشة . ولكن لم يرَ أحداً . ويصيح من فرط الدهشة :

ـ إلى هنا ، بسرعة إلى عندي .

ورد الصدى بفرح :

ـ إلى عندي .

وانـدفعت الحـوريـة نحـو نرسيس مادةً يديهـا . لكن الشاب الجميل دفعها بغضب ، ثم ابتعد عن الحورية على عجل ، واختفى في الغابة .

وفي مجاهـل الغـابـة غير السـالكـة اختبأت الحـوريـة المنبوذة ، تبكي حبها لنرسيس ، ولا تظهر لأحد ، وتكتفي إيكو المسكينة بالرد بأسى على كل صيحة .

أمـــا نرسيس فقـد ظل كما كان متعجـرفـاً ومتيّـماً بنفسـه . كان يرفض حب

الجميع ، وقد جعل الكثير من الحوريات بائسات ، وفي ذات مرة صاحت إحدى الحوريات اللواتي رفضهن :

- ألا فلتقع بدورك في الحب يانرسيس ! وليكن الانسان الذي ستقع في حبه لايبادلك الحب .

وتحققت أمنية الحورية . فقد غضبت ربة الحب أفروديت من رفض نرسيس هداياها ، فأنزلت عقابها به . ففي ذات مرة ، وكان الوقت ربيعاً ، اقترب نرسيس ، أثناء الصيد ، من جدول ماء ، وهمّ أن يروي غليله من الماء البارد . ولم يكن قد سبق أن شرب من مياه هذا الجدول لا الرعاة ولا الماعز الجبلي ، ولم يسبق أن وقع في الجدول غصن ساقط ، حتى الريح لم تحمل إلى الجدول وريقات الأزهار الزغبية . فكانت مياهه نقية وشفافة .

وكما في المرآة كان كل شيء ينعكس على صفحته : الشجيرات النامية على الضفة ، والسرو المشوق ، والسماء الزرقاء . انحنى نرسيس على الجدول ، واستند بيديه على حجر يبرز من الماء ، فانعكست طلعته البهية في مياهه بكل روعتها .

وهنا أحاق به عقاب أفروديت . فقد راح ينظر ذاهلاً إلى صورته في الماء ، واستولى عليه الحب القوي . كان ينظر إلى صورته في الماء بعينين ملؤهما الوله والهيام ، وهو ويناديها ، يهتف بها ، يمد لها يديه . وينحني نرسيس فوق المرآة المائية كي يلثم صورته ، لكنه إنما يلثم ماء الجدول البارد الشفاف . ونسي نرسيس كل شيء : ولم يعد يغادر الجدول ، وهو منكب على صورته يتأملها دون انقطاع ، لايأكل ولايشرب ولاينام . أخيراً يصيح نرسيس يائساً ، وهو يمد يديه نحو صورته :

- أوه من أصابه مثل هذا العذاب القاسي ! أن يفرق بيننا ليس الجبال ولا

البحار، بل صفحة الماء، ومع ذلك فلا قدرة لنا على أن نكون وإياك معاً. هلا خرجت من الجدول!

استغرق نرسيس في التفكير، وهو منكب عل تأمل صورته في الماء. وفجأة استولت عليه فكرة مرعبة، فراح يهمس لصورته، وهو منحن فوق الماء:

- ياللمصيبة! أخاف أن أكون قد وقعت في حب نفسي. فأنت أنا بالذات. إنني أحب نفسي! إنني أشعر أنه لم يبق لي من الحياة إلا القليل. فلن أكاد أزدهر حتى أذبل، وأهبط إلى مملكة الأشباح الكئيبة. إن الموت لا يخيفني. فالموت كفيل بوضع حد لعذاب الحب.

وتخور قوى نرسيس، ويشحب لونه، ويشعر بدنو أجله، ومع ذلك فلا يستطيع الابتعاد عن صورته. ويبكي نرسيس، فتنسكب دموعه في مياه الجدول الرقراق. وتتداح على سطح الماء البلوري الدوائر، فتختفي الصورة الرائعة. ويصيح نرسيس بخوف:

- أوه، أين أنتِ؟ عودي! ابقي. لاتغادريني: إن هذا ظلم. دعيني أملي الطرف منك.

لكن هاهوذا الماء قد عاد هادئاً، وتظهر الصورة من جديد. ومن جديد يعود نرسيس يتأملها دون انقطاع. ويذوب كما الندى على الأزهار تحت أشعة الشمس الساخنة. وترى الحورية إيكو مدى عذاب نرسيس. إنها لاتزال على حبها له، وتشعر بقلبها ينفطر وهي ترى عذابه.

- ياللمصيبة - يصيح نرسيس.

- مصيبة - يأتي جواب إيكو.

أخيراً يصيح نرسيس المنهك، بصوت واهن، وهو ينظر إلى صورته:

- وداعاً.

ويأتي جواب الحورية إيكو أضعف، بالكاد يسمع:

ـ وداعاً.

مال رأس نرسيس على أعشاب الضفة الخضراء، وأغمضت ظلمة الموت عينيه. مات نرسيس. فبكت الحوريات في الغابة. وبكت إيكو. وأعدت الحوريات القبر لنرسيس الشاب، لكنهن حين جئن لأخذ جثمانه لم يعثرن له على أثر. ففي ذلك المكان، حيث مال رأس نرسيس على الأعشاب نمت زهرة بيضاء عبقة إنها زهرة الموت، وقد سميت بالنرسيس (النرجس).

أدونيس(٥٧):

لكن ربة الحب، التي أنزلت بنرسيس مثل هذا العقاب، عرفت بدورها عذاب الحب. واضطرت لأن تندب حبيبها أدونيس(٥٨). لم يكن ثمة بين الفانين من يعادل أدونيس، ابن ملك قبرص، جمالاً، فقد كان أروع من آلهة الأولمب. ومن اجله نسيت أفروديت بطموس وكيثيرا المزهرة. كان أدونيس أحب إليها من الأولمب المشرق، كانت تمضي جل وقتهامع أدونيس الشاب. فكانت تصطاد وإياه في جبال قبرص وأحراجها، على غرار أرتيميس العذراء. ونسيت أفروديت حليها الذهبية، جمالها. فتحت أشعة الشمس الحارقة، وفي الطقس السيء، كانت تذهب لصيد الأرانب والأيائل والوعول الرعديدة، متجنبة صيد الأسود المخيفة والخنازير البرية. وقد رجت أدونيس ألاّ يصطاد الأسود والدببة والخنازير البرية، كي لايصاب بسوء. نادراً ماكانت أفروديت تفارق ابن الملك، وفي كل مرة كانت تفارقه كانت تتوسل إليه أن يتذكر رجاءها.

وفي ذات مرة وقعت كلاب أدونيس، أثناء الصيد، على أثر خنزير بري كبير. فاندفعت تطارده بنباح يصم الآذان. سر أدونيس بهذه الطريدة الدسمة، ولم يخطر له ببال أن ذلك كان صيده الأخير. أصبح نباح الكلب أقرب فأقرب،

وهاهو الخنزير البري الضخم يظهر بشكل خاطف بين الخمائل. وهاهو أدونيس يتهيأ لصرع الوحش الهائج برمحه، لكن فجأة هجم الخنزير عليه وبأنيابه الهائلة جرح حبيب أفروديت جرحاً قاتلاً. قضى أدونيس نحبه بسبب الجرح الفظيع.

علمت أفروديت بموت أدونيس، فهامت بقلب مفجوع على وجهها في جبال قبرص تبحث عن جثمان حبيبها الشاب. سارت أفروديت عبر الشعاب الجبلية الشديدة الانحدار، بين الوديان المعتمة وعلى شفا الهوى السحيقة. فكانت الصخور الحادة وأشواك القتاد تجرح قدمي الربة الناعمتين. وكانت قطرات دمها تسقط على الأرض، تاركة الأثر في كل مكان مرت فيه. أخيراً عثرت أفروديت على جثمان أدونيس. بكت بمرارة الشاب الجميل الذي رحل مبكراً. ولكي تبقى ذكراه خالدة أوعزت أفروديت أن تنمو شقائق النعمان اللطيفة محل دم أدونيس. وحيث سقطت قطرات الدم من قدمي الربة نمت في كل مكان الأزهار الخلابة، القانية مثل دم أفروديت. وقد رثى زوس، قاذف الصواعق، لها في مصابها. فأوعز لأخيه هادس وزوجته بيرسيفونة بالسماح لأدونيس بالقدوم من مملكة الأشباح الكئيبة إلى الأرض كل عام. ومنذ ذلك الحين يمضي أدونيس نصف العام في مملكة هادس، والنصف الآخر على الأرض برفقة الربة أفروديت. الطبيعة كلها تمور فرحاً حين يعود إلى الأرض، إلى أنوار الشمس الساطعة، أدونيس الشاب الجميل، حبيب أفروديت.

إيروس:

كانت أفروديت الحسناء تسيطر على العالم. وكان لديها، على غرار زوس قاذف الصواعق، رسولها الخاص، الذي تقوم بتنفيذ مشيئتها من خلاله. إنه ابنها إيروس، وهو صبي مرح، كثير الشيطنة، محتال، لابل وحتى ظالم. وايروس يحلق

على جناحيه الذهبيين الرائعين فوق الأراضي والبحار. وهو سريع وخفيف كهبوب الريح. في يديه قوس ذهبي صغير، وقد تنكب جعبة السهام. ولا يوجد من هو عصي على هذه السهام، التي لاتخطىء هدفها. فايروس كنبّال لايقل في دقة التسديد مهارة عن أبولون، ذي الشعر الذهبي.

وسهام ايروس تحمل الفرح والسعادة، لكنها غالباً ماتجر عذاب الحب وتباريح الهوى. لابل وحتى الهلاك.

كان زوس يعرف كم من الأحزان والمصائب يجر ابن أفروديت على العالم. ولذا فقد أراد أن يقتله منذ ولادته. لكن هل كان بوسع والدته السماح بذلك؟ وهكذا فقد خبأت إيروس في غابة غير سالكة. وهناك في مجاهل الغابات أرضعته لبوتان كاسرتان من حليبهما. نما إيروس وترعرع، وهاهو يطوف العالم كله، شاباً جميلاً، يزرع بسهامه السعادة تارة والحزن تارة أخرى. الخير مرة والشر مرة.

هيمينايوس (Hymenée):

وهناك مساعد آخر لأفروديت ووصيف لها، إنه هيمينايوس. إله الزواج، الذي يحلق بجناحيه الناصعي البياض في مقدمة مواكب الزفاف، وفي يديه مشعل الزواج يسطع ويتوهج. وفي أثناء العرس تروح جوقة الفتيات تدعوه، وتتوسل إليه أن يبارك زواج العروسين، ويرزقهما حياة سعيدة.

هيبايستوس (Hephaistos):

ابن زوس وهيرا، إله النار، الإله الحداد، والذي لايقارن به أحد في فن الحدادة. ولد هيبايستوس ضعيف الجسم، أعرج الساقين. ولاتسل عن غضب

هيرا العظيمة حين أراها ولدها القبيح والضعيف، وقد أخذته، ورمت به من على الأولمب نحو الأسفل، إلى الأرض البعيدة.

ظل الطفل المسكين يحوم في الجو طويلاً إلى أن سقط أخيراً في أمواج البحر الشاسع. وقد أشفقت عليه ربة البحر. . أورنومة (Euynome) ابنة الأوقيانوس العظيم وثيتيس ابنة نيريوس شيخ البحر العراف، فرفعتا هيبايستوس، الصغير، الذي سقط في البحر، وحملتاه إلى الأعماق، تحت مياه الأوقيانوس الشائب. وهناك، في كهف لازوردي، قامتا بتربيته. شب الإله هيبايستوس قبيح الشكل، أعرج الساقين، لكن بيدين جبارتين، وصدر عريض، ورقبة مفتولة العضلات. وكان معلماً بارعاً في حرفة الحدادة. وقد صنع الكثير من الزخارف الرائعة من الذهب والفضة لمربيتيه أورينومة وتيثيس.

ظل هيبايستوس لفترة طويلة غاضباً من والدته، الربة هيرا، إلى أن قرر أخيراً الانتقام منها لأنها قذفت به من على الأولمب فصنع كرسياً فريداً في جماله، وأرسله إلى الأولمب هدية لأمه. ولاتسل عن فرح زوجة زوس إذ رأت هذه الهدية الرائعة. فعلاً لايليق الجلوس على هذا الكرسي الرائع إلا بملكة الآلهة والناس. لكن ـ ياللفظاعة. فما إن جلست هيرا في الكرسي حتى التفت عليها الأصفاد المتينة،. ووجدت هيرا نفسها مقيدة إلى الكرسي. وقد سارع الآلهة لإنقاذها. لكن عبثاً، فلم يستطع أي منهم إنقاذ الربة هيرا. وأدرك الآلهة أن هيبايستوس الذي صنع هذا الكرسي، هو وحده القادر على تخليص والدته.

وللحال أرسلوا هرمس وراء الإله الحداد. وانطلق هرمس كالزوبعة إلى نهاية العالم، حيث سواحل المحيط، وفي غمضة عين قطع هرمس البر والبحر، ووصل الكهف، الذي يعمل فيه هيبايستوس، أمضى وقتاً طويلاً في التوسل إليه أن يحرر الملكة هيرا، لكن الإله الحداد رفض ذلك بتاتاً. وقد جاء ديونيزوس، إله الخمرة، لنجدة هرمس. أطلق ديونيزوس ضحكة مجلجلة، وهو يقدم لهيبايستوس

قدح الخمـرة الـريّـانـة ، ثم قدم له قدحاً آخر فآخر وآخر. ولم يلبث هيبايستوس أن سكر، وصار بالإمكان أن تفعل به ماتريد ـ تنقله إلى حيث تريد . أجلس هرمس وديـونيـزوس هيبـايستـوس على حمار، ثم نقـلاه إلى الأولب . وكـان هيبايستوس يتمايل على ظهر الحمار، ومن حوله كانت الميندادات (Le Menades) (٦٠) ترقص بمرح وقـد التف اللبـلاب عليهن ، وفي أيـديهن أكـواز الخمـرة. وكـانت الساطورات الثملات يقفزن بشكل أخرق، وانتشر دخان المشاعل، وتردد عالياً قرع التيجبـان(٦١) ، وضـرب الـدفـوف، وفي المقدمة كان يسير ديونيزوس في إكليل من الكرمة . كان الموكب يسير بمرح. أخيراً وصلوا الأولب . وفي لحظة واحدة أطلق هيبايستوس سراح والدته ، ولم يعد غاضباً منها .

وبقي هيبـاستـوس يعيش في الأولب . وهنـاك بنى للآلهـة القصور الذهبية الفخمة ، وشيد لنفسه قصراً من الذهب والفضة والبرونز. وفيه يعيش مع زوجته الحسناء هاريتا البشوشة ، ربة الرشاقة والجمال . (٦٢) .

وفي هذا القصـر يوجـد مشغـل هيبـايستـوس ، حيث يمضي جل وقته . في وسـط المشغـل ينتصب سنـدان هائـل ، وفي الزاوية ـ الأتون بناره المتقدة والكير . والكـير غريب ، عجيب : فلا داعي لأن تحركـه بيـديـك ، بل يتحـرك بإيعـاز من هيبـايستـوس ، المنكب على العمـل في مشغله ، وقـد بلله العرق ، وأسود كله من الغبـار والسخـام . ويـالـروعة الأشياء التي يصنعها : السلاح الذي لايقهر، الحلي الـذهبيـة والفضيـة ، الأقـداح ، الأكـواب ، القوائم ثلاثية الأرجل ، التي تتدحرج بنفسها على عجلات ذهبية .

ماإن ينجـز هيبـايستـوس عمله ، ويغسل في الحمام العبق العرق والسخام ، حتى يسير وهو يعرج ويتمايل على قدميه الضعيفتين إلى مأدبة الآلهة ، إلى والده زوس ، قاذف الصـواعق . وغـالبـاً مايئد ببشـاشتـه وطيبـة قلبـه النزاع ، وشيك الـوقـوع ، بين زوس وهـيرا . ولايتمـالـك الآلهة أنفسهم عن الضحك حين يرون

هيبايستوس الأعرج، وهو يدور من حول طاولة المآدب، يصب للآلهة الرحيق الزكي.

لكن الإلـه هيبـايستـوس يمكن أن يكـون رهيباً، الكثير ون جربوا قوة ناره والضـربـات القـوية الفظيعة تسددها مطرقته الهائلة. حتى أنه استطاع أن يخضع بناره أمواج نهري كسانف وسيمويس الصاخبين.

إن إله النار العظيم، هيبايستوس الحداد الماهر يهب الدفء والسعادة، وهو رؤوف وبشوش، لكنه صارم في قصاصه.

ديميترا[٦٣] Démetér وبرسفونة Perséphone :

إن الـربـة العظمى ديميـترا قويـة جبـارة. فهي تهب الخصب للأرض، وبـدون قوتهـا الخـيرة لاينبت شيء، لافي الغابات الظليلة، ولا في المروج الغناء، ولا في الحقول الخصبة..

هادس يختطف برسفـونة[٦٤]: كان لدى الربة ديميترا ابنة حسناء اسمها برسفـونـة، وكـان زوس قاذف الصـواعق هووالـد برسفـونة. وفي ذات مرة كانت برسفـونـة تتنـزه مع صديقـاتهـا الأوقيانوسيات، وتمرح في وادي نيسيه[٦٥]، المزدان بالأزهـار. ومثـل الفـراشة الخفيفة الجناحين كانت ابنة ديميترا تنتقل من زهرة إلى زهـرة. كانت تقطف الـورود المكتنـزة. والبنفسـج الفـواح، والليـلاك النـاصـع البيـاض، والـزنبق الأحمـر. كانت برسفونة تلهو، لاتعرف الهموم، دون أن تعرف ذلك المصير الذي أعده لها أبوها زوس. ولم يخطر لبرسفونة ببال أنه سيمضي وقت طويـل قبـل أن ترى ضوء الشمس المشرق من جديد، وسيمضي وقت طويل قبل أن تمتـع النظـر برؤيـة الأزهـار، وتستنشق أريجهـا العطر. كان زوس قد خصصها

زوجة لأخيه هادس الكئيب، ملك عالم أشباح الموتى، وكان على برسفونة أن شاطره العيش في عتمة العالم السفلي، محرومة من ضوء شمس الجنوب الحارة.

شاهد هادس برسفونة وهي تمرح في وادي نيسيه، وللحال قرر اختطافها. وقد توسل إلى غايا، ربة الأرض، أن تنبت زهرة فريدة الجمال، وافقت الربة غايا، وأنبتت زهرة رائعة في وادي نيسيه، كان أريجها المسكر يتضوع بعيداً في كل الجهات. . رأت برسفونة الزهرة، وهاهي تمد يدها، وتمسك بها وتقطفها، وفجأة مادت الأرض، ومن الأرض ظهر هادس في مركبة ذهبية، تجرها خيول سوداء. قبض هادس على برسفونة، ورفعها إلى مركبته، وفي غمضة عين اختفى في جوف الأرض. ولم تتمكن برسفونة إلا من إطلاق صرخة. ولم ير أحد كيف اختطف هادس الكئيب برسفونة. وحده إله الشمس هيليوس رأى ذلك.

سمعت الربة ديميترا صرخة برسفونة، فأسرعت إلى وادي نيسيه، وراحت تبحث عن ابنتها في كل مكان، لكنها لم تعثر لها على أثر.

تملك الحزن القاسي قلب ديميترا على ضياع ابنتها الوحيدة الحبيبة، وأمضت تسعة أيام، وهي لابسة الثياب الداكنة، تضرب في الأرض، وتذرف الدموع المرة. كانت تبحث عن برسفونة، في كل مكان، وتطلب المساعدة من الجميع، لكن أحداً لم يستطع مساعدتها في مصابها. أخيراً، وفي اليوم العاشر، وصلت إلى هيليوس إله الشمس، وراحت تتوسل إليه بدموعها:

- ألا ياهيليوس المتألق! إنك تقطع الأرض والبحار عالياً في السماء في مركبتك المذهبة، وأنت ترى كل شيء، ولاتخفى عليك خافية، إذا كان لديك ولو قليل من الشفقة على الأم المسكينة فاخبر ني أين علي أن أبحث عن ابنتي. لقد سمعت صرختها. لقد اختطفوها مني. فاخبر ني من اختطفها.

وأجاب هيليوس المتألق ديميترا:

- أنت تعرفين - أيتها الربة العظيمة - كم أحترمك. وأنت ترين كم أنا حزين

لرؤية مصابك. اعلمي أن زوس العظيم، سائق السحاب قد زوج ابنتك لأخيه هادس الكئيب، وقد اختطف هادس برسفونة، ونقلها إلى مملكته الملأى بالفظائع. فتغلبي على حزنك الثقيل أيتها الربة: فزوج ابنتك عظيم. لقد أصبحت زوجة الأخ الجبار لزوس العظيم.

غضبت ديميترا من زوس، قاذف الصواعق، لأنه قام، دون موافقتها، بتزويج برسفونة لهادس، وهكذا فقد غادرت الإلهة الأولمب، وتنكرت في شكل فانية بسيطة، وارتدت الثياب الداكنة، وطافت طويلاً بين الفانين، وهي تذرف الدموع المرة.

توقف كل شيء عن النمو على الأرض. وذبلت الأوراق على الأشجار وتطايرت، وكانت الغابات تقف عارية، واصفرت الأعشاب، وأطرقت الأزهار بأكاليلها المبرقشة. وخلت البساتين من الثمار، ويبست الكرمة الخضراء، ولم تنضج عليها العناقيد الثقيلة. وأصبحت السهول الخصبة خاوية على عروشها، لاينمو فيها شيء. توقفت الحياة على الأرض، وضرب الجوع أطنابه في كل مكان، وتردد البكاء والأنين. كان الجنس البشري كله مهدداً بالهلاك. لكن ديميترا لم تر شيئاً. ولم تسمع شيئاً، وهي غارقة في حزنها.

أخيراً وصلت ديميترا مدينة إيلوزيس. وهناك، عند أسوار المدينة، جلست في ظل زيتونة على «صخرة الحزن» بالقرب من «بئر العذارى». كانت ديميترا جالسة دون حراك كأنها تمثال. وكان ثوبها الداكن بطياته المستقيمة يلامس الأرض، وكانت مطرقة الرأس، ومن عينيها تتدحرج الدموع، وتسقط على صدرها.

رأتها بنات سيليوس، ملك إيلوزيس. فقد دهشن حين رأين لدى الجدول امرأة تبكي في ثياب داكنة، فاقتربن منها، وسألنها بتعاطف عمن تكون. لكن الربة ديميترا لم تكشف لهن عن شخصيتها. بل قالت لهن أن اسمها ديووأن

أصلهـا من كريت، وأن قطـاع الطـرق خطفـوهـا، لكنهـا هربت منهم، إلى أن وصلت إيلوزيس، بعـد أن ضربت في الأرض طويـلاً. وطلبت ديميترا من بنات سيليوس، أن ينقلنها إلى داروالدهن، وقد وافقت على أن تصبح خادمة لأمهن، وأن تربي الأطفـال وتعمـل في دار سيليـوس. رافقت بنـات سيليوس ديميترا إلى أمهن ميتانير (Metanire).

ولم يخطـر ببـال بنـات سيليـوس أنهن أدخلن ربة إلى دار أبيهن. لكن لدى دخـول ديميـترا البيت لامست برأسهـا أعلى البـاب، فغمـر النور الساحر البيت كله. وقفت ميتـانـير للقـاء ديميترا، فقد أدركت أن القادمة ليست إنساناً عادياً. انحنت زوجـة سيليـوس أمـام الغـريبـة، ورجتهـا أن تجلس مكـان الملكة. لكن ديميـترا رفضت، وجلست في كرسي الخـادمـة البسيطة صامتة، وهي لاتزال غير مبـاليـة بكـل مايجـري من حولها. وإذ رأت يامبا المرحة، خادمة ميتانير مدى حزن الغـريبـة، راحت تحاول تسليتهـا. فعمـدت إلى خدمتها وخدمة سيدتها بمرح، وكان ضحكها يتردد عالياً. وهي لاتكف عن إطلاق النكات. وابتسمت ديميترا لأول مرة منـذ أن اختطف هادس الكئيب برسفـونـة منهـا، ووافقت للمـرة الأولى على تذوق الطعام.

بقيت ديميترا لدى سيليوس. وراحت تربي ابنه ديموفون. قررت الربة أن تهب الخلود لديموفون، فوضعت الطفل على ركبتيها، وراحت تنفخ فيه من روح الخلود الـربـاني، وتفرك جسمه بطعام الآلهة، الذي يهب الخلود، وحين كان جميع من في بيت سيليوس يأوون إلى مضاجعهم ليلاً، كانت تضع ديموفون في الفرن المتـوهـج، بعـد أن تلفـه بالأقمطة. لكن ديموفون لم يوهـب الخلود. وفي ذات مرة رأت ميتانير ابنها راقداً في الفرن، فاستبد بها الخوف، وراحت تتوسل إلى ديميترا أن لاتفعـل ذلـك. غضبت ديميـترا من ميتـانير، وأخرجت ديموفون من الفرن، وهي تقول:

ـ يالك من جاهلة، كنت أريد أن أهب الخلود لابنك وأجعله منيعاً، ألا فاعلمي أنني ديميترا، واهبة القوة والفرح للفانين والخالدين.

كشفت ديميترا لسيليوس وميتانير هويتها، وعادت إلى صورتها الالهية العادية. انسكب النور الالهي في دار سيليوس. ووقفت الربة ديميترا عظيمة رائعة، وقد تدلى شعرها الذهبي على كتفيها، وكانت عيناها تتوهجان حكمة، ومن ثيابها كان يفوح الأريج العبق، فركعت أمامها ميتانير وزوجها.

أمرت الربة ديميترا ببناء معبد في ايلوزيس عند نبع كاللليمور، وبقيت تعيش فيه. وفي هذا المعبد أحدثت ديميترا الاحتفالات بنفسها.

لم يفارق الشوق، إلى الابنة المحبوبة ديميترا، كما لم تنسَ غضبها من زوس. وظلت الأرض عقيمة مجدبة. وتفاقم الجوع أكثر فأكثر، لأن عشبة واحدة لم تنبت في أراضي المزراعين. وعبثاً كانت الثيران تجر المحراث الثقيل، فقد كان عملها عقيماً لاجدوى منه. انقرضت قبائل بكاملها. كان عويل الجائعين يصل عنان السماء، لكن ديميترا لم تولهم اهتمامها. وأخيراً، لم تعد تدخن على الأرض القرابين للآلهة الخالدين، وأصبح الهلاك يتهدد كل ماهو حي. لم يرغب زوس، سائق السحب، في هلاك الفانين، فأرسل إلى ديميترا إيريدا، رسولة الألهة، التي أسرعت على جناحي قوس قزح إلى مغبد ديميترا في ايلوزيس، ونادتها، وتوسلت إليها أن تعود إلى الأولمب، إلى مقر الآلهة لكن ديميترا لم تصغِ إلى توسلاتها. وعاد زوس العظيم فأرسل آلهة آخرين إلى ديميترا، لكن الربة لم ترغب في العودة إلى الأولمب حتى يعيد هادس برسفونة لها.

وحينذاك أرسل زوس هرمس السريع سرعة الخواطر إلى هادس. نزل هرمس إلى مملكة هادس، ومثل أمام حاكم أرواح الموتى، الجالس على عرشه الذهبي، ونقل إليه مشيئة زوس.

وافق هادس على ترك برسفونة تذهب إلى والدتها، وقبل ذلك جعلها تبتلع

حبة رمان، رمز الزواج. صعدت برسفونة برفقة هرمس إلى مركبة زوجها الذهبية، وانطلقت جياد هادس الخالدة، التي لم تكن تخشى أية عوائق، وفي غمضة عين وصلت إيلوزيس.

ومن فرط الفرح اندفعت ديميترا للقاء ابنتها وعانقتها، فمن جديد عادت إليها برسفونتها الحبيبة، وقد عادت ديميترا إلى الأولمب معها. وحينذاك قرر زوس أن تمضي برسفونة ثلثي العام مع والدتها، أما الثلث الآخر فتعود خلاله إلى زوجها هادس.

أعادت ديميترا للأرض خصبها، ومن جديد أزهر كل شيء واخضوضر. وارتدت الغابات الأوراق الربيعية الغضة، ووشت الأزهار أعشاب المروج باللون الزمردي. ولم يمض من الوقت إلا أقله حتى نمت السنابل، وازدهرت الحدائق وعبقت، ولمعت تحت أشعة الشمس خضرة الكرمة. استيقظت الطبيعة كلها. كل ماهو حي كان سعيداً، ويمجد ديميترا، الربة العظيمة وابنتها برسفونة.

لكن برسفونة تفارق أمها كل عام، وفي كل مرة تغرق ديميترا في حزنها، ومن جديد ترتدي الثياب الداكنة، وتحزن الطبيعة كلها على غياب برسفونة. فتصفر أوراق الأشجار، وترمي الرياح الخريفية بها، وتسقط الأزهار، ويدب الخواء في السهول، ويحل الشتاء. فتنام الطبيعة كي تستيقظ في حلة الربيع البهيجة، حين تعود برسفونة إلى أمها من مملكة هادس الحزينة. حين تعود لديميترا ابنتها تقوم ربة الخصب فتغدق بيدها السخية الخير على الناس، وتكافىء جهد المزارعين بالمحصول الوافر.

تريبتوليموس Triptoléme : عمدت الربة ديميترا، واهبة الخصب للأرض، إلى تعليم الناس زراعة السهول. فقد أعطت تريبتوليموس الشاب، ابن ملك إيلوزيس بذار القمح، فكان أول من حرث الحقل بالمحراث قرب

إيلوزيس، وألقى بالبذار في الأرض الداكنة. وأعطى الحقل، الذي باركته ديميترا نفسها، محصولاً وافراً. وبإيعاز من ديميترا قام تريبتوليموس بجولة على كل البلدان في مركبة رائعة، تجرها تنانين مجنحة، وعمَّ الناس في كل مكان الزراعة.

وزار تريبتوليموس سيثيا البعيدة وملكها لينكوس Lyncos . حيث علمه الزراعة أيضاً. لكن ملك السيثيين الفخور قرر أن ينتزع من تريبتوليموس شهرة معلم الزراعة، وأراد أن ينسب هذا المجد لنفسه. قرر لينكوس قتل تريبتوليموس وهو نائم، لكن ديميترا لم تمكنه من ارتكاب فعلته الآثمة، وقررت إنزال العقاب بلينكوس لأنه انتهك تقليد حسن الضيافة، فرفع يده على مبعوثها.

تسلل لينكوس ليلاً إلى المخدع، الذي كان تريبتوليموس ينام فيه آمناً، وماإن رفع المدية فوق النائم حتى مسخت ديميترا ملك السيثيين فهداً.

اختفى في الغابات المعتمة لينكوس، الذي مسخ فهداً، أما تريبتوليموس فقد غادر بلاد السيثيين لكي يعلم الناس، وهو ينتقل من بلد إلى بل، في مركبته الرائعة، الزراعة، الهبة العظيمة لديميترا.

ايريسيختون Erysichthon : لم يكن لينكوس ملك السيثيين هو وحده الذي عاقبته ديميترا، فقد عاقبت أيضاً ايريسيختون، ملك تساليا. كان ايريسيختون مغروراً كافراً، فلم يتعبد الآلهة أبداً، ولم يقدم القرابين لها.

ثم إن ايريسيختون وجه إهانة وقحة للربة ديميترا. فقد قرر أن يقطع في غابة ديميترا المقدسة شجرة بلوط عمرها مئة عام، كانت مسكناً للدريادا، التي تكن لها ديميترا كل الحب. ولم يرعو اريسيختون عن غيه.

وصاح الكافر: ـ حتى ولولم تكن هذه محبوبة ديميترا، بل ولوكانت الربة نفسها، فلسوف أقطع شجرة البلوط هذه.

انتزع أريسيختون البلطة من يدي الخادم ، وغمدها عميقاً في الشجرة ، فتردد أنين ثقيل في جوف الشجرة ، وانبجس الدم من لحائها ، وقف خدم الملك أمام الشجرة ذاهلين. وقد تجاسر أحدهم فحاول إيقافه ، لكن ايريسيختون الغاضب قتله ، وهو يصيح :

- هاك مكافأتك على طاعتك للآلهة .

قطع ايريسيختون شجرة البلوط ، ذات المئة عام . فسقطت شجرة البلوط على الأرض بضجة كما الأنين ، وماتت الدريادا ، التي تعيش فيها .

لبست دريادات الغابة المقدسة الثياب الداكنة ، وجئن إلى الربة ديميترا ، وتوسلن إليها أن تعاقب اريستختون ، الذي قتل صديقتهن . غضبت ديميترا ، وأرسلت في طلب ربة الجوع . انطلقت الدريادا التي أرسلتها على عجل ، في مركبة الدريادات ، التي تجرها التنانين المجنحة ، إلى بلاد سيثيا ، نحو جبال القوقاس ، وهناك على جبل عقيم عثرت على ربة الجوع شاحبة الوجه ، غائرة العينين ، منفوشة الشعر ، ذات بشرة مجعدة ، لايوجد تحتها إلا العظام . نقلت الدريادا مشيئة ديميترا لربة الجوع ، فامتثلت هذه الأمرها .

جاءت ربة الجوع إلى بيت ايريسيختون ونفخت فيه الجوع الذي لايشبع ، الذي يحرق كل جوفه . وكلما أكل ايريسيختون أكثر ازداد عذاب الجوع شدة . وقد أنفق كل ثروته على الطيبات المختلفة ، التي كانت إنما توقظ في ايريسيختون ، وبشكل أقوى ، الجوع الذي لايشبع . أخيراً لم يبق لدى ايريسيختون شيء إلا ابنته . ولكي يحصل على النقود ، ويشبع نهمه ، باع ابنته أمة . لكن ابنته حصلت من الإله بوزيدون على موهبة اتخاذ أية هيئة ، فكانت في كل مرة تتخلص ممن يشترونها ، تارة في هيئة طائر ، وأخرى في هيئة حصان ، وفي هيئة بقرة تارة أخرى .

باع ايريسختون ابنته مرات كثيرة ، لكن مادره عليه هذا البيع من النقود كان قليلاً . كان الجوع يعذبه أكثر فأكثر ، وكانت معاناته تشتد وتشتد إلى أن

أصبحت لاتطاق، وأخيراً راح ايريسيختون يمزق جسمه بأسنانه، ومات في عذاب فظيع.

الليل، القمر، الفجر والشمس:

هاهي ربة الليل نوكس (Nyx) تقطع السماء على متن مركبة تجرها أربعةجياد، وقد حجبت الأرض بغطائها الداكن، ولفت العتمة كل شيء. ومن حول مركبة ربة الليل تتزاحم النجوم، وهي تسكب على الأرض ضوءاً خافتاً غير ثابت - إنهم أبناء ربة الفجر إيوس من زوجها استرايوس (Astraeos) الشاب. إنهم كثيرون. حيث يرصعون كل سماء الليل الداكنة. وها قد بدا وكأن وميضاً خفيفاً قد ظهر في الشرق، راح يتوهج رويداً رويداً. إنها ربة القمر سيلينه (Selene) تشرق في السماء، تجر مركبتها ببطء عبر السماء الثيران ذات القرون المفتولة. وبكل هدوء وعظمة تتقدم ربة القمر في ثيابها البيضاء الطويلة، وقد ازدان غطاء رأسها بالهلال. إنها ترسل نورها بكل أمان إلى الأرض الفانية، فتغمر كل شيء بالألق الفضي. وبعد أن تقطع قبة السماء تهبط ربة القمر إلى الكهف العميق في جبل لاثما في كاريا، حيث يرقد إنديميون[٦٦] الجميل، الغارق في النوم الأبدي. إن سيلينه تحبه. فنراها تنحني عليه، تلاطفه، وتهمس بكلمات الحب له. لكن إنديميون الغارق في النوم، لايسمعها ولذا فإن سيلينه حزينة هكذا، وحزين ذلك النور الذي تصبه على الأرض. أصبح النهار وشيكاً، فمنذ عهد بعيد هبطت ربة القمر من قبة السماء. وبدا الشرق أكثر ضياء، ففي الشرق تألقت نجمة الصبح يوسفروس، بشير الفجر وتهب نسيمات خفيفة. ويزداد الشرق تألقاً. وهاهي إيوس، ربة الفجر وردية الريش تفتح البوابة، التي سيخرج منها عما قريب هيليوس - إله الشمس الساطع. وفي ثوبها الزعفراني الفاتح تحلق ربة الفجر على

أجنحتها الوردية إلى السماء المشرقة، وقد غمرها النور الوردي. ومن الوعاء الذهبي تصب الربة الندى على الأرض، فيغمر الندى العشب والازهار بالقطرات المتلألئة كالماس، كل شيء على الأرض يفوح بأريجه العبق، وفي كل مكان تنتشر الروائح الزكية. وترحب الأرض المستيقظة بهيليوس، إله الشمس بكل فرح.

ومن سواحل الأوقيانوس ينطلق الإله الساطع نحو السماء في مركبة ذهبية من صنع الإله هيبايستوس، تجرها أربعة جياد مجنحة. وعلى ذرى الجبال تنسكب أشعة الشمس المشرقة، فتبدو وكأنها سكبت بالنار. ولدى رؤية إله الشمس تفر النجوم من قبة السماء، وتختفي واحدة إثر أخرى في أحضان الليل المظلم، وشيئاً فشيئاً ترتفع مركبة هيليوس. إنه يسافر عبر السماء في إكليله المتألق، وفي ثوب ساطع طويل، وهو يسكب الأشعة المنعشة على الأرض. ويهبها الضوء والدفء والحياة.

بعد أن ينهي إله الشمس طريقة النهاري ينحدر نحو مياه الأوقيانوس المقدسة. وهناك ينتظره القارب الذهبي. الذي يقله على أعقابه، نحو الشرق، إلى بلاد الشمس، حيث يوجد قصره الرائع. وهناك يخلد إله الشمس للراحة. لكي يشرق بألقه المعهود في اليوم التالي.

فائيتون Phaéton : مرة واحدة حدث خلل في النظام المعهود في العالم، ولم يخرج إله الشمس إلى السماء لكي يرسل النور للناس. وقد حدث ذلك على النحو التالي. كان لدى هيليوس ـ إله الشمس وكليمينه ابنة ثيتيس Thetis ربة البحر، ولد اسمه فائيتون. وفي ذات مرة قال له قريبه، ايبافوس[٦٧]، ابن زوس قاذف الصواعق، متهكماً:

ـ لا أصدق أنك ابن هيليوس الساطع. إن أمك لاتقول الحقيقة. إنك ابن فانٍ عادي.

تملك الغضب فائيتون، وغمرت صبغة الخجل وجهه، ثم جرى نحو والدته، وارتمى على صدرها، وراح يشكو لها ماالحق به من إهانة باكياً. لكن والدته صاحت، وهي تمد يديها نحو الشمس الساطعة:

- آه ياولدي! اقسم لك بهيليوس، الذي يرانا، والذي تراه أنت نفسك الآن، أنه أبوك.. وليحرمني من نوره إن كنت لاأقول الصدق. هلا ذهبت إليه، إن قصره ليس ببعيد، ولسوف يؤكد صحة كلامي.

وللتو انطلق فائيتون نحو هيليوس. وبسرعة وصل قصر هيليوس، الذي يتلألأ بالذهب والفضة والأحجار الكريمة. كان القصر يتألق بكل ألوان قوس قزح، وإلى هيبايستوس يعود الفضل في زخرفته الرائعة هذه. دخل فائيتون القصر فرأى هيليوس هناك، جالساً في ثوب أرجواني على عرشه. لكن فائيتون لم يستطع الاقتراب من الإله الساطع. فلم تستطع عيناه - عينا الفاني - أن تتحملا هذا التوهج المنطلق من إكليل هيليوس. وقال إله الشمس، إذ رأى فائيتون:

- ما الذي جاء بك إلى قصري ياولدي؟

- يانور العالم كله، ياوالدي هيليوس! لكن هل أجرؤ فأناديك والدي؟ - صاح فائيتون - فقط اعطني دليلاً على أنك والدي. اقضِ على ريبتي أتوسل إليك.

نزع هيليوس الأكليل الساطع، ودعا فائيتون، ثم عانقه، وهو يقول:

- نعم إنك ابني. لقد أخبرتك أمك كليمينة بالحقيقة، ولكي لايخامرك الشك لاحقاً اطلب مني ماتريد، وأقسم لك بمياه نهر ستيكس المقدس أنني سألبي طلبك.

لم يكد هيليوس يقول ذلك حتى راح فائيتون يتوسل إليه أن يسمح له بأن يسافر مكانه في المركبة الذهبية عبر السماء. وهال الإله الساطع الأمر.

- ماذا تطلب أيها المجنون! - صاح هيليوس. آه، لوكان بمقدوري أن أحنث بيميني! إنك تطلب المستحيل يافائيتون. إن ذلك فوق طاقتك، فأنت فان،

وهـل هذا من شأن الفـانين؟ حتى الآلهـة الخـالـدة غير قادرة على الثبـات في مركتبي . إن زوس العظيم قاذف الصواعق نفسه غير قادر على امتطائها ، فهل هناك من هو أشد منه بأساً ! فكر فقط : في البداية الطريق حاد جداً فوق الأرض لدرجـة أن الخـوف يتملكني حين أنظـر إلى الأسفـل ، نحـو البحـار والأراضي المنبسطـة من تحتي . وفي النهـايـة ينحـدر الطـريق بانـدفاع هائل نحو شواطيء الأوقيانوس المقدسة لدرجة أنه لولا قيادتي المحنكة لكانت مركبتي ستندفع نحو الأسفل بكل قوة وتتحطم . ربما يخطر لك أنك ستصادف الكثير من الروائع في الطريق . كلا ، إن الطريق يمر عبر المخاطر والأهوال والوحوش الكاسرة . وهو طريق ضيق ، إذا ماحـدت عنـه جانبـاً كانت بانتظـارك قرون الثـور الهـائـل ، وأصبحت تحت خطـر قوس القنطـور ، والعقرب والسرطان[٦٨] . الفظيعين . إن هنـاك الكثـير من الأهـوال على الطـريق عبر السـماء . صدقني أنني لاأريد أن أكون سبب هلاكك . أوه لو كان بوسعك أن تنفذ بنظرتك إلى قلبي وترى كم أخاف عليك ! انظر إلى ماحولك ، انظر إلى العالم كم فيه من الروائع . اطلب كل مايحلو لك ، ولن أردك خائباً . لكن لاتطلب هذا ، فأنت لاتطلب مكافأة ، بل عقاباً فظيعاً .

لكن فائيتـون لم يكن يرغب في سماع شيء ، وقـد لف عنق هيليوس بيديه ، راجياً أن ينفذ طلبه .

وأجاب هيليوس بأسى :

- طيب ، سوف أنفـذ طلبـك لأنني أقسمت بمياه ستيكس . سوف يكـون لك ماأردت ، لكنني كنت أظنك أعقل .

ثم قام فائيتـون إلى حيث تقف المـركبـة ، وراح ينظـر إليهـا بهيـام : كانت كلهـا ذهبيـة ، وتتألق بالأحجـار مختلفـة الألـوان . ثم جيء بجيـاد هيليوس المعلقة على طعام وشراب الآلهة . وبعد أن كدنت الجياد إلى المركبة فتحت إيوس

الـزهـرية اللون البوابة . دهن هيليوس وجه فائيتون بالمرهم المقدس، لكي لايحرقه وهـج أشعـة الشمس، ووضـع على رأسـه إكليلاً ساطعاً. ويسدي هيليوس آخر نصائحه لفائيتون، وهو يتنهد بحزن بالغ :

- تذكـر إرشـاداتي الأخيرة ياولدي، ونفذها إن استطعت. لاتطلق زمام الجياد، وامسك بعنانها مااستطعت إلى ذلك من قوة، فجيادي سوف تجري بنفسها. إن من الصعب كبـح جماحهـا. ولسـوف ترى الـدرب بكل وضوح في المضمار، إنه يعـبر السـماء كلهـا. لاترتفع إلى علو شاهق لكي لاتحرق السماء، ولاتنزل إلى علو منخفض كي لاتحرق الأرض كلها. لاتحد يميناً ولا شمالاً. إن طريقك يمر مباشرة بين الأفعى والمذبح[٦٩]. ولسوف أتكل في الباقي كله على القدر، فعليه وحده أعقد آمالي. والآن حان الوقت، فقد غادر الليل السماء، وأشرقت إيوس الـزهـرية اللون. اقبض على العنان بقوة. لكن ربما تعدل عن قرارك، فهو قد يجر عليك الهلاك؟ ألا دعني أنير الأرض بنفسي، ولاتلق بنفسك إلى التهلكة.

بيـد أن فائيتـون قفـز إلى المركبة بسرعة، وتشبث بالعنان. إنه سعيد فرح، ويشكـر أبـاه هيليوس، إنه على عجل من أمره. وتضـرب الجياد بحوافرها، ومن خيـاشيمهـا يتوهج اللظى، وبكل سهولة تجر المركبة، وتنطلق بسرعة عبر الضباب نحـو الأمـام، عبر الطـريق الحاد نحو السماء. إن المركبة خفيفة بشكل غير مألوف للجيـاد. هاهي ذي الجيـاد تنـدفـع عبر السـماء، وهـاهي تغـادر درب هيليـوس المعهـود، وتنـدفع على غير هدى. أما فائيتون فلا يعرف أين الطريق، وهو عاجز عن السيطـرة على الجيـاد. وحـين ألقى نظرة من أعالي السماء نحو الأرض شحب وجهـه من شدة الخـوف، فقـد كانت الأرض بعيـدة جداً في الأسفـل. وارتجفت ركبتاه، وخيمت الظلمة على عينيه. وبدأ يندم لأنه طلب من أبيه ركوب المركبة. لكن ماالعمل؟ لقد قطع مسافة طويلة، والدرب أمامه لايزال طويلاً. إن فائيتون

عاجـز عن السيطـرة على الجيـاد، وهـو لا يعـرف أسـماءهـا، ولا قـدرة له عل كبح جماحها. ومن حوله بدأت تتراءى الوحوش السماوية المخيفة، فيزداد خوفاً على خوف.

ثمـة مكـان في السماء، حيث يتمدد العقرب الرهيب الفظيع، وإلى هناك تحمـل الجيـاد فائيتـون. ولم يكـد الشـاب المسكـين يرى العقرب، المغطى بالسم الـداكن، والـذي يهدده بابـرتـه القـاتلة، حتى جن من الخـوف، وأفلت عنـان الجيـاد.. وإذ شعـرت الجيـاد بالحـريـة انطلقت بسرعة أكبر. فكانت ترتفع نحو النجوم تارة، وتنخفض تارة أخرى، فوق الأرض تقريباً. وتنظر سلينة ربة القمر، وأخت هيليـوس ذاهلة إلى جيـاد أخيها تندفع على غير هدى، ولا أحد يوجهها. ويحيـط بالأرض اللهب من المـركبـة المنخفضـة. فتهلك المـدن الكـبرى الغنيـة، وتنقـرض قبائل بكاملها. وتحترق الجبال المغطاة بالغابات: البارناس ذو الرأسين، كيثرون الظليل. هيليكون الأخضر. جبال القوقاز، تمول، إيدا، بيليون وأوسّـا[٧٠]. ويحجب الـدخـان كل شيء، ولم يعد فائيتون يرى في الدخان الكثيف أين هو، وفي الأنهـار والجـداول يبـدأ المـاء بالغليـان. وتبكي الحوريات، وتختبيء هلعـاً في المغـاور العميقة. وتغلي مياه الفرات والعاصي والفيه وايفروت[٧١] والأنهار الأخرى. ومن شدة الحر تتشقق الأرض، وينفذ شعاع الشمس إلى مملكة هادس المظلمة. وتبدأ البحار تجف، وتعاني آلهة البحار من الحر اللافح. وحينذاك نهضت الربة غايا ـ الأرض، وصاحت بصوت قوي:

- يا أعظم الآلهـة. يازوس قاذف الصـواعـف! هل يعقل أن علي أن أهلك، هل يعقل أنه يجب أن تنقرض مملكة أخيك بوزيدون؟ هل يعقل أن الهلاك سيحيق بكل ماهو حي؟ انظر! إن أطلس بالكاد يتحمل ثقل السماء. إن السماء وقصور الآلهة مهددة بالسقوط. هل يعقل أن كل شيء سيعود إلى الخواء البدائي؟ هلا أنقذت من النار ذلك الذي مازال باقياً!

سمع زوس دعاء الربة غايا، فلوح بيده اليمنى مهدداً، ورمى صاعقته المتلألئة، فأخمد بنارها النار. وبصاعقته حطم زوس المركبة، فاندفعت خيول هيليوس في شتى الاتجاهات، وتبعثرت في شتى أنحاء السماء شظايا المركبة وعدة خيول هيليوس.

أما فائيتون فقد اندفع في الجو، والشعر يحترق على رأسه. كالنجم الساقط. ووقع في أمواج نهر ايريدان[٧٢]، بعيداً عن مسقط رأسه. وهناك رفعت حوريات هسبيروس جثته ووارتها الثرى.

غطى هيليوس، والد فائيتون، وجهه حزناً، ولم يظهر طيلة النهار في السماء الزرقاء. نيران الحريق وحدها كانت تضيء الأرض.

ظلت كليمينة، أم فائيتون المسكينة، تبحث طويلاً عن ابنها الميت. أخيراً عثرت على ضفاف إيريدان، ليس على جثمان ولدها، بل على ضريحه. فراحت الأم الثكلى تبكي بحرقة فوق قبر ولدها، وكانت بناتها الهيلياد (Heliades) يبكين معها أخاهن الميت. كان حزنهن بدون حدود. وقد حولت الآلهة الهيلياد الباكيات إلى شجر صفصاف. إن الهيلياد ـ الصفصاف تقف مائلة فوق إيريدان، وتسكب دموعها ـ القطران ـ في مياهه الباردة. ويبرد القطران فيتحول إلى كهرمان شفاف.

وقد حزن على موت فائيتون صديقه سيكنوس (Cycnos). وقد انتشر تفجعه بعيداً عن ضفتي إيريدان. وإذ رأت الآلهة حزن سيكنوس المستمر حولته إلى لقلق ناصع البياض. ومنذ ذلك الوقت واللقلق سيكنوس يعيش فوق الماء. في الأنهار والبحيرات العريضة المشرقة، وهو يخاف النار، التي أودت بحياة صديقه فائيتون.

ديونيزوس Dionzsos[٧٣]:

كان زوس قاذف الصواعق مغرماً بسيميليه الحسناء، ابنة قدموس ملك

طيبة . وفي ذات مرة وعدها بأن ينفذ لها كل ماتطلب منه ، وأقسم للربة على ذلك قسماً لايحنث به ـ بالمياه المقدسة لنهر ستيكس الجوفي . لكن الربة هيرا كانت تكره سيميليه ، فأرادت إهلاكها . وهكذا فقد قالت لسيميليه :

- اطلبي من زوس أن يظهر لك بكل عظمة الإله قاذف الصواعق . ملك الأولمب . ولن يرد لك هذا الطلب إن كان يحبك .

أقنعت هيرا سيميليه ، التي طلبت من زوس أن لايردّها خائبة . ولم يكن بمقدور زوس رفض طلب سيميليه فظهر لها قاذف الصواعق بكل عظمته وبكامل روعته وبهائه . كانت الصاعقة الساطعة تتلألأ في يدي زوس ، وكان هزيم الرعد يزلزل قصر قدموس . واحترق كل شيء بسبب صاعقة زوس ، وامتدت النار إلى القصر ، وتمايل كل شيء وتداعى . وسقطت سيميليه على الأرض فزعاً ، وبدأت ألسنة اللهب تحرقها ، ورأت أنها هالكة لامحالة . وأن هيرا قد ورطتها بهذا الطلب القاتل .

أنجبت سيميليه المحتضرة ولداً هو ديونيزوس ، وكان ضعيفاً غير قادر على الحياة . وكان يبدو وكأنه قد كتب عليه أن يموت في النار . لكن هل يمكن لابن زوس أن يموت ؟ وبتلويحة عصا سحرية نبا من الأرض من جميع الجهات لبلاب أخضر كثيف ، وحمى بخضرته الطفل المسكين من النار ، وأنقذه من براثن الموت .

أخذ زوس ابنه ، الذي أنقذه ، ولما كان لايزال صغيراً وضعيفاً فقد خبأه في فخذه . وفي بدن زوس ترعرع ديونيزوس ، وإذ أصبح قوياً ، ولد للمرة الثانية من فخذ قاذف الصواعق . وحينذاك نادى زوس هرمس وأمره أن يحمل ديونيزوس الصغير إلى إينو أخت سيميليه ، وزوجها آتاماس Athamas ملك أورشمين[٧٤] ، لكي يسهرا على تربيته .

غضبت هيرا من إينو وآتاماس لأنهما قاما بتربية ابن عدوتها سيميليه ، وقررت أن تعاقبهما . فأصابت آتاماس بالجنون . وفي نوبة جنونه قتل آتاماس ولده

ليارکوس، وبالكاد تمكنت إينو من الهرب مع ولدها الثاني ميليسرت، فأنقذته من الموت. وقد اندفع زوجها في أثرها، وكاد يلحق بها. وجدت إينو أنها محاصرة. فمن أمامها الجرف الصخري الشديد الانحدار، وفي الاسفل - البحر المصطخب، ومن خلفها يكاد زوجها المجنون يلحق بها. وقد دفعها اليأس إلى أن ترمي بنفسها وابنها في البحر من على الصخور الساحلية. وفي البحر استقبلت النيريدات إينو وابنها ميليسرت.

وقد حولت مربية ديونيزوس وابنها إلى الهين بحريين، ومنذ ذلك الحين. وهما يعيشان في لجة البحر.

أما ديونيزوس فقد نجا من آتاماس المجنون على يد هرمس، الذي حمله في طرفة عين إلى وادي تيسيه، وسلمه للحوريات يربينه.

شب ديونيزوس إلهاً قوياً جميلاً، يهب الناس القوة والسرور الخصب. أما الحوريات، اللواتي ربين ديونيزوس، فقد أخذهن زوس إلى السماء، وهن يتألقن في الليل الصحو بين البروج الأخرى تحت اسم[٧٥] (Les Hyades).

ديونيزوس وحاشيته:

يجوب ديونيزوس العالم، متنقلاً من بلد إلى بلد برفقة جمهور مرح من الميناداتِ والصانطورات المزدانين بالأكاليل. إنه يسير في طليعتهم مزداناً بإكليل من الكرمة، وفي يده عصا مزدانة باللبلاب. ومن حوله تلف وتدور الميناداتِ الشابات، وهن يرقصن ويغنين ويصرخن، ويقفز الصانطورات السكارى من الخمرة، بحركات خرقاء، ولهم ذيول وأرجل ماعز. وخلف الموكب حمار عليه عجوز - إنه سيلين (Siléne) معلم ديونيزوس الحكيم. إنه مخمور جداً، وهو بالكاد يجلس على الحمار، مستنداً إلى دن الخمرة، الذي يرقد قربه. وإكليل اللبلاب

مائـل على رأسـه الأصلع . كان يبتسم ببشـاشة ، وهويتمايل . وكان الصانطورات يسـير ون قرب الحـمار، الـذي يمشي بحـذر، وهـم يسنـدون العجوز بعناية ، كي لايقـع . وعلى أنغـام الناي والمزامير والدفوف يتحرك الموكب الصاخب بمرح بين الجبال ، عبر الغابات الظليلة والمروج الخضراء . إن ديونيزوس ـ باخوس يمشي في الأرض مرحـاً ، وهـو يخضـع كل شيء لسلطـانـه . إنـه يعلم الناس زراعة الكرمة وصناعة الخمر من عناقيدها الثقيلة الناضجة .

ليكورغوس Lycurgue :

لكن سلطـة ديـونيـزوس لاتقـابل بالاعتراف في كل مكان . فغالباً مايواجه المقاومة ، وفي بعض الأحيان يضطر لاستخدام القوة من أجل إخضاع البلدان والمدن .

ففي ذات مرة ، وبينـما كان ديـونيـزوس مع وصيفـاتـه المينـادات يمـرحون ويرقصون في واد ظليل ، أغار عليه ليكورغوس ملك الأدونيين[٧٦] الظالم . وتفرقت المينـادات رعبـاً ، وقد رمين بدنان ديونيزوس المقدسة أرضاً ، حتى ديونيزوس نفسه لاذ بالفـرار ، حيث ألقى بنفسـه في البحـر ، خوفاً من مطاردة ليكورغوس ، وهناك خبأته الربة تيثيس (Téthys) .

أنـزل والـد ديـونيـزوس ، زوس قاذف الصـواعق ، العقـاب الصـارم بليكـورغـوس ، الـذي تجاسـر فأهـان الـرب الشـاب : فقـد سمـل زوس عيني ليكورغوس ، وقصر أجله .

بنات ميناس[٧٧] :

لم يكن الاعـتراف بالإلـه ديـونيـزوس فورياً ، لافي أورشيمون ولافي بيوتيا .

فقد جاء كاهن ديونيزوس ـ باخوس إلى أورشيمون، ودعا جميع البنات والنساء إلى الغابات والجبال لإحياء الاحتفال المرح على شرف إله الخمر. لكن بنات الملك ميناس الثلاث لم يذهبن إلى الاحتفال، فهن لم يرغبن في الإعتراف بديونيزوس إلهاً. كل نساء أورشيمون غادرن المدينة إلى الغابات الظليلة. كن مزدانات باللبلاب، والعصي في أيديهن، وهن يندفعن، ويطلقن صيحات قوية، على غرار الينادات، عبر الجبال، ويمجدن ديونيزوس. أما بنات ملك أورشيمون فبقين جالسات في الدار، وهن يحكن ويغزلن، ويرفضن سماع أي شيء عن الإله ديونيزوس. حل المساء، وغابت الشمس، وبنات الملك مازلن منكبات على عملهن، يبذلن كل مافي وسعهن من أجل إنجازه. وفجأة تراءت لهن معجزة. فقد ترددت في القصر أصوات الدفوف والناي، وتحولت خيوط الغزل إلى شجيرات كرمة، تتدلى منها العناقيد الثقيلة. واخضوضرت الأنوال: فقد التف اللبلاب حولها بكثافة. وفي كل مكان عبق أريج الآس والأزهار. راحت بنات الملك ينظرن إلى هذه المعجزة، وقد عقدت ألسنتهن الدهشة. وفجأة سطع ضوء المشاعل الفظيع في كل أرجاء القصر، الذي كان مدثراً بغبش المساء. وتردد زئير الوحوش الكاسرة. وفي كل أجنحة القصر ظهرت الأسود والنمور والدببة والوشق. كانت هذه الوحوش تجري في القصر، وهي تطلق زئيراً مخيفاً. وعيونها تقدح شرراً. تملك الذعر بنات الملك، وحاولن الاختباء في أكثر أماكن القصر بعداً وظلمة، كي لايرين وهج المشاعل، ولايسمعن زئير الوحوش. لكن عبثاً، فلم يجدن مكاناً يختبئن فيه.

بدأت أجساد الأميرات تتقلص، واكتست بوبر الفئران الرمادي، وبدلاً من الأيدي نمت لهن أجنحة، ذات غشاء رقيق. لقد تحولن إلى خفافيش. ومنذ ذلك الحين وهن يختبئن من ضوء النهار في الأطلال المظلمة الرطبة وفي الكهوف.

لصوص البحر التيرانيون[٧٨] : ومن بين الذين عاقبهم ديونيزوس أيضاً لصوص البحر التيرانيون[٧٩]، ليس لأنهم لم يعترفوا به إلهاً، بل لأنهم أرادوا أن يسببوا له الأذى كفانٍ عادي .

ففي ذات مرة كان ديونيزوس الشاب يقف على شاطىء البحر اللازوردي ، وكان نسيم البحر يداعب خصلات شعره الداكن ، ويحرك قليلاً طيات ردائه الأرجواني ، النازل قليلاً عن كتفي الإله الشاب الأهيفين . وتراءت بعيداً في البحر سفينة ، راحت تقترب من الشاطىء بسرعة . وحين اقتربت السفينة كثيراً رأى البحارة ـ (كان هؤلاء لصوص البحر التيرانيين) ـ هذا الشاب الساحر على الشاطىء المهجور، فرسوا على عجل ، ونزلوا إلى الشاطىء ، وأمسكوا بديونيزوس ، وأخذوه إلى السفينة . ولم يخطر ببال اللصوص أنهم إنما أسروا إلهاً . كان اللصوص فرحين بهذه الغنيمة ، التي وقعت في أيديهم . وكانوا واثقين أنهم سيجنون الكثير من الذهب لدى بيع هذا الشاب الجميل في سوق النخاسة . ولدى وصولهم إلى السفينة همَّ اللصوص بوضع ديونيزوس في الأغلال الثقيلة ، لكنها سقطت عن يدي ورجلي الإله الشاب . كان جالساً ينظر إلى اللصوص بابتسامة هادئة . وحين رأى الربان أن الأغلال تسقط عن يدي الشاب ، قال لرفاقه بخوف :

ـ يالسوء حظنا! ماذا نفعل! ترى أليس هذا الذي نريد تكبيله في الأصفاد إلهاً؟ انظروا حتى سفينتنا بالكاد تحمله . ترى ، أليس هذا زوس نفسه ، أم لعله أبولون ذو القوس الفضي ، أم أنه مزلزل الأرض بوزيدون؟ إنه لايشبه الانسان الفاني أبداً . إنه أحد الآلهة ، الذين يقطنون الأولمب المشرق . أطلقوا سراحه فوراً . أنزلوه إلى البر . عسى أن لايستدعي الرياح العاصفة ، ويثير العاصفة الهوجاء في البحر.

لكن القبطان رد على الربان الحكيم بحقد :

- حقير. انظر إن الريح مواتية. لسوف تنطلق سفينتنا بسرعة على أمواج البحر الواسع. أما الشاب فسوف نهتم به فيما بعد. لسوف نصل مصر أو قبرص أو بلاد الهيبر وبوريين، وهناك سنبيعه، وندع هذا الشاب يبحث هناك عن أصدقائه وأخوانه. كلا، إن الآلهة هي التي رزقتنا به.

رفع اللصوص الأشرعة، وخرجت السفينة إلى عرض البحر. وفجأة حدثت المعجزة: فقد راحت الخمرة الزكية تتدفق على السفينة، وامتلأ الجو كله بهذا العبق. وتسمر البحارة من فرط الدهشة، والتف اللبلاب الأخضر الداكن حول الصاري، وفي كل مكان ظهرت الثمار الرائعة، والتفت ضفائر الأزهار على قبضات المجاذيف، وراح اللصوص الخائفون يتوسلون إلى الربان الحكيم أن يبحر نحو الشاطىء بسرعة. لكن فات الأوان. فقد تحول الشاب إلى أسد، ووقف على السطح يطلق زئيراً فظيعاً، وتقدح عيناه شرراً. وعلى سطح السفينة ظهرت الدبة الشعثاء، وراحت تكشر عن أنيابها بشكل مخيف. اندفع اللصوص، وقد استبد بهم الذعر، نحو المؤخرة، وتجمهروا حول الربان. وثب الأسد بقفزة هائلة على القبطان ومزقه. وإذ فقد البحارة الأمل في النجاة، راحوا يلقون بأنفسهم في أمواج البحر، الواحد تلو الآخر. وقد حولهم ديونيزوس إلى دلافين، أما الربان فقد عفا عنه، فقد عاد إلى هيئته السابقة، وقال للربان، وهو يبتسم له ببشاشة:

- لا تخف، لقد أحببتك. أنا ديونيزوس ابن زوس قاذف الصواعق، وسيميليه ابنة قدموس

إيكاريوس Icarios :

كان ديونيزوس يكافىء الناس، الذين يحترمونه كإله، فقد كافأ ايكاريوس

في إيتـاكـه ، حين أحسن هذا ضيافته . حيث أهداه ديونيزوس شجرة كرمة ، فكان إيكـاريـوس أول من أدخـل زراعة الكرمة إلى بلاد إيثاكه ، لكن مصير إيكاروس كان مفجعاً .

ففي ذات مرة قدم الخمـر للرعـاة ، ولمـا لم يكـونوا يعرفون معنى السكر فقد ظنـوا أن إيكـاريـوس دس لهم السم . فقتلوه وطمـروا جثته في الجبال . وقد بحثت عنه ابنته ايريغونة طويلاً . إلى أن عثرت على قبره أخيراً بفضل كلبتها ميرا . ومن شدة حزنهـا شنقت المسكينـة نفسهـا على نفس الشجـرة ، التي كانت تظلل قبر والدها . أخذ ديونيزوس إيكاريوس ، إيريغونة وكلبتها ميرا إلى السماء . ومنذ ذلك الحـين وهي تتلألأ في السـماء في الليـل الصحـو، إنهـا أبـراج ولـوبـاس ، العذراء والكلب الأكبر .

ميداس Midas : [80]

ذات مرة كان ديـونـيـزوس يجوب مع موكبـه الصـاخب من المينـادات والصـانطـورات أحراج تمول الكثير الصخور في فريجيا[81] . سيلين وحده لم يكن في الموكب . لقد تأخر، ففي كل خطوة كان يتعثر، وكان ، وقد تعتعه السكر، يضرب على غير هدى في حقول فريجيا . وقد رآه الفلاحون فقيدوه بضفائر الأزهار، وقادوه إلى الملك ميـداس . وللحـال عرف ميداس معلم ديونيزوس ، فأنزله على الرحب والسعة في قصره ، وأحيا له المآدب العامرة على مدى تسعة أيام . وفي اليوم العاشر رافقـه بنفسـه إلى ديـونيـزوس . سر ديونيزوس إذ رأى سيلين ، وسمح لميداس بأن يطلب مايريد : مكافأة له على إكرامه وفادة معلمه . وحينذاك صاح ميداس :

- أيها الاله ديونيزوس العظيم ! اجعل كل ماتمسه يداي يتحول إلى ذهب خالص .

حقق ديونيزوس رغبة ميداس، لكنه كان يتمنى لو أنّ ميداس اختار هدية أفضل.

ابتعد ميداس والدنيا لاتسعه فرحاً. كان سعيداً بالهدية، التي حصل عليها، وحين قطف غصناً أخضر من شجرة البلوط تحول الغصن في يديه إلى غصن ذهبي. وفي الحقل يقطف السنابل، فتصبح ذهبية والقمح فيها يصبح ذهبياً. ويقطف تفاحة فتتحول إلى ذهبية، كما لو أنها من حدائق الهيسبير يدات[٨٢] (Les Hesperides). كل ماكان يلامسه ميداس يتحول إلى ذهب فوراً. وحين كان يغسل يديه كان الماء يسيل منهما قطرات ذهبية. كان ميداس في غاية الفرح. هاهو يصل قصره. وقد أعد الخدم لميداس السعيد مأدبة عامرة. وهنا أدرك فظاعة المكافأة التي طلبها من ديونيزوس، فمن لمسة يده تحول كل شيء إلى ذهب. كل شيء تحول في فمه إلى ذهب ـ الخبز، المأكولات، الخمر. وأدرك ميداس أنه سيموت جوعاً، وهنا رفع يديه نحو السماء وصاح:

ـ رحماك، رحماك ياديونيزوس، سامحني، أتوسل إليك أن ترأف بي! استرد هبتك.

ظهر ديونيزوس وقال لميداس:

ـ اذهب إلى منابع الباكتول[٨٣] وهناك تطهر بمياهه من هذه الهبة ومن ذنبك.

انطلق ميداس، كما أمر ديونيزوس، نحو منابع الباكتول، وغمر جسمه في مياهه الصافية. فتدفقت مياه الباكتول، وطهرت جسم ميداس من هبة ديونيزوس. ومنذ ذلك الحين أصبحت رمال الباكتول ذهبية.

بـان[٨٤] Pan :

غالباً مايمكن رؤية الإله بان في حاشية ديونيزوس. حين ولد بان ألقت

عليـه أمـه، الحـورية دريوبه (Driopé) نظرة، ومن هول مارأت لاذت بالفرار. فقد ولد بقدمي وقرني تيس، وبلحية طويلة. لكن والده هرمس سر لولادته، وقد حمله على يديه إلى الأولمب. كل الآلهة فرحت بولادة بان. وكات تنظر إليه وهي تضحك.

لم يمكث بان على الأولمب طويـلاً، وغـادر إلى الجبـال والغابات الظليلة. حيث راح يرعى القطعان، وهويعزف على نايه الرخيم. وما ان تسمع الحوريات أنغام الناي الشجية حتى يندفعن نحوبان، ويحطن به، ولا تلبث الحلقة المرحة أن تتحـرك عبر الـوادي الأخضـر المهجـور. إن بان نفســه يحب أن يشارك الحوريات الـرقص. وحـين يلهـوبان يرتفـع الصخب المرح في الغابات عبر سفوح الجبال. وتمرح الحوريات والصانطورات بسعادة مع بان الصاخب بقوائمه التيسية. وحين يحل وقت الظهـيرة الحـاربنصـرف بان إلى مجاهـل الغابة الكثيفة، أوإلى الكهف البـارد، لأخـذ قسط من الراحة. ومن الخطر إزعاج بان في فترة القيلولة هذه، فهو نزق، ويمكن في سورة غضبه أن يعاقب بالحلم الثقيل، أوأن يخيف عابر السبيل، الــذي يقض مضجعــه. كما إنـه يمكن أن يرسـل الخـوف البـاني، حين يصـاب الإنســان بالـذعـر، فينطلق لايلوي على شيء، ولايميز الطريق، قاطعاً الغابات والجبال، ماراً على شفا الهاويات، دون أن يخطر له ببال أن الهلاك يترصده في كل خطوة يخطوها. وقد حدث أن بان أوحى بهذا الخوف لجيوش بكاملها، فكانت تفر مذعـورة. لكن بان رؤ وف وبشـوش حين لا يكـون غاضباً. إنه يسهر على سلامة قطعان الإغريق، ويشارك في رقصات الميناداث الصاخبات، وهو رفيق إله الخمر ديونيزوس.

بان وسيرنكس Syrinx :

لم ينج بان ـ بدوره ـ من سهام إيروس ذهبي الجناحين. فقد أحب الحورية

الحسناء سيرنكس، التي كانت مغرورة، وترفض حب الجميع. كانت سيرنكس مولعة بالصيد، مثلها مثل أرتيميس العظيمة، ابنة لاتون، حتى أنها غالباً ماكانت تبدو وكأنها أرتيمس، بفضل جمالها الباهر، في ثوبها القصير، متنكبة الجعبة، والقوس في يديها. وكانت حينذاك تشبه أرتيميس كقطرتي ماء، فقط قوسها كان من القرن، وليس ذهبياً كما عند الربة أرتيميس.

وفي ذات مرة شاهد بان سيرنكس فأراد الدنو منها. لم تكد الحورية ترى بان حتى لاذت بالفرار خوفاً. وانطلق بان في أثرها يروم اللحاق بها. لكن ها هو النهر أمام الحورية، فإلى أين المفر؟ مدت سيرنكس يديها نحو النهر، وراحت تتوسل إلى إله النهر أن ينقذها. أصغى إله النهر لتوسلات الحورية، وحولها إلى قصبة. وفي هذه اللحظة وصل بان، وهم بأن يعانق سيرنكس، لكنه عانق القصبة المرنة، ذات الحفيف الخفيف. يقف بان، وهو يتنهد بأسى، ويخيل إليه أنه يسمع في حفيف القصب الرقيق تحية الوداع من سيرنكس الحسناء. قطع بان عدة قصبات، وصنع منها نايه الشجي الأنغام، وثبت القصبات، غير المتساوية بالشمع. وتخليداً لذكرى سيرنكس أطلق بان اسم الحورية على نايه. ومنذ ذلك الحين يحب بان العزف في الغابات وحيداً على نايه ـ سيرنكس، فتعم أنغامه الشجية الجبال المجاورة.

مباراة بان وأبولون:

كان بان فخوراً بعزفه على الناي. وفي ذات مرة تحدى أبولون نفسه لمنازلته. حدث ذلك على سفوح جبل تمول. وكان إله هذا الجبل الحكم في هذه المباراة. جاء أبولون إلى المباراة في رداء أرجواني، وإكليل من الغار، والقيثارة الذهبية في يديه. كان بان هو الذي بدأ المباراة. وقد ترددت الأنغام العادية لمزماره

الرعوي ، شجية عبر سفوح تمول . وانتهى بان من عزفه . وحين تلاشت أنغام نايه راح أبـولـون يداعب الأوتار الذهبية لقيثارته ، فصدحت الأنغام الرائعة . كان كل من يقف في الجـوار يصغي مأخـوذاً إلى موسيقى أبـولون ، وخيم الصمت العميق على الطبيعـة كلهـا . وبـين هذا الصمت المطبق تدفقت الألحـان المفعمـة بالجمال السـاحـر . انتهى أبـولون ، وتلاشت الأنغام الأخيرة لقيثارته . وقد حكم إله جبل تمول بالفوز لأبولون . وراح الجميع يمجدون الإله عازف القيثارة . وحده ميداس لم يبـدِ إعجـابه بعزف أبولون ، بل راح يمتدح عزف بان البسيط . غضب أبولون ، وأمسـك بـه من أذنيه ، وراح يشدهما . ومنذ ذلك الحين ولميداس أذنا حمار ، يحاول دائـماً إخفـاءهما تحت عمامتـه الكبـيرة . أما بان الحزين ، الذي هزمه أبولون ، فقد انزوى في مجاهل الغابات . وغالباً ماتتردد هناك أنغام نايه الشجية ، المفعمة بالحزن والأسى ، فتصغي إليها الحوريات الشابات بكل حب .

هوامش

١ ـ الأساطير عن الآلهة وصراعها مع الجبابرة والمردة مقتبسة عموماً من ملحمة الشاعر الاغريقي القديم هسيود، «تياغونيا» (أصل الآلهة). كما إن بعض الحكايات مأخوذة من ملاحم هوميروس «الألياذة» و«الأوذيسة» والشاعر الروماني أوفيديوس، «ميتامور فوزي» («التحولات»).

٢ ـ كرون ـ كرونوس، يعتبر، من حيث تشابه الاسم إله الوقت، (فكلمة خرونوس باليونانية تعني الوقت). كان في البداية إله الزراعة (الحصاد)، في إيطاليا يعتبر صنو ساتورن.

٣ ـ آلهة الوشاية، الحزن، الشيخوخة وعمى الحب. بالاختلاف عن أخيه التوأم ثاناتوس، الذي كان يجلب النوم الأبدي القاسي للموتى. فقد كان هيبنوس يجلب للناس والآلهة النوم الهادىء والراحة من عناء النهار وهمومه. وعادة ماكانت إلهة الليل تصور وبين يديها طفلان، أحدهما أبيض والثاني أسود ـ هيبنوس وثاناتوس ومن اسم هيبنوس اشتقت كلمة غيبنوز ـ التنويم المغناطيسي.

٤ ـ زوس Zeus (جوبيتر عند الرومان) ابن ريبا وكرونوس، (ومن هنا لقبه كرونيد)، أقوى وأسمى آلهة الشعب اليوناني، أبو الآلهة والناس، والآمر الناهي فيهم.

٥ ـ هستيا Hestia (فيستا عند الرومان) ربة البيت، الأسرة.

٦ ـ ديميترا Demeter (سيريس عند الرومان) ربة الخصب العظمى، حامية كل ماينبت ويثمر على الأرض. حامية الزراعة.

٧ ـ هيرا hera ـ (جونون عند الرومان).

٨ ـ أوبلوتون. في روما كان هادس يتطابق مع إلهي الموت والجحيم الإيطاليين القديمين ـ أورك وديت.

٩ ـ نبتون عند اليونان.

١٠ ـ كهنة الربة ريبا وزوس.

١١ ـ أورثروس (أورث) كلب برأسين، صنوسير بير ووحش بحيرة ليرن، والد الأ
قتله هرقل عند اختطافه بقرات جيريون (مأثرة هرقل العاشرة).

١٢ ـ شيمير ـ وحش ـ قاذف النار، له رأس وعنق أسد، وجذع عنزة، وذيل تنين (ـ
أخـرى كان لشيمـير ثلاثـة رؤوس رأس أسـد، رأس عنـزة، رأس تنين). وبـ
الأرجـح تجسيـد للبركـان نافث النـار. وشيمـير بالمعنى المجـازي هوالفـانتـا
أوالعمل العقيم. وفي عالم النحت تطلق صفة شيمير على صور الوحوش الـ
شيمير كنيسة نوتردام في باريس).

١٣ ـ رحيق الخلوف وغذاء البقاء.

١٤ ـ الجـذابـات (Gratia عنـد الرومان) كن ربات الجمال، السعادة، الفرح والمرح
روعة الأنثى. كن بنات زوس وهيرا (أو ايغرينوما)، وكن يسكن الأولمب مع ر
والموسيقى، ويرافقن هرمس، أفروديت وديونيس. والجذابات عادة ثلاث: ا
الفـرح تاليـا ـ اللون وأغـلايـا ـ الروعة. وهن يصورن في هيئة فتيات، رائعات
ومعهن آلات موسيقية.

١٥ ـ الباركات Les Parques عند الرومان.

١٦ ـ فورتونا Fortuna عند الرومان.

١٧ ـ يعتقد الاغريق أن الأوقيانوس ـ يحيط بالأرض كلها، مدحرجاً مياهه في د
سرمدية.

١٨ ـ كان قدمـاء الإغـريق يتصـورون أن مملكـة هادس (مملكة أرواح الموتى)، كالـ
وكـانـوا يتصـورون الحيـاة الآخـرة بؤسـاً ونحساً. وليس من باب المصادفة أن
آخيـل، الـذي استـدعـاه أوذيس من مملكـة الموتى، أنه لأفضل أن يكون المرء
على الأرض على أن يكون ملكاً في مملكة هادس.

١٩ ـ ليثيـه ـ هي في الأصـل ابنـة إيريس إلهة الشقاق. وقد أطلق هذا الاسم على
الذي تشرب منه أرواح الموتى فتنسى حياتها السابقة/ المترجم.

٢٠ ـ الزنبق البري.

٢١ ـ كلاب فظيعة تعيش على ضفاف نهر ستيكس في العالم السفلي.

٢٢ ـ إن آلهة العالم السفلي غالباً ماكانت تجسد قوى الطبيعة الرهيبة، وهي أقدم بكثير من آلهة الأولمب. وقد لعبت دوراً أهم في العقائد الشعبية.

٢٣ ـ (جونون عند اليونان). وهي ليست زوجة زوس فقط، بل وأخته الكبرى. استمر زواجهما سرياً ثلاثمائة عام إلى أن أعلن زوس على الملأ هيرا زوجة له وملكة الأرباب. في البداية كان زواجها برب العالم العلوي يعني الاتحاد بين السماء والأرض. ومن ثم أصبح يشمل العلاقات بين الناس. كانت هيرا حامية الزواج والحب بين الزوجين والولادات. وتتهم الخرافات هيرا بالقسوة والمكر والغيرة، فهي تطارد غريماتها بدهاء، وتكن الحقد للأبطال ـ أبناء زوس من زوجاته البشريات. يكرس لهيرا الرمان (رمز الزواج والحب) والوقواق والغراب والطاووس. وفي العديد من المدن الاغريقية كان توجد المعابد المكرسة لهيرا. ومن أشهرها المعبد الموجود في أرغوس، حيث كان يوجد تمثال هيرا المشهور من الذهب والعاج للفنان بوليكليت، وحيث كانت تجري الاحتفالات على شرفها مرة كل خمس سنوات.

٢٤ ـ تم التلخيص حسب ملحمة أوفيديوس ـ «التحولات».

٢٥ ـ إنه عملاق كان كل جسمه مغطى بالعيون، التي كان عدد منها مستيقظاً باستمرار. في البداية كان آرغوس يمثل السماء، ذات النجوم. وبعد أن قتل هرمس آرغوس عمدت هيرا إلى وضع عيون الأخير في ذيل الطاووس.

٢٦ ـ أبولون (فويبوس Phoebus) واحد من أقدم آلهة اليونان، ابن زوس والآلهة ليتو، أخ أرتيميس ووالد أورفيوس ولينوس وأسكولاب. إنه، من جهة، إله مدمر، رامي سهام، ويرسل الموت والأمراض والقرحة الفتاكة، وهو، من جهة أخرى، إله الشمس والنور، وحامي القطيع، وحارس الطرق والمسافرين والملاحين كما إنه إله مداو. وقد حصل أبولون من هرمس على القيثارة التي ابتكرها الأخير فأصبح رئيس ربات الشعر، ومن هنا لقبه أبولون موساغيت، أي رئيس ربات الشعر. ومع مرور الزمن تحول أبولون إلى حامي الفن والشعر والموسيقى. وعلى مبنى مسرح البولشوي في موسكويطالعنا أبولون في عربة تجرها أربعة جياد والقيثارة في يده. ثم أن أبولون مشهور بالتنبؤ بالمستقبل ـ وقد اشتهر في العالم القديم كله معبده في دلفي، حيث كانت بيثيا Pythie عرافة أبولون في دلفي، وكان

الكهنة يصوغون النبوءات بمهارة، بحيث يمكن أن تعطي معنى مزدوجاً: فعشية حرب كريز ملك ليديا ضد الفرس تنبأت بيثيا له بأنه سوف يقضي على المملكة في حال اجتيازه نهر غاليس. وقد تشجع كريز بهذه النبوءة فشن الحرب، واجتاز نهر غاليس. ودمر المملكة فعلاً، لكن ليس الفارسية، بل مملكته هو وكانت جزيرة ديلوس المركز الآخر لعبادة أبولون، ففيها كانت تجري كل أربعة أعوام. في نهاية الصيف الاحتفالات على شرف أبولون، وكانت تعرف باسم ألعاب الديليا. كانت حيوانات أبولون المقدسة هي الذئب، الدلفين، التم وغيرها. ومن بين النباتات كرس له الزيتون، والنار والنخيل. إن أشهر تماثيل أبولون، التي أبدعها النحاتون الاغريق سكرباس، ليوخار وبراكسيتيل قد وصلتنا في نسخ رومانية (ومن أكثرها شهرة أبولون بلفيدير وأبولون موساغيت).

٢٧ ـ أداة موسيقية وترية اغريقية قديمة، شبيهة عموماً بـ«الليرا»، لكنها أعرض وأقصر. ومن الناحية الصوتية فقد كانت القيثارة أفضل من الليرا، وكانت أكثر منها أوتاراً ومرانين، كان العازف يداعب الأوتار إما بأصابعه أو بالبليكتور، وهوعبارة عن عود خاص.

٢٨ ـ مدينةعلى ساحل خليج كورنث، وكانت مرفأ لدلفي.

٢٩ ـ المادة مستقاة من ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٣٠ ـ شعب خرافي كان يعيش في الشمال الأقصى، خلف حدودهبوب ريح الشمال البورية الباردة، حيث يسود الربيع دائماً، والأرض نفسها تدر عليهم محصولين في العام، ويتميز السكان بالعمر الطويل، ويعيشون حياتهم كأنها عيد دائم، يفرحون ويمرحون ويغنون ويرقصون ويعزفون، ويكرسون جل وقتهم لخدمة أبولون. وفي أرض الهيبر بوريين ولدت الإلهة ليتو. وظلت تعيش هنا إلى أن انتقلت إلى ديلوس، حيث استطاعت، بمساعدة النسوة الهيبر بوريات، اللواتي رافقنها، أن تلد أبولون وأتيميس.

٣١ ـ ربة الذاكرة.

٣٢ ـ اسم جبل في اليونان الأوسط (فيساليا) حوالي ١٥٠٠ م فوق سطح البحر (جبل كيسوفو حالياً). إن سفوح جبال أوساها تلتقي بجبل بيليون. إن عبارة «تكديس أوسا وبيلون» تعني محاولة القيام بشيء كبير جداً، ولها أحياناً معنى ساخر ـ بذل جهود جبارة دون تحقيق أي نجاح.

٣٣ ـ الساطور (Satyre) والساطورات هم أتباع ديونيزوس (فون Fawnes عند الرومان) ـ آلهة الغابات وشياطين الخصب. كانت تصور بأشكال نصف انسان ـ نصف تيس وبقرون تيس، وبذيل حصان، أوتيس، وأنف أخنس منفرج، وشعر منفوش. خواصها ـ التيرس (عصا مغطاة باللبلاب وأوراق الكرمة وتنتهي بكوزشوح) المزمار، الناي، المنفاخ الجلدي أودن الخمرة، وتبدو الساطورات في الخرافات كسولة بليدة وهي شبه مخمورة غالباً، وتتجول مع الحوريات في الغابات، يمرحن، بالغناء والرقص والموسيقى.

٣٤ ـ نوع من المعاطف يزرر إما على الكتف الأيمن أوعلى الصدر.

٣٥ ـ القنطور (الصانطور Centoure) كائنات خرافية نصفها إنسان ونصف حصان. . كانت مع الساطورات تؤلف حاشية ديونيزوس.

٣٦ ـ (ديانا عند الرومان) وربة الصيد العذراء، حامية الحيوانات. ربة الخصب، تمد يد المساعدة عند الولادة. أصبحت فيها بعد ربة القمر أيضاً. انتشرت عبادتها في جميع أنحاء اليونان. وفي آسيا اشتهر بخاصة معبد آرتيميس في أفسيس (نفس المعبد. الذي عمد من أجل الشهرة في عام ٣٥٦ ق.م. إلى حرق هيروسترات، ومن هنا عبارة «شهرة هيروسترات» ـ أي ذكرى العمل الفظيع).

٣٧ ـ العرض حسب ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٣٨ ـ اسم واد في بيوتيا، وفيه نبع يحمل الاسم نفسه، ومن هذا النبع يجري نهير على طول الوادي.

٣٩ ـ (منيرفا Minerva عند اليونان) إحدى أكثر ربات اليونان عبادة، ربة الحكمة، حامية المدن والدول، سواء زمن السلم أو في أوقات الحرب، وهي التي أعطت القوانين للبشر، وهي راعية العلوم والزراعة والحرف. كما تعتبر أثينا ربة الحرب العادلة والمعقولة (خلافاً لآريس ـ إله الحرب القاسية والدامية). وفي أتيكه تعتبر أثينا إله البلاد الأكبر، وإله المدينة التي تحمل أسمها، وقد فازت على بوزيدون نفسه في النزاع حول امتلاك البلاد، فبعد أن أعطت الأثينيين شجرة الزيتون المقدسة أصبحت حامية الشعب الأثيني. إن المعبد الأكبر للربة يقع في أثينا، إنه معبد بارثينوس، حيث كان يوجد تمثالها العملاق، المطلي بالذهب والعاج، وهو من إبداع فيدياس.

٤٠ ـ العرض حسب ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٤١ ـ دولة في آسيا الصغرى، اندحرت على يد الفرس في القرن السادس ق.م.

٤٢ ـ إيفيدا أثينا ـ درع في وسطه رأس ميدروزا الغورغونية والأفاعي على جانبيه.

٤٣ ـ صور مشهد نزاع أثينا مع بوزيدون على كورنيش معبد بارثينوس في أثينا من إبداع النحات الاغريقي الشهير فيدياس (القرن الخامس ق.م)، وقد وصل هذا الكورنيشر إلينا مع بعض التشويه.

٤٤ ـ (ميركور Mercure عند الرومان) واحد من أقدم آلهة اليونان. كان إلهاً حامياً للقطيع فكان يصور والعجل على كتفيه (الراعي الطيب). وهرمس حامي التجارة، وبالتالي الدهاء والحيلة وحتى السرقة. وبالاضافة إلى ذلك فقد كان يحمي الشباب في تمارينهم الرياضية الالزامية في التربية الاغريقية. في البداية كان ميركور عند الرومان إله التجارة والربح، وبعد دمجه مع هرمس نسبت إليه صفات هذا الإله الأخرى.

٤٥ ـ مايا ـ حورية الجبال ابنة اطلنطا. احياناً كانوا يسمونها زوجة الفولكان. كان الرومان يعتبرونها صنوة مايا ربة الأرض الايطالية القديمة، والتي كان يحتفل بعيدها في الأول من أيار ـ مايو.

٤٦ ـ أعمدة حجرية كان ينحت رأس هرمس في أعلاها.

٤٧ ـ آلة نفخ موسيقية تتكون عادة من سبعة مزامير من القصب مختلفة الأطوال. وقد شدت إلى بعضها بواسطة الشمع.

٤٨ ـ باليسترا ـ مدرسة جمباز خاصة في اليونان القديمة، حيث كان الصبيان في سن ١٢ ـ ١٦ يتعلمون الجري والمصارعة والوثب. ورمي الرمح والقرص (أي الخماسي) وتمارين الجمباز والسباحة. وكان لهذه المدارس باحات مكشوفة ومضامير للجري، وصالات لتمارين الجمباز ومسابح.

٤٩ ـ آريس (Ares) مارس عند الرومان ـ إله الحرب، يجسد روح القتال الشرسة، مصدر الهلاك والدمار وإراقة الدماء.

٥٠ ـ أفروديت ـ فينيرا عند الرومان، وايروس ـ آمور أوكوبيدون، وهيمينايوس ـ هو إله الزواج سواء عند الاغريق أو الرومان.

٥١ ـ في البداية كانت ربة الخصب، ومن ثم ربة الحب. تقول إحدى الروايات إنها ابنة زوس من الحورية ديونا، وتقول أخرى أنها ولدت من زبد البحر. ثم أن أفروديت تعتبر الربة

حامية الملاحة البحرية . وكربة بحرية خصص لها الدلفين ، أما أفروديت ربة الخصب فقد خصص لها الدوري ، الحمام ، والأرنب . وخصص لها كربة للحب الآس ، والوردة ، والخشخاش والتفاحة .

٥٢ ـ الربات اللواتي ينظمن تناوب فصول السنة ، حاميات النظام والقانون في المجتمع ووصيفات أفروديت . هن عادة ثلاث : اينوميا (القانون) ديكه (العدل) وايرينه (السلم) . كن يصورن على هيئة فتيات يحملن الثمار في أيديهن (أو مزدانات بالثمار) . وكانت الشاريت أيضاً وصيفات أفروديت .

٥٣ ـ ومن هنا لقب أفروديت القبرصية ، كانت جزيرة قبرص المركز الرئيس لعبادة أفروديت . وهنا في مدينة باثوس يوجد معبد الربة الذي يجله كل الاغريق . المركز الآخر لعبادتها جزيرة كيثير .

٥٤ ـ العرض حسب ملحمة أوفيديوس «التحولات» .

٥٥ ـ العرض حسب ملحمة أوفيديوس «التحولات» .

٥٦ ـ كانت هيرا قد عاقبت الحورية إيكو لأنها حاولت إلهاء الربة الغيورة بالحديث في الوقت الذي كان فيه زوس في ضيافة الحوريات .

٥٧ ـ القصة مقتبسة من ملحمة أوفيديوس «التحولات» .

٥٨ ـ استعار الاغريق اسطورة أدونيس من الفينيقيين والمصريين . فاسمه يعني «الحاكم» «السيد» . إنه إله الطبيعة المحتضرة ، والتي تبعث حية . انتشرت أسطورة الاله الذي يموت ويبعث كل ربيع على نطاق واسع في الأديان القديمة ـ لدى البابليين ، السوريين ، اليهود وغيرهم .

٥٩ ـ (فولكان عند الرومان) . إله النار وحرفة الحدادة ، حامي التعدين ، في البداية عبد كإله للنار الجوفية في المناطق ذات البراكين الناشطة ، وفي جزيرة ليمنوس بالدرجة الأولى . وقد عبد بخاصة في أثينا ، حيث بلغت الحرف ذروة تطورها في اليونان . كان هيبايستوس الوحيد بين الهة الأولمب ، الذي يمارس العمل البدني ، وقد بنى لنفسه وللآلهة قصوراً نحاسية رائعة . وصنع لآخيل ترساً لامثيل له ، ودرعاً لديوميد كما صنع صولجان زوس وغيرها . كان يصور على شكل حداد ملتح عريض الكتفين وبيده المطرقة والكماشة .

٦٠ ـ وصيفات ديونيزوس ويعني اسمهن الصاخبات . الباخانت عند الرومان .

٦١ - آلة موسيقية للنقر والايقاع.

٦٢ - في رواية أخرى أن زوجة هيبايستوس هي أفروديت.

٦٣ - (سيريس عند الرومان)، أخت زوس، ربة الخصب والزراعة. بدأ الاغريق عبادتها كربة عظيمة حين أصبحت الزراعة عملهم الرئيس. وكان مركز عبادة ديميترا وابنتها برسفونة مدينة ايلوزيس، حيث كانت تجري الاحتفالات الضخمة تكريماً لهما.

٦٤ - حسب نشيد هوميروس.

٦ - إنه واد خرافي على الأرجح. فقد ورد ذكره على أنه في تراقيا أو في الجزيرة العربية، أو في الهند، وفي البداية في بيوتيا.

٦٦ - انديميون Endymion كان يعتبر أحياناً ابن ايفليوس، ملك كاريا وابن زوس أحياناً أخرى. ومن المحتمل انه إله الحلم الكاري القديم. وكاريا منطقة في جنوب غرب آسيا الصغرى، على ساحل البحر المتوسط.

٦٧ - ابن زوس وايو.

٦٨ - أبراج الثور، القنطور، العقرب والسرطان.

٦٩ - برجان كانا يسميان عند الاغريق الأفعى والمحراب (المذبح) يقع الأول في الجزء الشمالي من قبة السماء بينما يقع الثاني في نصفها الجنوبي.

٧٠ - بارناس، كثيرون، غيليكون، بيلون، وأوسًا - اسماء جبال في انحاء مختلفة من اليونان، تمول وايدا - في آسيا الصغرى (في ليديا وفريجيا).

٧١ - أسماء أنهار هي على التوالي في سورية، بيليبونيز، ولاكونيا، وعلى ضفة ايفروت تقع اسبارطة.

٧٢ - نهرا خرافي في شمال أوربا أو غربها. وكان يوضع أحياناً في العالم السفلي.

٧٣ - باخوس عند الرومان. إله النباتات والخمر وتقطيرها، واحد من أقدم وأشهر الآلهة في اليونان. وقد كرست له عدة أعياد مرحة كانت تحيا منذ أواخر الخريف وحتى الربيع. وفي بعض الأحيان كانت هذه الاحتفالات تأخذ طابع الطقوس الدينية والباطنية، وغالباً ماكانت تتحول إلى حفلات تهتكية (باخوسية) كانت الاحتفالات بعيد ديونيزوس تعتبر بداية العروض المسرحية. ففي العيد الكبير في أثينا كانت تشارك الفرق، التي ترتدي جلود الماعز، وكان المغنون ينشدون أناشيد خاصة، يرددها الكورس، ويرافقها الرقص

وهكـذا ظهـرت الـتراجيـديـا (وتعني «نشيـد الماعز») . ويعتقد أن التراجيديا ظهرت من الأنـاشيـد الشتـائيـة التي تنـدب معاناة ديونيزوس، أما الكوميديا فقد ظهرت من الأغاني الربيعية المرحة المطعمة بالضحك والنكات.

٧٤ ـ مدينة في بيوتيا عند مصب نهر كيثيس في بحيرة كوبايد.

٧٥ ـ سبع نجوم في برج الثور، وبظهورها يبدأ موسم الأمطار، والهيادات (الممطرات) هن سبع حوريـات، بنـات أطلس، (وحسب روايـات أخـرى ـ بنـات ايربختوس، قدموس، أو أوقيانوس)، وقد تألمن كثيراً لموت أخيهن في الصيد، لدرجة أن زوس أخذهن إلى السماء وحولهن إلى نجوم.

٧٦ ـ قبيلة تراقية، كانت تعيش على ضفاف نهر ستريمون.

٧٧ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٧٨ ـ حسب نشيد هوميروس وملحمة أوفيديوس «التحولات».

٧٩ ـ التـيرانيـون (التـيرسينيـون)ـ الاتـروسـك الـذين سكنوا في القديم المنطقة الوسطى في ايطاليا، بالقرب من البحر الذي أصبح يعرف باسم البحر التيراني.

٨٠ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٨١ ـ بلاد في شمال غرب آسيا الصغرى.

٨٢ ـ ثـلاث فتيـات جميلات كن يسهرن على حراسة التفاحات الذهبيات، التي قدمتها غايا إلى هيرا هدية في يوم زفافها. المترجم.

٨٣ ـ نهر صغير في ليديا (آسيا الصغرى) يصب في نهر هيرم.

٨٤ ـ فونوس عند الرومان. إله الغابات والأجمات والرعيان، حامي القطعان والصيادين ومربي النحـل وصيـادي السمـك، إنـه إله مرح، رفيق ديونيزوس، وهو أبداً محاط بالحوريات، يرقص معهن ويعـزف على الناي الذي صنعه بنفسه. لكنه يمكن أن يثير الرعب والفزع لدى من يقض مضجعه ويقتحم عليه خلوته. ومثل هذا الهول يمكن أن يلحقه بأعدائه في الحـرب. فالاغـريق يعتقـدون أن بان ساعـدهم في تحقيق النصـر في معـركتي المـاراتـون وسـالامـين. ولهـذا فقـد كرس لبـان كهف في اكـروبـول أثينا. وفي كل عام كانت تنظم مسـيرات المشـاعـل على شرفه. وكان يعتقد أن بان كان يتمتع بموهبة العرافة، وأنه منح هذه الموهبة لأبولون.



الأبـطــــال

العصـور الخمسـة[1]:

كان الجنس البشـري الأول، الذي خلقه الآلهة الخالدون، الذين يقطنون الأولمب، جنساً سعيـداً. وكـان ذلـك هو العصر الذهبي، كان الإله كرونوس هو الـذي يحكم في السمـاء آنـذاك. كان الناس آنذاك يعيشون في نعيم، كما الآلهة، لايعـرفـون الهمـوم ولا الأعـمال ولا الأحـزان. كما لايعرفون الشيخوخة العاجزة، وكانت أرجلهم وأيديهم قوية ومتينة دائماً. وكانت حياتهم السعيدة، التي لاتعرف المـرض، مأدبـة دائمـة. وكـان المـوت، الذي يحل بعد حياة مديدة، شبيهاً بالنوم الهادىء الوديع. كان لديهم وفرة من كل شيء في حياتهم. وكانت الأرض نفسها تغـدق عليهم ثمارهـا الـوفـيرة، ولم يكونوا مضطرين لبذل الجهد في حراثة الحدائق والبسـاتـين. وكـانت قطعانهم كثيرة، ترعى في المراعي الخصبة. كان أبناء العصر الـذهبي يعيشـون حيـاة وديعة. وكان الآلهة أنفسهم يأتون إليهم طلباً للنصيحة. لكن العصـر الـذهبي على الأرض، انتهى، ولم يبق أحـد من أبنـاء هذا الجيـل، وبعـد المـوت أصبح أبناء العصر الذهبي أرواحاً تحمي أبناء الأجيال الجديدة. إنها

تجوب أنحاء الأرض، ملفعة بالضباب، فتحمي الحق، وتعاقب الباطل. هكذا كافأهم زوس بعد وفاتهم.

أما الجنس البشري الثاني، والعصر الثاني، فلم يكونوا سعيدين كالأول. كان ذلك العصر الفضي. فلم يكن أبناء العصر الفضي يعادلون أبناء العصر الذهبي لاقوة ولا عقلاً. فقد أمضوا مئة عام غير راشدين في دور أمهاتهم، ولم يغادروها إلا بعد أن أصبحوا رجالاً. لكن حياتهم في سن النضج كانت قصيرة، ولما لم يكونوا عقلاء فقد رأوا الكثير من المصائب والأحزان في حياتهم. وقد دمر كرونوس، ابن زوس، جنسهم على الأرض. لقد غضب من أبناء العصر الفضي لأنهم شقوا عصا الطاعة على آلهة الأولمب. وقد أسكنهم زوس المملكة السفلى الكئيبة، وهناك يعيشون، حيث لايعرفون الأفراح ولا الأتراح، ولهؤلاء أيضاً يكن الناس الاحترام.

خلق زوس الجنس الثالث والعصر الثالث ـ العصر النحاسي، وهو لايشبه الفضي. من قناة الرمح خلق زوس الناس ـ مخيفين وأقوياء. وقد أحب أبناء العصر النحاسي الإباء والحرب، الغزيرة الأنين. ولم يكونوا يعرفون الزراعة، ولم يأكلوا من ثمار الأرض، التي تعطيها الحدائق والبساتين. وقد وهبهم زوس القامة العملاقة والقوة الجبارة. كانت قلوبهم شجاعة جريئة، وأيديهم لاتقهر. وكان سلاحهم مصنوعاً من النحاس، ومن النحاس كانت بيوتهم، وبالأدوات النحاسية كانوا يعملون. ولم يكونوا قد عرفوا الحديد الداكن بعد، كان أبناء العصر النحاسي يدمرون بعضهم بعضاً. ولم يمض من الوقت إلا أقلّه حتى هبطوا إلى المملكة الكئيبة ـ مملكة هادس الفظيع. وعلى الرغم من مدى قوتهم فقد اختطفهم الموت الأسود، وغادروا ضوء الشمس الساطع.

لم يكد هذا الجنس ينزل إلى مملكة الأشباح حتى خلق زوس على الأرض العصر الرابع والجنس البشري الجديد، الأكثر نبلاً وعدالة، والذي يعادل الآلهة،

إنــه جيــل الأبطال، أشباه الآلهة. وقد هلكوا جميعهم في المعارك الدامية الفظيعة. بعضهم سقط لدى بوابات طيبة السبع، في بلاد قدموس، دفاعاً عن تركة أوديب، وبعضهم الآخــر سقــط عنــد أسـوار طروادة، إلى حيث جاؤ وا في طلب هيلين الحسنـاء، بعـد أن قطعـوا البحر العريض على متن سفنهم. وحين اختطفتهم يد المنـون جميعـاً أسكنهم زوس ـ قاذف الصـواعق ـ في أطـراف الأرض، بعيـداً عن النـاس الأحيـاء. إن الأبطـال يعيشـون في الجـزر الفاضلة، لدى مياه الأوقيانوس الصـاخبـة، حيـاة سعيـدة هنيئـة. وهنـاك تقدم لهم الأرض الخصبة ثمارها الحلوة كالعسل، ثلاث مرات في السنة.

وحـل العصـر الخـامس والأخير ـ العصر الحديدي والجنس البشري وهو لا يزال مستمـراً على الأرض. إن الأحـزان والعمـل المـرهق يهلك الناس ليلاً ونهاراً دون توقف، ويرسل الآلهة الهموم القاسية للناس. صحيح أن الآلهة يخلطون الشر بالخير، لكن الشر أكثر، فهو يسود في كل مكان. فلا الأولاد يحترمون ذويهم، ولا الصـديق يخلص لصـديقـه، ولا الضيـف يجد حسن الضيافة. ولا يسود الحب بين الأشقاء، ولا يراعي الناس الأيمان المقطوعة، ولايقيمون للحق والخير وزناً. إنهم يدمــرون مدن بعضهم البعض، ويســود العنف في كل مكـان. الغـرور والقـوة وحدهما موضع الاهتمام.

إن ربتي الـوجـدان والعـدالة قد غادرتا الناس. لقد طارتا في ثيابهما البيضاء إلى الأولمب العــالي. حيث الآلهــة الخـالـدون، ولم يبق للنـاس سوى المصـائب القاسية، وليس ثمة مايحميهم من الشر.

دوكاليون وبيرا[٢] : Deucalion - Pyrrha

ارتكب أبناء العصر النحاسي الكثير من الجرائم. وكانوا متعجرفين كفرة،

ويعصـون آلهـة الأولمب، فغضب زوس ـ قاذف الصواعق عليهم. وقد أثار غضبه بشكـل خاص ليكـاوون (Lycaon) ملك ليكـاسورا في أركاديا[٣]. ففي أحد الأيام وصـل زوس إلى ليكـاسـورا في زي إنسان فانٍ. ولكي يعرف سكان المدينة أنه إله قام بإحدى معجزاته، فخر الجميع أمامه، وأكرموا وفادته، كما يليق بالإله. وحده ليكاوون لم يرغب في تقديم فروض الطاعة لزوس، وراح يسخر من جميع من راح يعبـد زوس. وقـرر ليكـاوون أن يختبر ماإذا كان زوس إلهاً، أم لا. فعمد إلى قتل رهينة كان في قصره، وقدم من لحمه مأدبة لقاذف الصواعق العظيم. غضب زوس غضباً شديداً. ودك قصـر ليكـاوون بصاعقته، ومسخه ذئباً متعطشاً لسفك الدماء.

ومـع مرور الـزمن تمادى النـاس في كفـرهم، فعزم زوس على إفناء الجنس البشـري كله. وقـد قرر أن يسلط على الأرض مطـراً مدراراً بحيث يغـرق كل شيء. أوعـز زوس لجميـع الـرياح بالتوقف، وحدها ريح الجنوب الرطبة (نوتس) راحت تسوق السحب الممطرة الداكنة عبر السماء. وتدفقت الأمطار الغزيرة على الأرض. وراحت المياه في البحار والأنهار ترتفع وترتفع. واختفت تحت المياه المدن بأسـوارهـا وبيـوتهـا ومعـابدها. وبالتدريج راحت المياه تغمر كل شيء ـ الهضاب الحراجية والجبال الرواسي، إلى أن اختفت اليونان كلها تحت الأمواج المصطخبة. وظلت قمـة البـارناس، ذات الرأسين، ترتفع وحيدة بين الأمواج، وهناك، حيث كان الفـلاح يحرث أرضـه، وحيث كانت تخضـوضـر الكـرمـة المثقلة بعنـاقيـدهـا النـاضجـة، أصبحت الأسـماك تسبح، وبدأت قطعان الدلفين تتكاثر في الغابات المغمورة بالمياه.

هكـذا انقـرض الجنس البشري من العصر النحاسي. ولم تكتب النجاة إلا لاثنـين ـ دوكـاليـون، ابن بروميثيوس وزوجته بيرا. فقد قام دوكاليون، بناء على نصيحـة بروميثيـوس، بصنـع صنـدوق ضخم، ووضـع فيـه الكثير من المؤونة،

ودخله مع زوجته، ظلت أمواج البحر، الذي غطى اليابسة كلها، تتقاذف صندوق دوكاليون تسعة أيام بلياليها، إلى أن ساقته أخيراً إلى قمة البارناس، ذات الرأسين. وتوقف المطر الغزير، الذي أرسله زوس. وخرج دوكاليون وبيرا من الصندوق، وقدما قربان الشكر والامتنان لزوس. راح الماء يتناقص. ومن جديد ظهرت الأرض من تحت الأمواج، وقد أصبحت يباباً كالصحراء.

وحينذاك أرسل زوس هرمس إلى دوكاليون. انطلق رسول الآلهة سريعاً فوق الأرض الخراب، وقال لدوكاليون حين مثل أمامه:

- إن زوس حاكم الأرباب والناس، والذي يعرف فضيلتك، قد أمرك باختيار المكافأة، فأعرب عن أمنيتك يحققها لك ابن كرونوس.

ورد دوكاليون على هرمس بقوله:

- لست أرجو من زوس إلا شيئاً واحداً ياهرمس العظيم: أن يجعل الأرض عامرة بالناس من جديد.

انطلق هرمس عائداً على أعقابه إلى الأولمب، وبلغ زوس طلب دوكاليون. فأوعز زوس لدوكاليون وبيرا أن يجمعا الأحجار، ويلقيا بها وراءهما دون أن يلتفتا. نفذ دوكاليون إرادة زوس، ومن الأحجار التي ألقى بها تكون الرجال، أما النساء فقد تكون من الأحجار، التي رمت بها زوجته بيرا. وهكذا فبعد الطوفان سكن الأرض جنس جديد من الناس المتحدرون من الحجر.

بروميثيوس(٤) Promethée

مكان صحراوي موحش على تخوم الأرض، في بلاد السيثيين. الصخور القاسية تمتد بذراها الحادة خلف الغيوم. ومن حولك لايوجد أي نبات، ولاترى عشبة واحدة، كل شيء عار وكثيب. وفي كل مكان ترتفع أكوام الأحجار

الداكنة، التي انفصلت عن الصخور. وعند أقدام الصخور يرغي البحر ويزبد، ويرتفع الرذاذ المالح عالياً، والأحجار الساحلية مغمورة بزبد البحر. وبعيداً، خلف الصخور، تتراءى قمم جبال القوقاز الثلجية. المدثرة بالضباب الخفيف. وبالتدريج تلفع السحب الهائلة الأفق، فتختبيء قمم الجبال خلفها. وشيئاً فشيئاً تحجب السحب السماء، فيزداد تجهم ماحولك. ياله من مكان موحش قاس. فلم يسبق لقدم إنسان أن وطئت هذا المكان. وإلى هنا، إلى تخوم الأرض، حمل خدم زوس المادر بروميثيوس المقيد. لكي يكبلوه بالأغلال المتينة إلى قمة الصخرة. إن خادمي قاذف الصواعق، القوة والسلطة، هما اللذان يقودان بروميثيوس. وكان جسماهما الهائلان يبدوان وكأنهما نحتا من الغرانيت. وقلباهما لايعرفان الشفقة، ولا ترى في عيونهما التأثر أبداً، وجهاهما قاسيان كالصخور، التي تجثم من حولك. ومن خلفهما يسير الاله هيبايستوس حزيناً، مطرق الرأس، حاملاً مطرقته الثقيلة. إن بانتظاره عملاً رهيباً. فعليه أن يقيد بيديه صديقه بروميثيوس. إن هيبايستوس يقاسي الأمرين على المصير الذي ينتظر صديقه، لكنه لايجرؤ على عصيان زوس، قاذف الصواعق. فهو يعرف جيداً مدى صرامة العقاب، الذي ينزله زوس بمن يشق عصا الطاعة.

رفعت القوة والسلطة بروميثيوس إلى قمة الصخرة، وراحتا تستعجلان هيبايستوس أن يبدأ عمله. وكان كلامهما القاسي يزيد من عذابه وتألمه على صديقه. فيتناول مطرقته الهائلة غير راغب، الضرورة وحدها هي التي تدفعه للطاعة. وتستعجله القوة:

- عجّل، عجّل، خذ القيود! قيد بروميثيوس إلى الصخرة بضربات جبارة. عبثاً تحزن عليه، فأنت إنما تحزن على عدو زوس.

وتهدد القوة هيبايستوس بغضب زوس إن هو لم يقيد بروميثيوس، بحيث لايستطيع فكاكاً. ويقيد هيبايستوس يدي وقدمي بروميثيوس بالأغلال إلى

الصخرة. لكم يكره فنه الآن. وظل خادما زوس القاسيان يراقبان عمله باستمرار.

وتقول القوة:

- اضرب بالمطرقة بقوة! شدّ الأصفاد أكثر! إياك أن تجعلها رخوة! إن بروميثيوس داهية، ويستطيع بمهارة العثور على مخرج من العوائق التي لاتقهر، فقيده بقوة، ودعه يعرف هنا عاقبة خداع زوس.

ويصيح هيبايستوس:

- أوه كم يليق الكلام القاسي بكل هيئتك الصارمة.

تميد الصخرة تحت وقع ضربات المطرقة، ومن طرف الأرض إلى طرفها يتردد هزيم الضربات الجبارة. أخيراً أصبح بروميثيوس مقيداً. لكن الأمر لاينتهي عند هذا، بل يجب تثبيته إلى الصخرة بثقب صدره بنصل قاطع. ويتباطأ هيبايستوس، ثم يصيح:

- لكم أتوجع يابروميثيوس، وأنا أرى عذابك.

وتقول القوة لهيبايستوس بغضب:

- لقد عدت إلى بطئك، إنك مازلت تندب عدوزوس، حاذر أن تجد نفسك مضطراً لأن تندب نفسك.

أخيراً انتهى كل شيء. وتم كل شيء كما أمر زوس. فقد قيد المارد، وبقر النصل صدره. وتقول القوة لبروميثيوس متهكمة:

- إن بوسعك هاهنا أن تكون أبياً بالقدر الذي يحلولك، كن عزيز النفس كما كنت! واعط الآن للفانين هبات الآلهة، التي سرقت! وسوف نرى ماإذا كان أصحابك الفانون قادرين على مد يد العون لك. لسوف يكون عليك أن تفكر بنفسك بكيفية التحرر من هذه الأصفاد.

ويبقى بروميثيوس لائذاً بالصمت بإباء. وطيلة الوقت الذي أمضاه

هيبايستوس في تقييده إلى الصخرة لم ينبس ببنت شفة . حتى أنّة خفيفة لم تنطلق منه ـ ولم يظهر عذابه بأي شيء .

انصـــرف خادمـا زوس ، القـوة والسلطـة ، وانصـرف معهما هيبـايستـوس الحـــزين . وبقي بروميثيـــوس لوحـده ، ولم يعـد بالامكـان أن يسمعـه إلا البحـر والسحب المتجهمـــة . الآن فقـط انطلق الأنـين الثقيـل من الصـدر المبقـور للمارد الجبـار ، الآن فقـط راح ينـدب حظـه العـاثـر . كان العـذاب ، الذي لايوصف ، والتفجع الذي لاسبيل إلى التعبير عنه سدا شكواه ولحمتها :

ـ الا أيهـا الأثير الرباني ، وأنت أيتها الرياح السريعة ، يامنابع الأنهار واصطخاب أمواج البحر الدائم ، أيتها الأرض ، ياأم الجميع ، أيتها الشمس ، التي ترى كل شيء ، يامن تطـوفـين حول دائـرة الأرض ، إنني أدعوكم جميعاً شهوداً ! انظروا إلى ماأحـــاق بي ! إنكم ترون العـــار الـذي عليّ أن أحمله سنـوات لاتحصى . ياللمصيبة ! مصيبة . لسوف أعاني من العذاب الآن وقروناً لاتعد ولاتحصى . كيف لي بالعثور على نهاية لعذابي ؟ لكن ماهذا الذي أقول ، فقد كنت أعلم أن هذا سيحدث لي . إن هذا العذاب لم يصبني على غير انتظار . كنت أعرف أن إرادة القدر الصارم لارادّ لها . إن علي أن أتحمل هذا العذاب . لكن بأي ذنب ؟ لأنني أهـديت الهبـات العظيمة للفانين ، من أجل هذا يجب أن أقاسي هذا العذاب الذي لايطاق ، ولاسبيل إلى تجنبه . ياللمصيبة . مصيبة !

وتـردد فحيـح هادىء ، كأنه صادر عن رفرفة أجنحة ، لكأن تحليق الأجسام الخفيفـة قد هز الجـو . ومن الشـواطىء البعيدة للأوقيانوس الشائب ، من الكهف البـارد انطلقت مع هبـة الـريـح الخفيفـة الأوقيـانـوسيات نحو الصخرة على متن مركبـة . لقـد سمعن ضربـات مطرقة هيبايستوس ووصل إليهن أنين بروميثيوس . حجبت الـدمـوع عيـون الأوقيانوسيات الرائعة ، حين رأين المارد الجبار مقيداً إلى الصخـور . فقـد كان قريبـاً لهن ـ كان أبوه ـ جابيت ـ شقيق أبيهن أوقيانوس ، أما

زوجة بروميثيوس ـ هزيونه ـ فكانت أختهن. أحاطت الأوقيانوسيات بالصخرة. كان حزنهن على بروميثيوس عميقاً. لكن كلماته، التي تلعن زوس وجميع آلهة الأولب تخيف الأوقيانوسيات. فهن يخشين أن يزيد زوس من تعذيب المارد. لم تكن الأوقيانوسيات لتعرف سبب هذا العقاب الذي حل به. فطلبن من بروميثيوس، وهن في غاية التأثر، أن يخبرهن لماذا أنزل به زوس هذا العقاب، وبماذا أثار المارد سخطه؟

ويروي لهن بروميثيوس كيف ساعد زوس في صراعه ضد المردة. وكيف أقنع والدته ثيميس وغايا، ربة الأرض، بالوقوف إلى جانب زوس. انتصر زوس على المردة، وقذف بهم ـ بناء على نصيحة بروميثيوس، في جوف التارتار الفظيع. استولى زوس على السلطة على العالم، وتقاسمها مع آلهة الأولب الجدد، أما أولئك المردة، الذين ساعدوه، فلم يعطهم قاذف الصواعق السلطة في العالم. إلا أن زوس لايحب المردة، ويخاف قوتهم الرهيبة. فلم يكن زوس يثق ببروميثيوس، وكان يكرهه. وازدادت كراهية زوس له حين راح بروميثيوس يدافع عن الناس الفانين المساكين، الذين عاشوا في ذلك الوقت، الذي حكم فيه كرونوس. والذين أراد زوس القضاء عليهم. لكن بروميثيوس أشفق على الناس، الذين لم يكونوا يتمتعون بالعقل آنذاك، ولم يكن يريد أن يلقى بهؤلاء المساكين في مملكة هادس الكئيبة. فبث فيهم الأمل، الذي لم يكونوا يعرفونه، وسرق النار الربانية لهم، على الرغم من أنه كان يعرف العقاب الذي سيحل به بسبب ذلك. إن الخوف من الإعدام الرهيب لم يثن المارد الجبار الأبي عن الرغبة في مساعدة الناس، ولم تمنعه من ذلك أيضاً تحذيرات أمه العرافة ثيميس.

أصغت الأوقيانوسيات إلى قصة بروميثيوس برعب. وهاهو الشيخ العراف أوقيانوس نفسه يصل الصخرة في مركبة مجنحة سريعة. ويحاول أوقيانوس إقناع بروميثيوس بالخضوع لسلطة زوس: فعليه أن يعرف أن لاجدوى من الصراع ضد

قاهـر تيفـون الرهيب . ويشفق أوقيانوس على بروميثيوس . وهونفسه يتعذب ، إذ يرى مدى العذاب الذي يكابده بروميثيوس . إن الشيخ العراف مستعد لأن يسرع إلى الأولمب لكي يتـوسـل إلى زوس أن يصفح عن المارد، وإن كان بتوسلاته هذه قد يجر على نفسه سخط قاذف الصواعق . إنه يؤمن أن كلمة دفاع حكيمة غالباً ماتخفف سورة الغضب . لكن توسلات أوقيانوس لم تجد فتيلاً ، فقد رد بروميثيوس بإباء :

- كلا ، حاول أن تنقـذ نفسـك . أخـاف أن يجر عليـك تعاطفك الأذى . لسوف أتجرع كأس العقاب ، الذي أرسله لي القدر، حتى الثمالة . أما أنت ياأوقيانوس فحاذر أن تثير سخط زوس بالتوسل من أجلي .

ويرد أوقيانوس على بروميثيوس بأسى :

- أوه، إنني أرى أنـك بكـلامـك هذا تدفعني إلى العـودة على أعقـابي دون أن أحقق شيئاً . صدقني يابروميثيوس أن ماحدا بي للمجيء إلى هنا هو الاهتمام بحياتك والحب نحوك ، ولاشيء آخر.

وصاح بروميثيوس :

- كلا! انصرف! عجِّل، عجِّل واذهب من هنا . دعني وشأني .

غادر أوقيـانـوس بروميثيـوس بقلب منفطر . لقد انطلق في مركبته المجنحة ، بينـما تابـع بروميثيـوس رواية قصته عما فعل للناس مخالفاً مشيئة زوس . فمن على جبل موسشي ، في جزيرة ليمنوس سرق بروميثيوس النار للناس من أتون صديقه هيبـايستـوس . وقـد عـلـم الناس الفن ، وأعطـاهـم المعـارف ، وعلمهم الحسـاب والقـراءة والكتـابـة . وعرفهم على المعادن ، وعلمهم كيفية استخراجها من جوف الأرض ، وتصنيعهـا . وروض بروميثيـوس الثـور الـبري ، ووضـع النير عليه كي يتمكن الناس من استخدام قوة الثيران في استثمار حقولهم . وبروميثيوس هو الذي ربـط الحصـان بالعـربة ، وجعله مطيعاً للإنسان . وبنى المارد الحكيم أول سفينة

وجهزهـا وأرخى عليهـا الشـراع الكتـاني، لكي تنقـل الإنسان بسرعة عبر البحر الـواسـع. في المـاضي لم يكن النـاس يعـرفـون الأدويـة، ولم يكونوا يجيدون علاج الأمراض، لكن بروميثيوس كشف لهم قوة الدواء. لقد علمهم كل مامن شأنه أن يخفف عنهم هموم الحياة، ويجعلها أكثر سعادة وسروراً. وبهذا أغضب زوس، ولهذا عاقبه قاذف الصواعق.

لكن عذاب بروميثيوس لن يستمر إلى الأبد، فهـو يعرف أن القدر الغاشم سيصيب قاذف الصـواعق الجبـار أيضـاً. ولا مفـر له من مصيره. إن بروميثيوس يعـرف أن حكم زوس ليس خالـداً، وأنـه سيخلع عن عرش الأولمب الـرفيع. كما يعرف المارد العراف السر العظيم ـ كيف لزوس أن يتجنب المصير الغاشم، لكنه لن يطلع زوس على هذا السـر، ولن تستطيـع أيـة قوة، أية تهديدات، أي عذاب أن تنتزعه من فم بروميثيوس الأبي.

أنهى بروميثيـوس قصتـه. وكـانت الأوقيانوسيات يصغين إليه، وكأن على رؤوسهن الطـير. وقـد دهشن للحكمـة العظيمة وقوة الشكيمة لدى المارد الجبار، الـذي واتتـه الجـرأة على شق عصـا الطـاعة على زوس، قاذف الصواعق. ومن جديـد استـولى عليهن الـرعب حين سمعن بالمصـير الـذي يهدد به بروميثيـوس زوسـاً. وكن يدركن أن هذه التهـديـدات، إن هي وصلت الأولمب، فإن قاذف الصـواعق لن يتـورع عن القيـام بأي شيء، من أجل كشف السر القاتل. وقفت الأوقيـانـوسيات ينظرن إلى بروميثيوس بعيون ملؤها الدموع، وقد زلزلهن التفكير بحتميـة مشيئـة القـدر الصارم. خيم على الصخرة صمت عميق. لم يكن يقطعه سوى اصطخاب البحر الدائم.

وفجأة تردد في البعيـد أنـين بالكـاد يسمـع، إنـه أنـين التفجع والألم. ومن جديد يتناهى هذا الأنين إلى الصخرة، وهو يزداد اقتراباً وقوة. إنها إيو المسكينة، ابنة إله النهر إيناخوس، ملك أرغوس الأول، وقد مسختها هيرا عجلة، وأرسلت

في أثرها ذبابة البقر، وهاهي تندفع في جري مجنون، وقد تضرجت بالدم، وغطاها الـزبـد. توقفت إيـو، التي أنهكها التطواف، ومزقتها إبرة ذبابة البقر، توقفت أمام بروميثيـوس المقيـد. وراحت، وهي تئن وتتـوجـع، تروي مامـرت به من أهوال، وتتوسل للمارد العراف:

- يابـروميثيـوس! هنـا في نهايـة المطـاف، هلا كشفت لي، أتـوسـل إليك، متى سينتهي عذابي، ومتى سأعثر على الطمأنينة؟

وأجابها بروميثيوس:

- صدقيني ياإيـو أنـه من الأفضـل لك أن لاتعرفي ذلك، فلسوف تقطعين الكثير من البلدان. ولسوف تصادفين الكثير من الأهوال في طريقك. إن طريقك يمر عبر بلاد سيثيا، عبر القوقاز الثلجي العالي. وعبر بلاد الأمازونات نحو مضيق البوسفور، هكذا سيسمونه، تيمناً بك، بعـد أن تجتازيه، ولسوف تبقين طويلاً تائهـة في آسيـا. ولسوف تمرين قرب البلاد التي يقطنها الغورغون(٥)، حاملات المـوت، وعلى رؤوسهن الأفـاعي بدل الشعـر، وهي تتلوى وتفـح. فاحذري منهن. احـذري الغـريث(٦) والأريـماسب(٧)، الذين ستصادفينهم في طريقك. أخيراً ستصلين جبال بيبلين، ومنها يأخذ النيل مياهه الخيرة. وهناك في البلاد التي يرويها النيل ستعثرين عند منابعه على الطمأنينة. هناك سيعيد لك زوس هيئتـك السـابقـة الـرائعة. ولسوف تنجبين صبياً هوإيبافوس، الذي سيحكم مصـر كلهـا، وسيكـون رائد جيل رائع من الأبطال. ومن هذا الجنس سيتحدر ذلـك الفـاني، الذي سيكون خلاصي من القيود على يديه. هذا ماأخبرتني به والدتي، العرافة ثيميس، عن مصيرك ياإيو.

وصاحت إيو بصوت عال:

- ياللمصيبـة، مصيبـة! لايـزال القـدر الغـاشم يخبيء لي في جعبتـه الكثـير من العــذاب. إن قلبي يكـاد ينفطـر في صدري من الهـول. من جديـد يتملكني

الجنـون، ومن جديـد اخـترقت الإبرة النارية جسمي الممزق، من جديد أفقد موهبة النطق! أوه مصيبة، مصيبة.

ابتعدت إيـو عن الصخـرة، وهي تديـر عينيهـا بجنـون، وانطلقت في عدو مسعـور. كانت تبتعـد بسـرعة وكأن زوبعة تحملها. وفي أثرها انطلقت ذبابة البقر بأزيز قوي، وراحت تحرق إيو المسكينة بإبرتها. واختفت في غيوم الغبار عن عيون بروميثيـوس والأوقيـانوسيات. وشيئاً فشيئاً بدأ يخف عويل إيو، الذي كان يتناهى إلى الصخرة، إلى أن تلاشى أخيراً في البعيد، مثل أنين التفجع الخافت.

ولاذ بالصمت بروميثيـوس والأوقيـانـوسيات، حزناً على إيو المسكينة. إلى أن صاح بروميثيوس ساخطاً:

- مهـما عذبتني يازوس، ياقـاذف الصـواعق، فلسـوف يحل ذلـك اليـوم، الذي ستصبـح فيـه تفـاهـة. ولسـوف تفقد التاج، ويُلقى بك في الظلمة. وحينذاك ستتحقق لعنة أبيك كرونوس. ولا يعرف أحد من الآلهة كيف يقيك هذا المصير الغـاشم. أنـا وحـدي من يعـرف. إنـك الآن قوي جبـار تجلس على الأولمب السـاطـع، تقذف الصواعق والرعود، لكنها لن تجديك فتيلاً، فهي عاجزة عن مواجهة القدر المحتوم. وحين تعفر بالتراب ستعرف الفرق بين السلطة والعبودية.

ترك الخـوف غشـاوة على عيـون الأوقيـانـوسيات، وطرد الرعب اللون من وجوههن الرائعة. وصحن، وقد مددن إلى بروميثيوس أيديهن، البيضاء كزبد البحر:

- مجنون! كيف لاتخاف وأنت تهدد زوس، ملك الآلهة والبشر؟ لسوف يرسل لك يابروميثيوس عذاباً أقسى وأمرّ. هلاّ فكرت بمصيرك، هلاّ أشفقت على نفسك.

- إنني مستعد لكل شيء.

- لكن على الحكيم، أن يرضخ للقدر الذي لايرحم.
- توسلن، اطلبن المغفرة! ازحفن على ركبكن إلى الحاكم الرهيب! أما أنا، فما يهمني من زوس قاذف الصواعق؟ ولماذا أخافه؟ لم يكتب لي الموت! فليفعل زوس مايحلو له. لن يحكم الآلهة طويلاً.

لم يكد بروميثيوس ينطق بهذه الكلمات حتى مر هرمس عبر الجو بسرعة، كالنجم الساقط، ومثل أمام بروميثيوس رهيباً. لقد أرسله زوس لكي يكشف المارد السر: من سيطيح بزوس. وكيف يمكن تجنب مشيئة القدر؟ ويهدد هرمس بروميثيوس بإنزال العقاب الرهيب به على عصيانه. لكن المارد الجبار لايلين. ويرد على هرمس بابتسامة ساخرة:

- ستكون طفلاً، وسيكون عقلك عقل طفل إن كنت تأمل أن تعرف ولو شيئاً ما. يجب أن تعرف أنني لاأستبدل الخنوع لزوس وخدمته بأتراحي وأحزاني. إنني أفضل ان أكون مقيداً إلى هذه الصخرة على أن أكون خادماً أميناً للطاغية زوس. لايوجد ذلك الإعدام، ولاذلك العذاب، الذي يمكن لزوس أن يخيفني به، وينتزع من فمي ولو كلمة واحدة. كلا لن يعرف كيف له بالنجاة من المصير، لن يعرف الطاغية زوس أبداً من سينتزع السلطة منه.

ويرد هرمس على المارد:

- إذن أسمع يابروميثيوس ماذا سيجري لك إن أنت رفضت تنفيذ مشيئة زوس. بضربة من صاعقته سيقذف بهذه الصخرة وبك إلى الهاوية المظلمة: وهناك في السجن الحجري ستبقى قروناً عديدة، تتعذب في الظلمة العميقة. محروماً من ضوء الشمس. وتمر القرون، ومن جديد يرفعك زوس من الهوة إلى النور، لكنه لن يرفعك لخيرك. ففي كل يوم سيأتيك نسر، سيرسله زوس، لكي يمزق كبدك بمخالبه الحادة ومنقاره، وباستمرار ستلتئم جراح كبدك، وسوف يزداد عذابك شدة. ولسوف تبقى معلقاً على الصخرة على هذا النحو إلى أن

يوافق أحد ما طوعاً على أن ينزل بدلاً منك إلى مملكة هادس الكئيبة. فكر يابروميثيوس، أليس من الأفضل الرضوخ لإرادة زوس. فأنت تعرف أن زوس لايطلق تهديداته عبثاً أبداً.

وظل المارد الأبي صلباً لايلين، وهل كان بوسع أي شيء أن يثير خوفه؟ وفجأة اهتزت الأرض، وماد كل شيء، وتردد هزيم الرعد الذي يصم الآذان، وومض البرق بنور لايطاق. وهاجت الزوبعة السوداء وماجت. وارتفعت الأمواج العاتية وهي ترغي وتزبد فوق البحر، لكأنها سلاسل جبلية هائلة. ومادت الصخرة. وفي لجة هدير العاصفة وقصف الرعد، وهمهمة الزلزال تردد عويل بروميثيوس الرهيب:

- ياللضربة التي سددها لي زوس كي يثير الرعب في قلبي. ألا ياوالدتي المبجلة ثيميس، أيها الأثير، أيها النور المتدفق! انظروا كم هو زوس جائر في عقابه لي.

وتداعت الصخرة بقرقعة رهيبة، حاملة معها بروميثيوس المقيد إليها، وهوت في الهوة السحيقة، في العتمة السرمدية[٨].

ومرت القرون، وأخرج زوس بروميثيوس من الظلمة، إلى النور. لكن معاناته لم تنته، بل أصبحت أكثر قسوة. فقد رقد من جديد على الصخرة، مقيداً إليها، مكبلاً بالأغلال، تحرق أشعة الشمس اللافحة جسمه، وتمر فوقه العواصف، وعلى جسده المنهك ينهمر المطر والبرد، وفي الشتاء يسقط الثلج ندفاً على بروميثيوس، ويسمره البرد القارس. ولكن هذا العذاب لايكفي. ففي كل يوم يأتي الصخرة نسر عملاق، وهو يضج بجناحيه الجبارين. ثم يحط على صدر بروميثيوس، ويمزقه بمخالبه الحادة، وبمنقاره يمزق كبد بروميثيوس، فيتدفق الدم سيولاً، ثم يتجمد خثرات سوداء لدى أقدام الصخرة، ويتفسخ تحت الشمس، فتنتشر في الجو رائحة كريهة لاتطاق. في كل صباح يأتي النسر، ويبدأ وجبته الدامية. وخلال الليل تلتئم الجروح، وينمو الكبد من جديد. لكي يقدم

في النهار طعاماً جديداً للنسر. يستمر هذا العذاب سنوات وقروناً، ويشعر بروميثيوس، المارد الجبار بالإنهاك، لكن العذاب لايحطم روحه الأبية.

كان المردة قد تصالحوا مع زوس منذ عهد بعيد، وخضعوا له، واعترفوا بسلطانه، فأطلق زوس سراحهم من التارتار المظلم. وهاهم الآن بأجسامهم العملاقة، وقوتهم الجبارة قد جاؤوا إلى أطراف الأرض، إلى الصخرة، حيث يرقد بروميثيوس مقيداً. وقد أحاطوا بالصخرة، وراحوا يحاولون إقناع بروميثيوس بالخضوع لزوس. وجاءت ثيميس، والدة بروميثيوس، وراحت تتوسل إلى ولدها أن يروض روحه الأبية فلا يعارض زوس. وتتوسل لابنها أن يرثي لها: فهي تقاسي الأمرين، إذ ترى عذاب ولدها. وكان زوس نفسه قد نسي سخطه القديم. فقد أصبحت دولته الآن قوية، ولا يمكن لأي شيء أن يزعزعها، ولاشيء يخشاه. ثم إنه لم يعد يحكم كالطاغية، فهو يحمي الدول ويصون القوانين، ويسهر على حماية الناس وعلى الحق بينهم. ولاشيء يقض مضجع قاذف الصواعق، إلا ذلك السر، الذي لايعرفه سوى بروميثيوس. إن زوس مستعد لأن يعفو عن المارد الجبار، إن هو كشف له عن السر المشؤوم. لقد اقترب الوقت الذي سينتهي فيه عذاب بروميثيوس، فقد ولد وشب البطل العظيم، الذي أراد القدر أن يكون تحرير المارد من أصفاده على يديه. وظل بروميثيوس، الراسخ كالطود، يصون السر كما في الماضي، وقد أضناه العذاب، وبدأت قواه تخور.

أخيراً، وفي أثناء تطوافه، يصل إلى هنا، إلى أطراف الأرض، البطل العظيم، الذي كتب له أن ينقذ بروميثيوس. إن هذا البطل هو هرقل، الأقوى بين البشر، والجبار مثل الإله. إنه ينظر إلى عذاب بروميثيوس بهول، ويبلغ به التأثر مداه. ويروي المارد لهرقل قصته المؤلمة، ويتنبأ له بالبطولات التي سيحققها هو، أي هرقل. ويصغي هرقل للمارد باهتمام بالغ. لكن هرقل لم يكن قد رأى كل هول

عذاب بروميثيوس. ففي البعيد سمع صخب الجناحين الجبارين، إنه النسر آت إلى مائدته الدامية. ها هو يحلق عالياً في السماء، فوق بروميثيوس، ويستعد لأن يحط على صدره. لكن هرقل لم يتركه يعذب بروميثيوس. فامتشق قوسه، وأخرج سهماً قاتلاً من الجعبة، واستنجد بأبولون قاذف النبال، لكي يسدد السهم بشكل أفضل، ثم أطلقه. أطلق وتر القوس رنيناً قوياً. وحلق السهم، وسقط النسر المصاب في البحر العاصف عند أقدام الصخرة. حلت لحظة الحرية. ومن أعالي الأولمب جاء هرمس على عجل. ووجه كلامه المعسول إلى بروميثيوس الجبار، ووعده باطلاق سراحه فوراً، إن هو كشف لزوس سر تجنب المصير الغاشم. أخيراً وافق بروميثيوس الجبار على أن يبوح لزوس بهذا السر، فقال:

- ليتجنب قاذف الصواعق الزواج من ربة البحر ثيتيس (Thétis) لأن ربات المصير، المويرات العرافات، جعلن من نصيب ثيتيس أن كل من يكون زوجها سيرزق منها بولد يفوقه قوة. وليزوج الآلهة ثيتيس للبطل بيلياس، وسيكون ابن ثيتيس وبيلياس الأعظم بين أبطال اليونان الفانين.

لقد باح بروميثيوس بالسر العظيم، وحطم هرقل بهراوته الثقيلة أصفاده، وأخرج من صدره النصل، الذي كان يثبت المارد إلى الصخرة. وقف المارد على قدميه، بعد أن أطلق سراحه، لقد انتهى عذابه. وهكذا صدقت النبوءة بأن تحريره سيكون على يد فانٍ. وراح المردة يطلقون صيحات الفرح القوية، ترحيباً بتحرير بروميثيوس.

ومنذ ذلك الحين وبروميثيوس يحمل على يده حلقة حديدية، فيها حجر من تلك الصخرة، التي ظل لقرون عديدة يقاسي عليها الأمرين.

وقد وافق القنطور الحكيم شيرون على أن ينزل إلى العالم السفلي، مملكة أرواح الموتى، بدلاً من بروميثيوس. وبهذا فقد تخلص من الآلام المبرحة، التي سببها له الجرح، الذي لايلتئم، والذي ألحقه به هرقل عن غير قصد.

بـانـدورا Pandore :

حين سرق بروميثيوس النار للناس، وعلمهم الفنون والحرف، وأعطاهم المعارف، أصبحت حياتهم على الأرض أكثر سعادة. وقد أنزل زوس ببر وميثيوس عقاباً قاسيا، وأرسل الشر للناس على الأرض. فقد أمر هيبايستوس، إله الحدادة، أن يخلط التراب بالماء، ويصنع من هذه العجينة فتاة حسناء، لها قوة البشر، وصوت ناعم، ونظرة ساحرة، كنظرة الربات الخالدات. وكان على أثينا بالاس، ابنة زوس، أن تحوك لها ثوباً رائعاً، أما ربة الحب أفروديت فكان عليها أن تهبها الجاذبية، وهرمس ـ العقل الماكر والدهاء.

وللحال نفذ الآلهة أمر زوس. فقد صنع هيبايستوس فتاة فريدة في حسنها وجمالها. ونفخت الآلهة فيها الروح. وألبستها أثينا بالاس مع الهاريت ثوباً ساطعاً كالشمس، وزينتها بالعقود الذهبية. أما الهورات فقد وضعن على شعرها الكثيف إكليلاً من الأزهار العبقة ولقنها هرمس كلاماً كاذباً، مفعماً بالتزلف. وقد أسماها الآلهة باندورا، لأنها حصلت منهم جميعاً على الهبات[9]. وكان على باندورا أن تحمل للناس البؤس والشقاء.

حين أصبح هذا الشر المخصص للناس جاهزاً أرسل زوس هرمس لينقل باندورا إلى الأرض، إلى إيبيميثيوس، شقيق بروميثيوس. وكان بروميثيوس الحكيم قد حذر أخاه الطائش أكثر من مرة، ونصحه ألّا يقبل هبات زوس قاذف الصواعق. فقد كان يخشى أن تجر هذه الهبات الشقاء على الناس. لكن ايبيميثيوس لم يصغ لأخيه الحكيم. وقد سحرته باندورا بجمالها، فتزوجها. ولم يلبث ايبيميثيوس أن عرف مقدار الشقاء الذي جرته باندورا على البشر.

كان ثمة في منزل إيبيميثيوس وعاء كبير، مغلق باحكام بغطاء ثقيل، ولم يكن أحد يعرف ماذا يوجد في هذا الوعاء، ولم يكن أحد يجرؤ على فتحه، لأن

الجميع كانوا يعرفون أن ذلك يجر المصائب. وقد عمدت باندورا الفضولية إلى رفع الغطاء عن الوعاء خفية. فتطايرت كل المصائب، التي كانت حبيسة فيه، وانتشرت في بقاع الأرض. وحده الأمل بقي في قعر الوعاء الضخم. ومن جديد انغلق الغطاء، فظل الأمل في بيت إيبيميثيوس، ولم يفارقه، وهذا مالم يكن زوس، قاذف الصواعق يأمله.

كان الناس في السابق يعيشون سعداء، لايعرفون الشر ولا العمل القاسي، ولا الأمراض الفتاكة. أما الآن فقد انتشرت المصائب، ألوفاً مؤلفة، بين الناس. وامتلأت الأرض والبحر بالشر. ففي الليل والنهار يأتي الشر والأمراض إلى الناس دون دعوة، حاملة العذاب والمعاناة معها. إنها تأتي بخطوات لاتسمع وبصمت، لأن زوس حرمها موهبة النطق، فقد خلق الشر والأمراض خرساناً.

إياكوس[11] Eaque :

حين اختطف زوس ابنة آسوب إله النهر الحسناء، حملها إلى جزيرة أوينوبيوس، التي أصبحت منذ ذلك الحين تعرف باسم ابنة آسوب ـ ايجين. وعلى هذه الجزيرة ولد إياكوس، ابن ايجين وزوس. ولم يكن أحد يقارن به في كل أرجاء اليونان من حيث حبه للحقيقة وعدالته. حتى آلهة الأولمب أنفسهم كانوا يجلون إياكوس، وغالباً ماكانوا يختارونه حكماً لفض نزاعاتهم. وعلى غرار مينوس (Minos) ورادامانت (Rhadamanthe) أصبح إياكوس. بعد موته، وبمشيئة الآلهة، قاضياً في العالم السفلي.

وحدها الربة هيرا كانت تكره إياكوس، وقد رزأت مملكته بمصيبة كبيرة. فقد غطى الضباب الكثيف جزيرة إيجين، واستمر هذا الضباب أربعة أشهر، إلى

أن طردته ريح الجنوب أخيراً. لكن هذه الريح لم تجلب النجاة من الكارثة، بل جلبت الهلاك. فقد أنجب الضباب القاتل عدداً لايحصى من الأفاعي السامة، التي ملأت البرك، الينابيع، والجداول في ايجين، وقد تسمم الجميع بسببها، واجتاح وباء الطاعون الرهيب الجزيرة، فمات كل حي عليها، ولم ينج إلا إياكوس وأبناؤه. وقد رفع إياكوس يديه نحو السماء وصاح بألم:

- الا يازوس، أيها الحاكم العظيم، إن كنت زوج إيجين حقاً، وإن كنت والدي فعلاً، ولاتخجل من ذريتك، فأعد لي شعبي، أو ابعث بي فوراً إلى ظلمة القبر.

ومض البرق، وتردد هزيم الرعد في السماء الصاخبة. وأدرك إياكوس أن التماسه قد سمع، وفي المكان، الذي وقف فيه إياكوس يصلي لأبيه زوس، كانت تنتصب شجرة بلوط عملاقة، منذورة لزوس، قاذف الصواعق، وعند جذورها كان يوجد وكر نمل. وبالمصادفة وقع نظر إياكوس على وكر النمل، الذي يغص بآلاف مؤلفة من النمل المحب للعمل، ظل إياكوس طويلاً يراقب عمل النمل، وكيف بنى مدينته النملية، فقال:

- هب لي يازوس، أيها الأب الرحيم، مواطنين محبين للعمل بعدد النمل في هذا الوكر.

لم يكد إياكوس ينطق بذلك حتى تحركت أغصان البلوطة العملاقة، على الرغم من سكون الهواء. كانت تلك إشارة أخرى أرسلها زوس لإياكوس. وخيم الليل، فرأى إياكوس حلماً رائعاً. فقد رأى بلوطة زوس المقدسة، وكانت أغصانها مغطاة بعدد كبير من النمل. واهتزت الأغصان البلوطة، فانهمر النمل عنها كما المطر. وبعد سقوطه على الأرض راح النمل يكبر ويكبر، وتقف كل نملة على قدميها، وتستقيم ويختفي لونها القاتم وهزالها، وتتحول رويداً رويداً إلى بشر. واستيقظ إياكوس، إنه لايصدق النبوءة، حتى أنه راح يشكو من الآلهة، لأنهم لم

يرسلوا له النجدة. وفجأة سُمع صخب. وسمع إياكوس وقع خطوات، وأصوات بشر. وخطر له «أليس هذا حلماً ياترى؟» وفجأة يأتي ولده تيلامون مهرولاً، يرتمي على والده ويقول بفرح:

- هيا اخرج بسرعة ياوالدي، لسوف ترى المعجزة العظيمة، التي لم تكن تتوقعها.

وخرج إياكوس من مخدعه فرأى أولئك الناس، الذين رآهم في الحلم، أحياء يرزقون، وأعلن الناس، الذين كانوا نملاً، إياكوس ملكاً عليهم، أما هو فقد أطلق عليهم اسم ميرميدون[11] (Myrmidons)، وهكذا عادت ايجين جزيرة آهلة.

دانائيد[12] Danaides :

كان لدى إيباخوس، ابن زوس وايو، ولد اسمه بيلوس (Belos)، وكان لدى الأخير ولدان هما إيجيبتوس (Egyptos) ودانايوس (Danaus). وكان ايجيبتوس يحكم كل البلاد، التي يرويها النيل الخير، ومن هنا جاءت تسمية مصر. أما دانايوس فكان يحكم في ليبيا. وقد رزق الآلهة ايجيبتوس خمسين ولداً، أما دانايوس فقد رزق بخمسين بنتاً في غاية الحسن والجمال. وقد سحرت الدانائيد أبناء ايجيبتوس بجمالهن، فأراد هؤلاء أن يتخذوا الفتيات الحسناوات زوجات لهم، لكن دانايوس والدانائيد رفضوا ذلك. حشد أبناء ايجيبتوس جيشاً عرمرماً، وشنوا حربهم على دانايوس، وانكسر دانايوس على أيدي أبناء أخيه، ثم لاذ بالفرار. وبمعونة الربة أثينا بالاس بنى دانايوس أول سفينة بخمسين مجذافاً، وانطلق على متنها مع بناته عبر البحر الواسع المصطخب أبداً.

سارت سفينة دانايوس عبر أمواج البحر طويلاً، إلى أن وصلت جزيرة رودوس. وهنا توقف دانايوس، وخرج مع بناته إلى الشاطىء، وأسس معبداً

لحاميته الربة أثينا، وقدم لها الأضاحي الكثيرة. ولم يستقر دانايوس في رودوس. فقد دفعه الخوف من تعقب أبناء ايجيبتوس إلى أن يبحر مع بناته باتجاه سواحل اليونان، إلى آرغوس، مسقط رأس إيو. وكان زوس نفسه ساهراً على سلامة السفينة أثناء رحلتها الخطيرة في البحر الشاسع. وبعد رحلة طويلة رست السفينة على شواطىء آرغوس الخيرة. وكان دانايوس والدانائيد يأملون في أن يجدوا الحماية هنا، والنجاة من الزواج الممقوت من أبناء ايجيبتوس.

نزلت الدانائيد إلى الشاطىء، ولم يكن يبدو في المكان أحد. أخيراً ظهرت في البعيد سحابة من الغبار، راحت تقترب بسرعة، إلى أن ظهر فيها بريق الدروع والتروس والرماح. إن القادم هو جيش ملك آرغوس بيلاسفوس، ابن باليهتون، فما إن أنبيء بيلاسفوس بوصول السفينة حتى جاء شاطىء البحر مع قواته. وهناك لم يلتق عدواً، بل الشيخ دانايوس وبناته الخمسين الحسناوات. وقد استقبلنه وفي أيديهن أغصان الزيتون، وهن يتوسلن إليه أن يحميهن. كانت بنات دانايوس الحسناوات يتوسلن إليه، وقد مددن أيديهن نحوه، أن يساعدهن ضد أبناء ايجيبتوس المغرورين، وتحلّف الدانائيد بيلاسفوس باسم زوس، حامي المتوسلين الجبار، أن لا يسلمهن، وهن لسن غريبات في آرغوس، موطن جدتهن إيو.

كان بيلاسفوس لايزال متردداً: فهو يخاف الحرب ضد حكام مصر الأقوياء. فماذا يفعل؟ لكنه يخاف أكثر من سخط زوس، إذا ماانتهك قوانينه، ورفض طلب من يتوسل إليه أن يمد له يد المساعدة. أخيراً ينصح بيلاسفوس دانايوس أن يذهب إلى آرغوس بنفسه، وهناك يضع على مذبح الآلهة غصون الزيتون إشارة إلى التماس الحماية. أما هو فقد قرر أن يجمع الشعب، ويتشاور معه. ويعد بيلاسفوس الدانائيد أن يبذل قصارى جهده من أجل إقناع مواطني آرغوس بمساعدتهن.

وينصرف بيلاسفوس. وعلى أحر من الجمر تنتظر الداناثيد قرار الاجتماع الشعبي. إنهن يعرفن مدى عناد أبناء ايجيبتوس، ومدى هولهم في ساح الوغى، وهن يعرفن ماذا يتهددهن إذا مارست سفن المصريين على شاطىء آرغوس. فماذا سيفعلن، وهن الفتيات المسكينات، إن حرمهن سكان آرغوس من الملاذ والمساعدة؟ إن المصيبة وشيكة. فها قد وصل رسول أبناء ايجيبتوس، وراح يهدد بنقل الداناثيد إلى السفينة بالقوة، وقد أمسك بيد إحدى بنات دانايوس وأوعز لعبيده أن يمسكوا بالباقيات. وهنا يظهر الملك بيلاسفوس من جديد. ويبسط حمايته على الداناثيد، ولا يخيفه تهديد رسول أبناء ايجيبتوس بالحرب.

جر قرار تقديم الحماية لدانايوس وبناته الهلاك على بيلاسفوس وسكان ارغوس. فبعد هزيمته في المعركة الدامية، فر بيلاسفوس إلى أقصى شمال أملاكه الشاسعة. صحيح أن دانايوس اختير ملكاً لآرغوس، لكن كان عليه، من أجل عقد صلح مع أبناء ايجيتوس أن يزوجهم ببناته الحسناوات.

أحيا أبناء ايجيبتوس عرساً زاهياً للزواج بالداناثيد. ولم يكن يخطر لهم ببال المصير الذي سيجره عليهم هذا الزواج. انتهت مأدبة الزفاف الصاخبة، وصمتت أناشيد الأعراس، وأخمدت مشاعل الزواج، وخيمت ظلمة الليل على آرغوس. وساد الصمت المطبق المدينة الهاجعة، المستسلمة للنوم. وفجأة شق سجف الصمت أنين احتضار ثقيل، ثم تلاه ثان وثالث. فتحت ستار الليل ارتكبت الداناثيد جريمة هائلة.

فما إن استسلم أزواجهن للنوم حتى غمدن في أجسامهم الخناجر، التي أعطاها لهن دانايوس. وهكذا فقد هلك أبناء ايجيبتوس.

وقد نجا واحد منهم فقط، انه لانسيوس الجميل، فقد أشفقت عليه هيبرمنسترا، ابنة دانايوس الشابة، فلم يطاوعها قلبها على أن تغمد خنجرها في صدر زوجها، فأيقظته، وأخرجته من القصر خفية.

ثارت ثائـرة دانـايـوس حين عرف أن هيـبرمنسـترا عصت أوامـره، فقيدها بالأغـلال الثقيلة، وألقى بها في السجن. واجتمعت محكمـة الشيوخ في آرغوس، لكي تحاكم هيبرمنسترا على عصيانها والدها. وكان دانايوس يريد لابنته الموت. لكن ربة الحب، أفروديت الذهبية، جاءت نفسها إلى المحكمة. وقد دافعت عن هيـبرمنسـترا، وأنقـذتها من الإعدام القاسي. وقد أصبحت ابنة دانايوس المعذبة والمغـرمـة، زوجة لانسيوس. وقد بارك الآلهة هذا الزواج بذرية كبيرة من الأبطال العظام. إن هرقل نفسه، بطل اليونان الخالد، يتحدر من صلب لانسيوس.

ثم إن زوس لم يكن يريد الموت للدانائيد الأخريات، وهكذا فقد أوعز لأثينا وهرمس أن يطهّرا الدانائيد من رجس الدم المراق. وأحيا الملك دانايوس مباريات عظيمة على شرف آلهة الأولمب. وكان الفائزون في هذه الأولمب يكافأون بالزواج من بنات دانايوس.

ومع هذا فإن الدانائيد لم ينجين من العقاب على ماارتكبت أيديهن. فهن يتحملن هذا العقـاب بعـد الموت في مملـكة هادس الكئيبة. إن عليهن أن يملأن وعاء هائلاً، لاقعر له، بالماء، يأخذنه من النهر الجوفي، ويدلقنه في الوعاء. هاهو الوعاء يبدو وكأنه يوشك أن يمتلىء، لكن الماء يتدفق منه، ويعود خاوياً كما كان. ومن جديد تبدأ الدانائيد العمل، يحملن الماء، ويدلقنه في الوعاء الذي لاقعر له. هكذا يستمر عملهن العقيم إلى مالانهاية.

بيرسيوس(١٣) Perseus :

ولادة بيرسيـوس: كان لدى اكـريـزيوس (Acrislos) ملك آرغوس، حفيد لينكـوس، ابنـة اسمهـا دانـاييه (Danaé) اشتهرت بجمالها غير الأرضي. وقد تنبأ العراف لأبيها أن هلاكه سيكون على يد ابن دانابيه. ومن أجل تلافي هذا المصير

بنى اكريزيوس جناحاً واسعاً من البرونز والحجر عميقاً تحت الأرض. وسجن ابنته فيه.

لكن زوس «قـاذف الصـواعق» أحبها، ونفذ إلى جناح داناييه في هيئة مطر ذهبي، وأصبحت ابنـة أكـريـزيوس زوجة زوس. ورزقت من هذا الزواج بصبي رائع، أطلقت عليه اسم بيرسيوس.

لم يمكث بيرسيـوس الصغـير طويـلاً مع والـدتـه في الجنـاح المـوجود تحت الأرض. ففي ذات مرة سمـع اكـريـزيـوس صوت بيرسيـوس الصغير وضحكاته المـرحـة. فنـزل قاصـداً ابنته كي يعرف سبب سماع ضحك الأطفال في جناحها. ولاتسل عن دهشة اكريزيوس حين رأى الصبي الصغير، ولاتسل عن مدى خوفه حين عرف أنه ابن داناييه وزوس، فقد تذكر فوراً نبوءة العراف. ومن جديد كان عليه أن يفكر كيف يتجنب مصيره. أخيراً أمر أكريزيوس بصنع صندوق خشبي كبير، حبس فيه داناييه وابنها بيرسيوس، وبعد أن أغلقه باحكام أمر بإلقائه في البحر.

مضت فترة طويلة وأمـواج البحـر المـالح العاصفة تتقاذف الصندوق. كان الهلاك يتهدد داناييه وابنها فقد كانت الأمواج تتقاذف الصندوق من جهة إلى أخرى، تارة ترفعـه عاليـاً فوق قممها. وأخرى ترمي به إلى لجة اليم. أخيراً قذفت به الأمواج المصطخبـة أبـداً إلى جزيرة سيريفوس[14]. وفي ذلك الوقت كان الصياد ديكتيس على الشاطىء يصطاد السمك. وكان قد فرغ لتوه من رمي شباكه في البحر. وقد علق الصنـدوق في الشبـاك. فأخرجه ديكتيس إلى الشاطيء. وما ان فتحه حتى وقف ذاهلاً. وهو يـرى امرأة ذات جمال ساحر، وصبياً في غاية الروعة. وقد نقلهما ديكتيس إلى أخيه بوليديكتس، ملك سيريفوس.

شب بيرسيـوس في بلاط الملك بوليـديكيتس، وأصبـح شابـاً قويـاً طويـل القـامـة. وكـان كالنجم يتلألأ بين شبان سيرفيوس بجماله، ولم يكن أحد يضاهيه قوة ولامهارة ولا شجاعة.

بيرسيوس يقتل الغورغون ميدوزا : كان بوليديكتس ينوي أن يأخذ دانايية الحسناء زوجة له عنوة، لكن دانايية كانت تكره الملك بوليديكتس الصارم. وقد تصدى بيرسيوس للدفاع عن أمه، مما أثار سخط بوليديكتس، ومنذ ذلك الوقت لم يعد يفكر إلا بشيء واحد - كيف يقضي على بيرسيوس. وفي النهاية قرر بوليديكتس الظالم إرسال بيرسيوس لجلب رأس الغورغون ميدوزا، وهكذا فقد استدعى بيرسيوس وقال له:

- إن كنت ابن زوس قاذف الصواعق فعلاً فلن ترفض اجتراح المأثرة العظيمة، ولن يرتجف فؤادك أمام أي خطر. برهن أن زوساً أبوك، واحضر لي رأس الغورغون ميدوزا. إنني واثق أن زوساً سيساعد ولده.

نظر بيرسيوس إلى بوليديكتس بإباء ثم رد عليه بهدوء:

- حسن لسوف آتيك برأس الغورغون ميدوزا.

انطلق بيرسيوس في الدرب البعيد، كان عليه أن يصل طرف الأرض الغربي. إلى البلد الذي تحكمه ربة الليل وإله الموت ثاناتوس. وكانت تقطن هذا البلد الغورغونات الفظيعات، وكان جسم كل منهن مغطى بحراشف لامعة وقاسية. وحده سيف هرمس كان قادراً على تقطيع هذه الحراشف. وكانت أيديهن، الهائلة الحجم، نحاسية وذات مخالب حادة. وبدلاً من الشعر كانت على رؤوسهن أفاعٍ سامة لاتكف تتحرك وتفح. أما وجوه الغورغونات، ذات الأنياب الحادة كالخناجر، والشفاه الحمراء كما الدم، والعيون التي تقدح شرراً، فكانت تقطر شراً. وكانت من الهول بحيث أن نظرة واحدة إلى الغورغونات كانت تكفي للتحول إلى حجر. وعلى الأجنحة، ذات الريش الذهبي الساطع، كانت الغورغونات تنطلق في الجو مسرعة. والويل كل الويل للانسان الذي قد يصادفنه. كانت الغورغونات تمزقنه إرباً بأيديهن النحاسية وتشربن دمه الحار.

كان على بيرسيوس أن يجترح مأثرة ليست بالسهلة. ولم تكن آلهة الأولمب

لتسمح بهلاك ابن زوس. فجاء إلى نجدته رسول الآلهة هرمس، السريع سرعة الخواطر، وابنة زوس المحبوبة أثينا المحاربة. أعطت أثينا بيرسيوس ترساً نحاسياً مصقولاً، لدرجة أنه كان يعكس كل شيء. أما هرمس فأعطاه سيفه القاطع، ودل رسول الآلهة البطل الشاب على مكان الغورغونات.

كان طريق بيرسيوس طويلاً. فقد قطع بلداناً عديدة، ورأى شعوباً كثيرة، إلى أن وصل أخيراً البلاد المعتمة، حيث تعيش الغولات (Les Grées) العجائز، ولم يكن لديهن سوى عين واحدة وسن واحدة، كن يتناوبن على استخدامها، ففي الوقت الذي كانت فيه العين لدى إحداهن كانت الباقيتان عمياوين، فكانت المبصرة تقود أختيها العمياوين العاجزتين. وحين كانت الغولة المبصرة تخرج العين لتعطيها لأختها التالية، كانت الشقيقات الثلاث كلهن عمياوات. كانت الغولات تحرسن الطريق المؤدي إلى الغورغونات، وحدهن كن يعرفنه. تسلل بيرسيوس نحوهن بهدوء تحت جنح الظلام، وبناء على نصيحة هرمس انتزع من الغولة العين الساحرة في اللحظة، التي كانت تعطيها لأختها. وصرخت الغولات من الفزع. فقد أصبحن كلهن عمياوات. فماذا يفعلن وهن عمياوات وعاجزات؟ فرحن يتوسلن إلى بيرسيوس ويستحلفنه بجميع الآلهة أن يرد لهن العين. وكن على استعداد لأن يفعلن أي شيء للبطل، المهم أن يعيد لهن جوهرتهن. وحينذاك طلب بيرسيوس من الغولات أن يرشدنه إلى الطريق المؤدي إلى الغورغونات. ترددت الغولات طويلاً، لكنهن اضطررن، من أجل استعادة البصر، أن يرشدنه إلى هذا الطريق. هكذا عرف بيرسيوس كيف يصل جزيرة الغورغونات، فتابع طريقه على عجل.

بعد مضي فترة من الزمن وصل بيرسيوس إلى الحوريات اللواتي قدمن له ثلاث هدايا: درع هادس، حاكم العالم السفلي، الذي كان يجعل كل من يرتديه غير مرئي، صندلاً مجنحاً، كان يسمح لمن يلبسه بأن يطير في الجو بسرعة، وحقيبة

سحرية، كانت تتسع وتضيق حسب حجم محتواها. ارتدى بيرسيوس الصندل المجنح ودرع هادس، وعلق الحقيبة السحرية على كتفه، ثم انطلق بسرعة في الجو، إلى جزيرة الغورغونات.

كان بيرسيوس يحلق على ارتفاع عال في السماء. ومن تحته تنبسط الأرض، ذات الوديان الخضراء، كانت الأنهار تتلوى فيها كالشرائط الفضية. وبدت المدن في الأسفل، وفيها كانت معابد الآلهة تتلألأ برخامها الأبيض. وفي البعيد كانت ترتفع الجبال، المغطاة بالغابات الخضراء، وكالماس كانت تتلألأ تحت أشعة الشمس قممها المغطاة بالثلج. كان بيرسيوس ينطلق كالزوبعة نحو الأمام، وقد ارتفع إلى علو شاهق لاتبلغه النسور على أجنحتها الجبارة.

وهاقد تلألأ البحر في البعيد فبدا كالذهب المصهور. الآن أصبح بيرسيوس يطير فوق البحر فيتناهى إليه اصطخاب الأمواج بحفيف بالكاد يسمع. ولم تعد الأرض مرئية. وعلى مد النظر، في شتى الاتجاهات انبسط السهل المائي. أخيراً، تراءت في عمق البحر البعيد جزيرة كشريط أسود، كانت تقترب شيئاً فشيئاً، إنها جزيرة الغورغونات. وكان ثمة شيء مايتلألأ بوهج لايطاق تحت أشعة الشمس في هذه الجزيرة. وانخفض بيرسيوس قليلاً. وراح يحلق كالنسر فوق الجزيرة، فرأى ثلاث غورغونات هائلات، نائمات على الصيخرة، وقد نشرن أيديهن النحاسية، أما حراشفهن وأجنحتهن الذهبية فكانت تتوهج كالنار تحت الشمس، وكانت الأفاعي على رؤوسهن بالكاد تتحرك، وهن نائمات. وأدار بيرسيوس وجهه بسرعة لكي لايرى الغورغونات. فقد كان يخاف رؤية وجوههن الفظيعة: إذ تكفي نظرة واحدة إليهن ليتحول إلى حجر. أخذ بيرسيوس ترس أثينا بالاس، فانعكست الغورغونات فيه كما في المرآة. لكن من هي ميدوزا بينهن؟ إن الغورغونات شبيهات ببعضهن، كما تشبه قطرات الماء بعضها بعضاً. ومن بين الغورغونات الثلاث ميدوزا وحدها الفانية، ولايمكن إلا

قتلهـا هي. وفكـر بيرسيـوس مليّاً. وجاء هرمس السريع لنجدته، فقد دله على ميدوزا، وهمس في أذنه بصوت ضعيف:

- هيـا عجـل يابـيرسيـوس. انـزل إلى تحت بجـرأة أكبر. هاهي ميدوزا، تلك الأقـرب إلى البحـر. اقطـع رأسهـا. وإياك أن تنظر إليها نظرة واحدة فتهلك. عجّل قبل أن تستيقظ الغورغونات.

وكـما ينقض النسـر من عنـان السماء على طريدته كذلك انقض بيرسيوس على ميـدوزا النـائمـة. إنـه ينظـر إلى الترس الكاشف كي يسدد الضربة بشكل صائب. وأحست الأفـاعي على رأس ميـدوزا بالعـدو، فنهضت، وهي تطلق فحيحـاً رهيبـاً. وتحـركت ميـدوزا، وهي لاتزال نائمة، وبدأت تفتح عينيها، وفي هذه اللحظـة ومض السيف القـاطـع كالـبرق، وبضـربة واحدة أطاح بيرسيوس برأس ميـدوزا. وتـدفق دمهـا القـاتـم على الصخـرة، ومن الـدم المتدفق من جثة ميـدوزا حلق في السـماء عالياً الحصان بيغاس، وظهر العملاق كريزاور(*). وعلى جنـاح السـرعـة التقط بيرسيـوس رأس الميـدوزا، وخبأه في الحقيبـة السحرية. وسقطت جثة ميدوزا من على الصخرة في البحر، وهي تتلوى في خلجات الموت. ومن صخب سقـوطهـا استيقظت شقيقتـاها أوريـانـو وسيتنـو. وبعـد أن رفـرفتـا بأجنحتهـما القـوية حلقتا فوق الجزيرة، وراحتا تنظران حولهما بعيون تتوهج حنقاً. كانت الغـورغـونتـان تنـدفعـان عبر السـماء بصخب، لكن قاتل شقيقتهما ميدوزا اختفى دون أثر. ولم تكن ثمة روح حية واحدة لافي الجزيرة ولابعيداً في البحر. أما بيرسيوس فكان يندفع مسرعاً فوق البحر الصاخب، وهو في درع هادس. وها هو يطـير فوق رمـال ليبيا. ومن خلال الحقيبة راح الدم يتسرب من رأس ميدوزا فيقع قطرات ثقيلة على الرمل. ومن قطرات الدم هذه أنجبت الرمال الأفاعي السامة. كانت كل الأمكنـة تعـج بها، ولاذ كل ماهو حي بالفرار، وقد حولت الأفاعي ليبيا إلى صحراء.

بيرسيوس وأطلس: كان بيرسيوس يبتعد شيئاً فشيئاً عن جزيرة الغورغونات. وكما السحابة، التي تسوقها الريح العاصفة، كان يندفع عبر السماء، إلى أن وصل أخيراً ذلك البلد، الذي يحكمه أطلس العظيم، ابن المارد جابيت، وشقيق بروميثيوس. وفي حقول أطلس كانت آلاف القطعان من الأغنام، ذات الجزز الرقيقة، والأبقار والثيران، ذات القرون المعقوفة، وفي أملاكه كانت تنمو حدائق زاهية. وفي إحدى هذه الحدائق كانت تنتصب شجرة ذات أغصان وأوراق ذهبية، كما كان التفاح، الذي ينمو على هذه الشجرة، ذهبياً أيضاً. كان أطلس يحافظ على هذه الشجرة كما يحافظ على بؤبؤ عينه، فقد كانت جوهرته العظمى وقد تنبأت له الربة ثيميس أنه سيحل اليوم، الذي سيأتيه فيه ابن زوس ويسرق التفاحات الذهبيات من عنده. كان أطلس يخاف هذا. فأحاط الحديقة، حيث تنمو شجرة التفاح، بسور عال، ووضع التنين قاذف اللهب يحرس المدخل. لم يكن أطلس يسمح للغرباء بدخول أملاكه، خوفاً أن يكون ابن زوس بينهم.

حط بيرسيوس لدى أطلس، وخاطبه بكلمات الترحيب:

- استقبلني ياأطلس ضيفاً في دارك. إنني بيرسيوس، ابن زوس، قاتل الغورغونة ميدوزا. لقد اجترحت مأثرة عظيمة. دعني آخذ لديك قسطاً من الراحة

ما إن سمع أطلس أن بيرسيوس ابن زوس حتى تذكر نبوءة الربة ثيميس، وأجاب بيرسيوس بغلظة:

- انقلع من هنا! لن يفيدك كذبك عن المأثرة العظمى، ولا أنت ابن قاذف الصواعق.

وهم أطلس بطرد البطل إلى الخارج، وإذ رأى بيرسيوس أنه غير قادر على التغلب عليه، أسرع يغادر الدار بنفسه. ويستعر الغضب في فؤاد بيرسيوس: لقد أغضبه أطلس أنه رفض استضافته، ثم إنه وصفه بالكاذب.

وفي سورة غضبه يقول بيرسيوس للجبار:

ـ حسن أنت تطردني ياأطلس! لكن هلا قبلت، على الأقل هديتي!

ومع هذه الكلمات أخرج بيرسيوس على جناح السرعة رأس ميدوزا وعرضه على أطلس، بينما أدار وجهه جانباً. وللتو تحول الجبار إلى جبل. أما لحيته وشعره فقد تحولا إلى غابات كثيفة، بينما تحولت يداه وكتفاه إلى صخور عالية. وشكل الرأس قمة جبل، تندفع عالياً في السماء. ومنذ ذلك الوقت وجبل أطلس يسند قبة السماء بكل مافيها من أبراج.

وحين ارتفعت إلى السماء نجمة الصبح تابع بيرسيوس طريقه.

بيرسيوس ينقذ أندروميس: بعد رحلة طويلة بلغ بيرسيوس مملكة سيفيوس، الواقعة في أثيوبيا[١٦] على ساحل المحيط. فهناك على ساحل البحر مباشرة رأى أندروميس الحسناء، ابنة الملك سيفيوس، مقيدة إلى صخرة. وكان عليها أن تكفر عن ذنب أمها كاسيوبه، التي أغضبت حوريات البحر. فقد قالت كاسيوبة، المعتزة بجمالها، أنها تبز الجميع حسناً وجمالاً، مما أثار غضب الحوريات، اللواتي طلبن من إله البحار بوزيدون أن ينزل عقابه بسيفيوس وكاسيوبه. وبناء على طلب الحوريات أرسل بوزيدون وحشاً بحرياً، خرج من أعماق البحر، وحول أملاك سيفيوس إلى يباب، وامتلأت مملكته بالبكاء والأنين. وتوجه إلى أمون[١٧] Amon عراف زوس، وسأله كيف له بالنجاة من هذه المصيبة. وكانت نصيحة العراف:

ـ قدم ابنتك أندروميس قرباناً للوحش فتضع بذلك حداً لعقاب بوزيدون.

حين عرف الشعب بجواب العراف أجبر الملك على تقييد أندروميس إلى صخرة قرب البحر. كانت أندروميس المسكينة تقف عند أقدام الصخرة مثقلة بالأصفاد، شاحبة من شدة الخوف، وهي تنظر بوجل لايوصف إلى البحر.

بانتظـار أن يظهـر الـوحش بين لحظة وأخرى . ، فيمزقها . كانت الدموع تتدحرج من عينيها ، وكان الرعب يسيطر عليها من مجرد التفكير بأن عليها أن تموت وهي في ريعان الصبا . مفعمة بالقوة ، وقبل أن تتذوق مباهج الحياة . ولقد رآها بيرسيوس . وكان يمكن أن يظنها تمثالاً رائعاً من مرمر باروس الأبيض لولا أن نسيم البحر كان يداعب شعـرهـا ، ولـولا أن قطـرات الـدمـع الكبـيرة كانت تتـدحرج من عينيها الـرائعتـين ، وينظـر إليهـا البطل الشاب بوله ، وفي قلبه يتقد الشعور القوي بحب أندروميس . ويهبط بيرسيوس إليها على عجل ، ثم يسألها بحنان :

- ألا قولي لي أيتها الفتاة الحسناء لمن هذه البلاد ، واذكري لي اسمك . واخبريني لماذا أنت مقيدة إلى هذه الصخرة؟

وأخبرته أندروميس بذنب من عليها أن تعاني . فالصبية الحسناء لاتريد أن يظن البطل أنهـا تكفـر عن ذنبها هي . وقبل أن تأتي أندروميس على نهاية قصتها هاج البحـر ومـاج ، ومن بين الأمـواج المصطخبـة ظهـر العفـريت ، وقد رفع رأسه عاليـاً ، وفتـح شدقيـه الهـائلين ، فصـاحت أنـدروميس من هول مارأت . وجـاء سيفيـوس وكاسيوبه إلى الشاطىء راكضين ، وقد سلبتهما المصيبة رشدهما . وراحا يبكيان بمرارة ، وهما يعانقان ابنتهما . فلا سبيل إلى نجاتها .

وحينذاك نطق بيرسيوس :

- سوف يكون لديكما الكثير من الوقت لذرف الدموع ، لكن مالديكما من الوقت لإنقـاذ ابنتكـما قليـل . إنني بيرسيـوس ، ابن زوس ، وأنا قاتل رأس الغورغونة ميدوزا ، الذي تلفه الأفاعي . زوجاني ابنتكما أندروميس فأنقذها .

وافق سيفيوس وكاسيوبه بكل سرور . فقد كانا على استعداد لأن يفعلا أي شيء من أجل إنقاذ ابنتهما . وقد وعده سيفيوس بكل مملكته مهراً . المهم أن ينقذ أنـدروميس . أصبـح العفريت قاب قوسين . إنه يقترب من الصخرة شاقاً الأمواج بصـدره العـريض ، كالسفينـة المجنحـة تندفع عبر الأمواج بحركات المجاذيف في

أيـدي مجدفـين جبـابـرة. لم يكن العفـريت أبعـد من مرمى السهم حين حلق بيرسيـوس عاليـاً في الجـو. وقـد سقـط ظله في البحر فانقض العفريت على خيال البطـل بهيـاج. انقض بيرسيـوس بجـرأة على العفـريت من علٍ، وغمـد سيفه المعقـوف عميقـاً في ظهـره. لم يكـد العفـريت يشعـر بالألم الفظيـع حتى ارتفع في الأمواج عالياً، وراح يخبط في البحر، كالخنزير البري، يحاصره سرب من الكلاب المسعـورة النبـاح، تارة يغطس عميقـاً في المـاء، وأخـرى يعـود إلى السطـح. إن العفريت يضرب الماء بذيله السمكي بشكل مسعور، فيتطاير الرذاذ بالآلاف حتى ذرى الصخور الساحلية. ويغطي الزبد البحر. وينقض العفريت على بيرسيوس فاتحـاً شدقيه. فيحلق هذا بسرعة طائر النورس في صندله المجنح. وهو يوجه الضربة تلو الضربة إليه، فيتدفق الدم والماء من فم العفريت، الذي أصيب إصابة قاتلة. تبلل جناحا صندل بيرسيوس، فكانا بالكاد يمسكان بالبطل في الجو. انطلق ابن دانـاييـه الجبـار بسرعة نحو الصخرة، التي تمتد في البحر، واحتواها بيده اليسرى، وغمـد سيفـه ثلاث مرات في صدر العفريت العريض. وانتهت المعركة الفظيعة. ومن على الشاطىء تناهت صيحات الفرح. كان الجميع يمجدون البطل الجبار. وفكت أصفـاد أرتيميس الحسنـاء، واحتفـاء بالنصر، يقود بيرسيوس خطيبته إلى قصر أبيها سيفيوس.

عرس بيرسيوس: كان بيرسيوس سخياً في تقديم الأضاحي لزوس وأثينا بالاس وهـرمس. وبـدأت في قصـر سيفيـوس مأدبـة زفـاف مرحـة. وقـد أشعـل هيمينـايـوس وايـروس مشـاعلهـما، ذات الرائحة الزكية. كان كل قصر سيفيوس مضفراً بالخضرة والأزهار. وتتردد عالياً أنغام القيثارات والمزاهر، وتصدح جوقات الزفاف. وأبواب القصر مشرعة على مصاريعها، وتتوهج قاعة المآدب بالذهب. إن سيفيـوس وكـاسيـوبه يحتفلان مع العروسين، ويشاركهما الحفل الشعب كله، وفي

كل مكـان يسـود المرح والفـرح. وفجأة لعلع صليـل السـلاح الـرهيب في قاعـة المآدب، وترددت في أرجاء القصر صيحة الحرب، كما صخب البحر، حين يرتفع عاليـاً ويصطـدم بأمـواجـه، التي تدفعهـا الرياح العاصفة، بالشاطىء الصخري العالي. كان القادم هو فينيوس (Phinée)، خطيب أندروميس الأول، ومعه جيش عرمرم.

ولدى دخوله القصر صاح فينيوس بصوت عال، وهو يلوح برمحه:

- الـويـل لك ياخـاطف العـرائس. لن ينقذك صندلك المجنح ولا حتى زوس، قاذف الصواعق نفسه.

هم فينيوس برمي بيرسيوس برمحه، لكن الملك أوقفه بقوله:

- ماذا تفعـل؟ ماالـذي يجعلك تجن على هذا النحـو؟ أهكـذا تريـد أن تكـافىء بيرسيـوس على مأثـرته؟ أهذه هدية الزفاف؟ هل اختطف بيرسيوس خطيبتك منـك؟ كلا، إنـما خطفت منك حين اقتيدت لتربط إلى الصخرة، حين كانت في طريق الهلاك، فلماذا لم تأتها حينذاك وتخلصها؟ هل تريد الآن أن تنتزع من الفـائـز جائزته؟ لماذا لم تأت بنفسك في طلب أندروميس حين كانت مكبلة إلى الصخرة، ولماذا لم تنتزعها آنذاك من العفريت؟

لم يرد فينيوس على سيفيوس بشيء، وكان ينظر بسخط إلى سيفيوس تارة، وإلى ابن زوس الرائع تارة أخرى، وعلى حين غرة، وبعد أن استجمع كل قواه، رمى بيرسيـوس برمحـه، فانغـرز الرمح في شرفة بيرسيوس. وانتزعه البطل الشاب بيده الجبارة، ثم وثب من شرفته، ولوح بالرمح برهبة. وكان سيصيب من فينيوس مقتـلاً لولا أن هذا اختبأ خلف المحـراب، فأصـاب الـرمح رأس البطل ريثيوس، فسقـط قتيـلاً. وانـدلعت معركة طاحنة. وعلى جناح السرعة وصلت من الأولمب أثينـا المحـاربـة لمسـاعـدة أخيهـا بيرسيـوس. وقد شملته برعايتها وثبتت فيه روح البطولة التي لاتقهر. فاقتحم بيرسيوس غمار المعركة. وكان السيف القاتل يومض

في يديه مثل البرق الخاطف ، وبهذا السيف الذي قتل ميدوزا ، راح بيرسيوس يقتل الأبطال، الذين جاءوا مع فينيوس، الواحد تلو الآخر. وامسك بيرسيوس بكلتا يديه جاماً برونزياً ضخماً، كان يستخدم لخلط النبيذ أثناء المأدبة ، وقذف به رأس البطل ايفريتوس. وسقط البطل، كأن صاعقة أصابته، وطارت روحه إلى مملكة الأشباح. كان الأبطال يتساقطون الواحد تلو الآخر، لكن فينيوس كان قد جلب معه الكثير منهم. أما بيرسيوس فكان غريباً في مملكة سيفيوس. وكان رفاقه في المعركة قلة. فكان عليه وحده - تقريباً - أن يقاتل هذه الكثرة من الأعداء. الكثيرون من أتراب بيرسيوس سقطوا في هذا الصراع المرير. فالمغني، الذي كان يطرب المحتفلين بصوته الرخيم، سقط بضربة رمح. وقد لامس، وهو يسقط، أوتار القيثارة فرنت أوتارها بآهة حزينة، كشهقة الموت. لكن صليل السيوف وأنين المحتضرين وأد رنين الأوتار. كانت السهام تتطاير مثل حبات البرد، تدفعها الرياح.

كان بيرسيوس يقارع أعداءه مستنداً إلى العمود، ومحتمياً بترس أثينا المصقول، وقد أحاطوا به من جميع الجهات، وازدادت المعركة من حولة ضراوة. وإذ رأى ابن دانايبه الجبار، أن الموت الزؤام يترصده صاح بصوت قوي:

- هل يمكن أن أعثر على النجدة لدى العدو الذي جندلت! أنتم نفسكم أرغمتموني على البحث عن الحماية لديه! هيا فليدر ظهره كل من هولي صديق!

أخرج بيرسيوس من الحقيبة العجيبة رأس الغورغونة ميدوزا بسرعة، ورفعه عالياً فوق رأسه. فراح الأبطال، الذين يهاجمون بيرسيوس يتحولون إلى تماثيل الواحد إثر الآخر. بعضهم تحجر وهو يرفع سيفه ليغمده في صدر خصمه، والبعض الآخر وهو يلوح بالرماح الحادة، بينما البعض وهو يحتمي وراء التروس.

نظرة واحدة إلى رأس ميدوزا حولتهم إلى تماثيل من المرمر، وغصت قاعة المآدب بالتماثيل.

وتملك فينيوس الخوف حين رأى أن جميع أصدقائه تحولوا إلى حجر، فخر على ركبتيه باسطاً يديه نحو بيرسيوس، وصاح بتوسل:

- كانت الغلبة لك يابيرسيوس. ألا خبيء رأس الميدوزا الفظيع بسرعة. أتوسل إليك أن تخبئه ياابن زوس العظيم، خذ كل شيء، ليكن كل شيء ملكك، اعف عن حياتي فقط.

ورد بيرسيوس على فينيوس ساخراً:

- لاتخف أيها الجبان الحقير! إن سيفي لن يجندلك. لسوف أترك لك مكافأة إلى الأبد. فلسوف تبقى إلى الأبد هنا في قصر سيفيوس، لكي تتسلى زوجتي بالنظر إلى صورة خطيبها الأول.

ومد البطل برأس ميدوزا إلى فينيوس، وعلى الرغم من أن فينيوس حاول جاهداً أن لاينظر إلى الغورغونة الفظيعة فإن نظره وقع عليها، فتحول للتوإلى تمثال من المرمر. إن فينيوس يقف متحجراً، وهومنحن، كالعبد، أمام بيرسيوس. وإلى الأبد احتفظت عينا تمثال فينيوس بتعبير الخوف والتوسل العبودي.

عودة بيرسيوس إلى سيريفوس: لم يمكث بيرسيوس طويلاً في جزيرة سيفيوس.. فقد اصطحب أندروميس الحسناء، وعاد إلى الملك بوليديكتس في سيريفوس. وقد وجد بيرسيوس أمه دانايه في شقاء كبير. فلكي تنجومن بوليديكتس اضطرت للبحث عن الحماية في معبد زوس، ولم تجرؤ على مغادرة المعبد للحظة واحدة. دخل بيرسيوس الغاضب قصر بوليديكتس فوجده مع أصدقائه حول مائدة عامرة. ولم يكن بوليديكتس يتوقع عودة بيرسيوس سالماً: فقد كان على ثقة أن البطل قد هلك في صراعه ضد الغورغونات، ولذا فقد كانت

دهشـة ملك سير يفـوس كبيرة حين رأى بيرسيوس أمامه، وقال بيرسيوس للملك بكل هدوء:

- لقد نفذ أمرك، فقد جلبت لك رأس ميدوزا.

لم يصدق بوليديكتس أن بيرسيوس اجترح مثل هذه المأثرة العظيمة، فراح يهزأ من البطل، ويتهمه بالكذب. وقد شاركه هزءه أصدقاؤه. فاستعر الغضب في صدر بيرسيـوس. ولم يستطـع أن يتغـاضى عن الاهـانـة، فقدحت عيناه شرراً، وأخرج رأس ميدوزا، وهو يصيح:

- إن كنت لاتصدق يابوليديكتس فهاك البرهان.

نظـر بوليـديكتس إلى رأس الغـورغونة فتحول في الحال إلى حجر، ولم ينج من هذا المصير أصدقاء الملك، الذين كانوا يشاركونه المأدبة.

بيرسيـوس في آرغـوس: نقل بيرسيوس مقاليد الحكم في سير يفوس إلى ديكتس، شقيق بوليـديكتس، الـذي سبق له أن أنقـذه مع والدته، أما بيرسيوس فقـد سافـر إلى آرغوس بصحبة داناييه وأندروميس. وحين عرف أكروزيوس، جد بيرسيـوس، بعـودة حفيـده، تذكـر نبوءة العراف، فهرب بعيداً إلى الشمال، إلى لاريسـا. وأصبح بيرسيوس يحكم موطنه آرغوس. وقد أعاد الدرع لهادس وأعاد الصندل المجنح والحقيبة العجيبة للحوريات، كما أعاد لهرمس سيفه القاطع. أما رأس ميدوزا فقد أعطاه لأثينا بالاس، فثبتته على صدرها، على درعها الساطع. كان بيرسيوس يحكم في آرغوس بسعادة.

ولم ينج جده من قدره المحتوم. ففي ذات مرة نظم بيرسيوس ألعاباً فخمة، وقـد شارك فيهـا الكثير من الأبطال. وفي عداد الحضور كان أكريزيوس العجوز. وفي أثنـاء المبـاراة بقـذف القـرص الثقيـل قذف بيرسيوس القرص البرونزي بيده

الجبـارة. حلق القـرص الثقيـل عاليـاً في الجـو، حتى الغيوم، ولدى سقوطه على الأرض أصاب رأس أكريزيوس فقتله. وهكذا تحققت نبوءة العراف.

دفن بيرسيـوس أكـريـزيوس وهو في غاية الحزن، لأنه أصبح عن غير قصد قاتل جده. ولم يرغب بيرسيوس في حكم آرغوس، مملكة أكريزيوس، الذي قتل على يديـه، فرحـل إلى تيرانت[١٨]، حيث أمضى سنـوات عديـدة يحكمهـا. أما آرغوس فقد تركها بيرسيوس لحكم قريبه ميغابينتوس.

سـيزيـف[١٩] Sisyphe :

هو ابن إيول، الرب الآمر لجميع الرياح، وكان مؤسس مدينة كورنثوس، التي كانت تعرف في الأزمنة الغابرة باسم إيفيرا.

لم يكن أحـد في اليونـان القـديمـة يجاري سيـزيف دهـاء وحيلة ومكـراً. واستطاع سيزيف بفضل دهائه جمع ثروات لاتحصى في كورنثوس، وطبقت شهرة كنوزه الآفاق.

وقـد جاء ثانـاتـوس (Ghanatos) الكئيب إلـه الموت، لكي ينقله إلى مملكة هادس الحـزينـة، لكن سيـزيف، الذي أحس مسبقاً باقتراب إله الموت تمكن من خداع ثانـاتـوس، وبكبيله بالأغـلال. وتوقف الناس عن الموت على الأرض، ولم تعد تقام الجنائز الفخمة، ولاتقدم القرابين لآلهة العالم السفلي، واختلّ على الأرض النظـام، الـذي سنه زوس. وحينذاك أرسل زوس، قاذف الصواعق، إله الحرب الجبار آريس إلى سيزيف. وقد قام آريس بتحرير ثاناتوس من الأصفاد، فقام هذا الأخير بقبض روح سيزيف، وقادها إلى مملكة أشباح الموتى.

لكن سيـزيف عاد فخـدع الآلهـة من جديـد. فقـد قال لزوجتـه ألاّ تدفن جثمانه، وألاّ تقدم القرابين لآلهة العالم السفلي. وقد عملت زوجة سيزيف بنصيحة

زوجها. انتظر هادس وبيرسفونه قرابين الدفن طويلاً، لكن دون جدوى. أخيراً دنا سيزيف من عرش هادس وقال:

ـ ياهادس العظيم، ياسيد أرواح الموتى. يامن تعادل زوس جبروتاً، دعني أذهب إلى الأرض النيرة، ولسوف آمر زوجتي أن تقدم لك القرابين الكثيرة، وبعدها أعود إلى مملكة الأشباح.

صدق هادس سيزيف، وتركه يذهب إلى الأرض. لكن سيزيف لم يعد إلى مملكة هادس، بل بقي في قصره الفاخر يحيي المآدب المرحة، وهو سعيد لأنه الوحيد من بين الفانين، الذي تمكن من العودة من مملكة الأشباح المظلمة.

غضب هادس، ومن جديد أرسل ثاناتوس لقبض روح سيزيف. دخل ثاناتوس قصر أكثر الفانين مكراً ودهاء، فوجده خلف مائدة عامرة، قبض إله الموت، الذي يكرهه الآلهة والناس، روح سيزيف، التي طارت إلى الأبد إلى مملكة الأشباح.

إن عقاب سيزيف قاس في الحياة الآخرة. جزاء كل مارتكب على الأرض من مكر وخداع. لقد حكم على سيزيف بدحرجة صخرة هائلة نحو قمة جبل عال شديد الانحدار.

إن سيزيف يعمل بكل مالديه من قوة، ويتدفق العرق منه مثل حبات البرد، بسبب العمل القاسي. هاهو يقترب من القمة رويداً رويداً، وإذ يصبح قاب قوسين منها تفلت الصخرة من يديه، فتتدحرج بصخب نحو الأسفل، مثيرة سحب الغبار. ومن جديد يبدأ سيزيف عمله.

هكذا يستمر سيزيف إلى الأبد في دحرجة الصخرة[٢٠]، ولن يستطيع أبداً بلوغ الهدف ـ قمة الجبل.

بيليروفـــون[٢١] :

كان لدى سيـزيف ولـد ـ البطـل غلوكـوس ، الذي حكم في كورنثوس بعد وفاة أبيه . وكان لدي غلوكوس ولد ـ بيلير وفون ، أحد أبطال اليونان العظام . كان بيلير وفـون رائعـاً كما الالـه ، ويعـادل الآلهـة الخالدين شجاعة . وفي شبابه رزيء بيلير وفـون بمصيبـةٍ ؛ فقـد قتـل ـ عن غير قصـد ـ أحد مواطني كورنثوس ، وكان عليـه أن يلوذ بالفـرار من مدينتـه الأم . وقد هرب إلى بروئيتوس ، ملك تيرانت ، الـذي أكـرم وفـادتـه ، واستقبله بكل احترام ، وطهره من أدران الدم الذي أراق . لكن بيلير وفـون لم يمكث طويـلاً في تيرانت . فقد وقعت زوجة بروئيتوس ، أنتيبيا (Antéa) ، شبيهـــة الآلهـة ، في غرامـه . لكن بيلير وفـون رفض حبهـا . وحينـذاك اتقدت كراهيتها لبيلير وفون ، وقررت القضاء عليه ، فذهبت إلى زوجها وقالت له :

ـ أيهـا الملك ، لقـد وجـه لك بيلير وفـون إهانة لاتغتفر . إن عليك أن تقتله . فهو يلاحقني ، أنـا زوجتـك ، بحبـه . على هذا النحـو يعـرب لك عن امتنانه على حسن ضيافتك .

وغضب بروئيتـوس ، لكنـه لم يستطيـع أن يرفـع يده على ضيفه . خوفاً من غضب زوس ، حامي حرمـة الضيـافة . فكر بروئيتوس طويلاً بكيفية القضاء على بيلير وفون ، إلى أن قرر أخيراً إرساله حاملاً خطاباً إلى يوباتس ، ملك ليثيا[٢٢] . والـد أنتيبيـا . في هذه الـرسـالـة ، التي كتبت على لوح مزدوج مطوي ومختوم كتب بروئيتـوس لحميـه يوبـاتس كيف أهـانـه بيلير وفون ، وطلب منه أن ينتقم له منه . انطلق بيلير وفون قاصداً يوباتس ، حاملاً له الرسالة . دون أن يخطر له ببال مدى الخطر الذي يتهدده .

بعد سفر طويل وصل بيلير وفون إلى ليثيا، وقد استقبل يوباتس البطل الشاب بفرح، وظل يحيي المآدب تسعة أيام. وأخيراً سأله يوباتس عن الغرض من قدومه. فقام بيلير وفون بتسليمه رسالة بروئيتوس بكل هدوء. تناول يوباتس اللوح المزدوج والمختوم، ثم فتحه ولم يكد يقرأه حتى تملكه الهول. فقد كان عليه أن يقتل البطل الشاب، الذي أحبه خلال هذه الأيام التسعة. لكن يوباتس، مثله مثل بروئيتوس، لم يكن يريد أن ينتهك حرمة الضيافة، هذا التقليد المقدس. ولكي يقضي على بيلير وفون قرر إرسال البطل لاجتراح مأثرة محفوفة بالموت الأكيد. فقد كلف يوباتس بيلير وفون بقتل الوحش الرهيب شيمير (Chimére)، التي ولدت من تزاوج تيفون الفظيع وايشيدنا (Echidna) العملاقة. كان لشيمير رأس أسد وجسم عنزة برية وذيل تنين. وكانت تقذف النار من أفواهها الثلاثة. ولم يكن ثمة منجاة لأحد من شيمير الرهيبة. كان مجرد اقترابها يحمل الموت الزؤام.

لم يقف بيلير وفون أمام خطر هذه المأثرة، بل تصدى البطل الجبار لاجتراحها بكل جرأة. كان يعرف أن لاسبيل إلى التغلب على شيمير إلا بالحصول على الحصان المجنح بيغاس، الذي انطلق من جثة الغورغونة ميدوزا، التي قتلها بيرسيوس، كما كان يعرف أين يمكن العثور على هذا الحصان. كان بيغاس غالباً مايحط على قمة اكروكورنث[٢٣]، ويروي غليله من ينبوع بيرينيه[٢٤]. وإلى هناك توجه بيلير وفون. وقد وصل الينبوع في الوقت الذي هبط فيه بيغاس من وراء السحب، وروى غليله من ماء الينبوع البارد والشفاف كالكريستال. كان بيلير وفون يريد أن يمسك ببيغاس. فراح يلاحقه في الليل والنهار. لكن عبثاً، فلم تجده كل حيله فتيلاً، ولم يمكنه بيغاس من الامساك به. فما إن يقترب البطل الشاب من الحصان المجنح حتى يرفرف بجناحيه الجبارين، فيندفع بسرعة الريح خلف السحب. ويروح يحوم فيها كالنسر. أخيراً، وبناء على نصيحة بوليدوس، أخلد بيلير وفون للنوم عند ينبوع بيرينيه. قرب مذبح

أثينا بالاس، حيث رأى بيغاس للمرة الأولى. كان بيلير وفون يريد أن ينزل عليه وحي الآلهة في المنام. وبالفعل فقد جاءته أثينا في المنام، وعلمته كيف يمسك بيغاس، أعطته لجاماً ذهبياً، وأمرته بتقديم قربان لاله البحر بوزيدون. استيقظ بيلير وفون. وكم كانت دهشته كبيرة حين رأى اللجام الذهبي إلى جانبه. ورفع بيلير وفون صلاة الشكر الحارة للربة أثينا.

ولم يمض من الوقت إلا أقله حتى ورد الحصان العجيب ينبوع بير ينيه على جناحيه الناصعي البياض. وبكل جسارة امتطى بيلير وفون متنه، وألقى باللجام الذهبي على رأسه. ظل بيغاس يحوم في الجو طويلاً. حاملاً البطل أسرع من الريح، إلى أن رضخ أخيراً، ومنذ ذلك الحين وهو يخدم بيلير وفون بكل إخلاص.

انطلق البطل على متن بيغاس مسرعاً نحو جبال ليثيا، إلى حيث تعيش العفريتة شيمير، أحست شيمير باقتراب العدو فزحفت من المغارة المظلمة، جبارة رهيبة. وطارت النار المستعرة من أفواهها الثلاثة، فغطت أعمدة الدخان كل ماحولها، وحلق بيغاس عالياً حاملاً بيلير وفون، ومن علٍ راح البطل يطلق سهامه على شيمير. الواحد تلو الآخر. فكانت تتخبط هائجة بين الصخور فتقلبها، وانطلقت على غير هدى بين الجبال، فكان كل شيء يحترق بنارها.

ظل بيلير وفون يطاردها في كل مكان على متن حصانه المجنح. ولم تستطع شيمير أن تجد أي مكان تختبيء فيه من سهام البطل الصائبة، التي كانت تصل إليها في كل مكان. قتل بيلير وفون العفريتة الهائلة، وعاد إلى الملك يوباتس مكللاً بغار المجد.

لكن يوباتس كلفه بمهمة أخرى. فقد أرسل البطل لقتال السوليميين المحاربين[٢٥]. الكثير من الأبطال سقطوا في المعارك ضد السوليميين، لكن بيلير وفون قهرهم. ولكن هذا لم يكف يوباتس، فقد كان هدفه القضاء على

بيلير وفـون . ولـذا فقـد سلط عليـه الأمـازونيـات[٢٦] اللواتي لايقهـرن . ولكن بيلير وفـون خرج من هذه الحـرب أيضـاً مظفـراً . وحينـذاك أرسـل يوباتس أقوى رجـال ليثيـا لملاقـاة بيلير وفـون العـائد ، لكي يقتلوه غيلة . وقد استدرج الليثيون البطـل إلى كمـين ، لكنـه خرج منه سالماً ، وسقط كل رجال ليثيا الأشداء صرعى على يدي بيلير وفـون . وحينـذاك أدرك يوبـاتس أي بطل عظيم حل في ضيافته . فاستقبل البطل المظفر باحترام كبير . وزوجه ابنته ، واعطاه نصف مملكته مهراً لها . كما خصص الليثيون له أكثر الأراضي خصباً .

ومنـذ ذلـك الحـين بقي بيلير وفـون في ليثيا ، وعاش هناك محاطاً بالاحترام والشهـرة . لكن نهايـة حيـاتـه كانت مفجعـة . فقـد ركب البطل العظيم الغرور ، حيث أراد أن يصبـح نداً لآلهـة الأولمب ، إلى هذا الحـد أعمتـه الشهـرة . قرر بيلير وفـون أن يطـير إلى الأولمب المشـرق حيث الآلهة الخالدون على متن حصانه المجنـح بيغـاس ولكن زوس عاقبـه على غروره هذا . فقـد صب قاذف الصواعق سخطـه الهـائـل على بيغاس المجنح ، فألقى بيغاس بيلير وفون ، أرضاً ، حين هم هذا بامتطائه للصعود إلى الأولمب . وبسبب سقوطه على الأرض فقد البطل الجبار رشـده . وقـد ظل بيلير وفـون المجنـون يضـرب في الأرض طويـلاً إلى أن جاءه ثانـاتـوس، إله الموت المتجهم على جناحيه الأسودين ، وقبض روحه . هكذا هبط إلى مملكة الأشباح الحزينة البطل العظيم بيلير وفون .

تـانـتـال[٢٧] :

كانت في ليـديـا ، عند جبل سيبيل مدينة غنية ، عرفت باسم سيبيل ، على اسم الجبل . وفي هذه المدينة كان يحكم تانتال ، ابن زوس وحبيب الآلهة . وكان الآلهـة قد وهبـوه من كل شيء بوفـرة . لم يكن ثمـة على الأرض من يفـوق الملك

تانتـال سعـادة وغنى . فكـانت مناجم الذهب الغنية على جبل سيبيل تدر عليه ثراء لايعـد ولا يحصى . ولم يكن لدى أحـد مالـديه من الحقول الخصبة ، ولم يكن أحد يجني مايجنيه من الثمار الرائعة من الحدائق وبساتين الكرمة ، وفي مروج تانتال كانت ترعى قطعـان كبـيرة من النعاج ، ذات الصوف الرقيق . والثيران الملتوية القرون ، والأبقـار وقطعـان الجيـاد السريعة سرعة الرياح . كان لدى الملك تانتال فيض من كل شيء . وكـان بوسعـه أن يعيش سعيـداً مرفهاً حتى الشيخوخة المتأخرة ، لكن الغرور الزائد والجرائم أودت بحياته .

كان الآلهة ينظرون إلى محبوبهم تانتال كأنه لهم ند . وغالباً ماكان الأولمبيون يؤمـون قصـور تانتـال المتلألئـة بالذهـب ، ويحيون المآدب معه . وبدعوة من الآلهة صعـد تانتـال أكثـر من مرة حتى إلى الأولمب الذي لاتطأه قدم انسان فان . وهناك كان يشـارك في مجلس الآلهـة ، ويشاطرهم مائدتهم في قصـر والـده زوس قاذف الصـواعق . وقـد ركب تانتـال الغرور. وأصبح يعتبر نفسه نداً حتى لزوس سائق السحب . ولـدى عودتـه من الأولمب كان تانتـال غالبـاً مايجلب معه طعام الآلهة ـ الأمبر وزيا والرحيق ـ ويقدمه لأصدقائه الفانين على موائده في قصره . حتى تلك القـرارات ، التي كان الآلهـة يتخـذونها في مشاوراتهم على الأولمب المشرق ، حول مصير العـالم ، كان تانتـال ينقلهـا للنـاس ، ولم يك يكتم تلك الأسرار ، التي كان يأتمنـه عليهـا والده زوس . وفي أثناء إحدى المآدب على الأولمب وجه ابن كرونوس العظيم كلامه لتانتال :

ـ سوف ألبي لك كل ماتتمنـاه ياولـدي ، فاطلب مني ماتريد وتشتهي . ومن شدة حبي لك سوف أحقق لك كل ماتطلب .

لكن تانتال نسي أنه مجرد فان ، ورد بصلف على زوس العظيم :

ـ لست بحـاجـة إلى أفضـالـك ، لاحاجة لي بشيء . إن القسمة التي كانت من نصيبي أروع من قسمة الآلهة الخالدين .

لم يرد قاذف الصـواعف على ولـده بشيء. بل اكتفى بأن قطب حاجبيه عابساً، لكنه كبت غضبه، وتمالك نفسه.

فقد كان يحب ابنه على الرغم من غروره. لكن تانتال لم يلبث أن وجه إهانة قاسية للآلهة أعقبها بأخرى. وحينذاك فقط أنزل زوس عقابه بالمغرور المتعجرف.

كان ثمة في كريت، مسقط رأس قاذف الصواعق. كلب ذهبي، سبق له أن حرس زوس طفلاً والعنزة الرائعة أماالتيه، التي أرضعت زوس صغيراً. وحين شب زوس، وانتزع من كرونوس السلطة على العالم، أبقى هذا الكلب في كريت لحراسة معبده. وقد فتن بانداريوس، ملك أفسيس، بجمال هذا الكلب وقوته، فجاء كريت خفية واختطفه. لكن أين يخبيء هذا الحيوان الرائع؟ فكر بونداريوس طويلاً بذلك أثناء رحلته البحرية إلى أن قرر أخيراً إعطاء الكلب الذهبي لتانتال. أخفى ملك سيبيل الحيوان الرائع عن الآلهة، استبد السخط بزوس. واستدعى ولده هرمس، رسول الآلهة، وبعث به إلى تانتال مطالباً إياه بإعادة الكلب الذهبي. وفي غمضة عين طار هرمس السريع من الأولمب إلى سيبيل. ومثل أمام تانتال، ثم قال له:

- لقد اختطف بانداريوس، ملك أفسيس، الكلب الذهبي من معبد زوس في كريت، ووضعه أمانة لديك. إن آلهة الأولمب يعرفون كل شيء، وليس بوسع الفانين أن يخفوا عنهم شيئاً. رد الكلب لزوس، حاذر أن تجر على نفسك سخط قاذف الصواعق.

- عبثاً تهددني بسخط زوس، فأنا لم أر الكلب الذهبي، إن الآلهة مخطئون، فهو ليس عندي.

أقسم تانتال الأيمان المغلظة أنه يقول الحقيقة، وقد زاد بقسمه هذا من

سخط زوس. تلك كانت الاهانة الأولى، التي وجهها تانتال للآلهة. لكن قاذف الصواعق لم يعاقبه حتى هذه المرة.

وجر تانتال على نفسه عقاب الآلهة بإهانة جديدة للآلهة وفعلة شنيعة. ففي ذات مرة اجتمع الأولمبيون لاحياء مأدبة في قصر تانتال، فخطر له أن يمتحن معرفتهم بكل شيء، وأعد للآلهة مائدة فظيعة. فقتل ابنه بيلوبس، وقدم لحمه للآلهة في أثناء المأدبة على شكل لون رائع من الطعام. وللحال اكتشف الآلهة فعلة تانتال الشنيعة، ولم يمس أي منهم الصحن الفظيع. فقط الربة ديميترا، المفجوعة باختطاف ابنتها برسفونة، والتي لم تكن ترى شيئاً من حولها، أكلت كتف بيلوبس الشاب. أخذ الآلهة الطعام الفظيع. ووضعوا كل لحم وعظام بيلوبس في قدر، رفعوه على نار متوهجة. وقام هرمس بسحره بإعادة الصبي إلى الحياة، فمثل أمام الآلهة أروع مما كان، ولم يكن ينقصه إلا الكتف، التي التهمتها ديميترا. وبإيعاز من زوس سارع هيبايستوس إلى صنع كتف لبيلوبس من العاج، ومنذ ذلك الحين وعلى الكتف اليمنى لكل أفراد ذرية بيلوبس بقعة بيضاء فاقعة.

بجريمة تانتال هذه طفح كيل صبر زوس. فقذف بتانتال إلى مملكة أخيه هادس المظلمة. حيث يتعرض للعقاب الفظيع. إنه يقف في الماء الشفاف، يعذبه الجوع والعطش. إن الماء يبلغ ذقنه، ويكفيه أن ينحني قليلاً فيروي غليله. لكنه ماإن يهم بالانحناء حتى يختفي الماء، ولايبقى عند قدميه سوى الأرض السوداء الجافة. وفوق رأس تانتال تتدلى ثمار التين اليانعة والتفاح الأحمر، والرمان، والأجاص والزيتون، وتكاد تلامس شعره عناقيد العنب الناضج الثقيلة، ويمد تانتال، الذي يتضور جوعاً، يده لقطف الثمار الرائعة، لكن الرياح العاتية تهب، فتبعد الأغصان المثمرة. وتانتال لايعاني من الجوع والعطش فقط، بل إن الخوف الدائم يسيطر عليه، ففوق رأسه توجد صخرة توشك أن تهوي في كل دقيقة

فتهرس تانتال بثقلها. على هذا النحو يتعذب تانتال، ملك سيبيل وابن زوس في مملكة هادس الفظيعة، بالخوف الدائم والجوع والعطش[٢٨].

بيلـوبـس[٢٩]:

بعـد موت تانتـال انتقـل حكم مدينـة سيبيل إلى ولده بيلوبس (Pelops)، الذي أنقذته الآلهة بشكل رائع. لكنه لم يحكم طويلاً في مدينته سيبيل. فقد شن ايليوس. ملك طروادة، الحرب على بيلوبس. ولم يوفق بيلوبس في هذه الحرب. فقـد تغلب عليه ملك طروادة القـوي، واضطـر بيلوبس لأن يغـادر موطنه. وقد وضـع كل نفـائسه في مركب سريع، وانطلق مع وصفائه الخلص في طريق بحري بعيد، إلى سواحل اليونان. وصل بيلوبس شبه جزيرة في أقصى جنوب اليونان، فحط الرحال فيها. ومنذ ذلك الحين وشبه الجزيرة هذه تعرف باسم بيلوبونيز تيمناً باسمه.

وفي ذات مرة رأى بيلوبس في موطنـه الجـديـد هيبـوداميـا الحسنـاء، ابنـة أوناموس ملك ليزا[٣٠]، فسحرته بجمالها.

لكن كان من الصعب الـزواج بهيبـوداميـا. فقـد تنبأ العراف لأونوماس أنه سيمـوت على يد زوج ابنتـه. ولتجنب هذا المصير قرر أونوماوس ألاّ يزوج ابنته. لكن كيف له ذلك؟ كيف يرفض طلب جميع الخطاب، الذين طلبوا يد هيبوداميا؟ لقـد جاءه كثـير من الأبطـال للزواج بها. وكـان رفضه طلبهم بدون سبب سيعتبر إهـانـة لهم. وحينـذاك أعلن أونـوماوس أنه لن يزوج ابنته إلا بمن يتغلب عليه في مبـاراة سبـاق المـركبات، وفي حال فوزه هوفإن المغلوب سيدفع حياته ثمن هزيمته، لم يكن ثمـة في اليـونـان كلهـا من يجاري اونوماوس في فن سياقة المركبات، ثم إن خيـولـه كانت أسـرع من رياح الشمال العاصفة بوريه. كان ملك بيزا واثقاً من أن أحداً من الأبطال لن يفوز عليه.

لم يكن الخوف من فقدان الحياة والهلاك على يد أونوماوس الظالم يردع أبطال اليونان. فكانوا يفدون الواحد تلو الآخر على قصره مستعدين لمباراته، المهم أن يفوزوا بهيبوداميا زوجة لهم، فقد كانت في منتهى الحسن والجمال، لكن الموت الزؤام حاق بهم جميعاً، فقد قتلهم أونوماوس، وعلق رؤوسهم على أبواب قصره كي يرى كل قادم جديد كم من الأبطال الأمجاد سقط على يد أونوماوس، ويعرف سلفاً المصير الذي ينتظره. لكن هذا لم يردع بيلوبس. فقد صمم على الفوز بهيبوداميا مهما كان الثمن، وهكذا شد الرحال إلى أونوماوس قاسي القلب.

استقبل أونوماوس بيلوبس بكل صراحة، وقال له:

- أنت تريد أن تحصل على ابنتي هيبوادميا زوجة لك؟ أفلم تركم من الأبطال الأمجاد فقدوا رؤوسهم بسببها في المباراة الخطيرة؟ انتبه، لسوف يصيبك ماأصابهم!

ورد بيلوبس على الملك بقوله:

- لن يخيفني مصير الأبطال الذين سقطوا. إنني واثق أن آلهة الأولمب ستساعدني. ولسوف أحصل بمعونتهم على هيبوداميا زوجة لي.

وعلى شفتي أونوماوس تلوت ابتسامة كالأفعى، فقد سبق أن سمع مثل هذا الكلام كثيراً.

- اسمع يابيلوبس، هاك شروط المباراة: يمتد الطريق من مدينة بيزا حتى ايستام[31] نفسها، ماراً بكل البيلوبونيز، وينتهي عند مذبح بوزيدون ملك البحار، إن هذا المذبح يقع غير بعيد عن كورنث. إذا ماوصلت المذبح أولاً فأنت الغالب، لكن الويل لك إن لحقت بك في الطريق. إذن لسوف أثقبك برمحي كماسبق أن ثقبت العديد من الأبطال، وتهبط مجللاً بالخزي إلى مملكة هادس المظلمة. لن أقدم لك سوى تنازل واحد، سبق أن أعطيته للآخرين جميعاً: سوف تنطلق قبلي، أما أنا فسوف أقوم قبل ذلك بتقديم قربان لقاذف

الصواعق العظيم ، وبعد ذلك فقط أصعد إلى المركبة . فحاول أن تقطع أطول مسافة من الطريق بينما أكون منصرفاً إلى تقديم القربان .

غادر بيلوبس أونوماوس . كان يعلم أنه لن يستطيع الفوز على الملك الظالم إلا بالحيلة . وقد استطاع بيلوبس أن يجد له مساعداً . فقد ذهب خفية إلى مرتيلوس ابن هرمس ، وحوذي أونوماوس ، وطلب منه ، واعداً إياه بهبات كبيرة ، أن لا يضع المسمار في المحور لكي تسقط العجلات من مركبة أونوماوس ، مما يؤخره في الطريق . تردد ميرتيلوس طويلاً ، وأخيراً أغراه بيلوبس بالهبات السخية فوعده بأن يفعل ماطلب منه .

وحل الصباح . ولونت إلهة الفجر الوردية قبة السماء بلون الذهب . وها قد ظهر في السماء هيليوس الساطع في عربته الذهبية . واقترب موعد بدء المباراة . وخاطب بيلوبس بوزيدون مزلزل الأرض العظيم ، راجياً منه المساعدة ، ثم وثب إلى مركبته ، أما الملك أونوماوس فقد اقترب من مذبح زوس ، وأعطى الاشارة لبيلوبس ، أن بوسعه أن ينطلق . أرخى بيلوبس العنان لجياده ، وراحت عجلات مركبته تطقطق على الأحجار . وكانت الجياد تندفع كالطيور . ولم يلبث بيلوبس أن اختفى في سحب الغبار . كان ينطلق مدفوعاً بحب هيبوداميا وبالخوف على حياته . ولم يلبث أن تناهى إليه من بعيد صوت قرقعة مركبة أونوماوس . وراحت المسافة تقصر بين ملك بيزا وابن تانتال . كانت جياده تنطلق كالعاصفة ، وكان الغبار يدوم كالزوبعة من عجلات المركبة . وضرب بيلوبس جياده بسوطه فزادت من سرعتها . وكانت الريح تصفر في أذني بيلوبس من جري الجياد المجنون ، لكن هل بوسعه أن يهرب من جياد أونوماوس : فجياد الملك أسرع من ريح الشمال . كان أونوماوس يقترب رويداً رويداً . وبدأ بيلوبس يشعر بلهاث جياد أونوماوس الساخن وراء ظهره ، ولم يكد يلتفت قليلاً حتى رأى الملك مشرعاً رمحه ، وهو يبتسم ابتسامة النصر ، فراح بيلوبس يتوسل إلى بوزيدون ، وقد استجاب حاكم البحر

الشاسع لطلبه. فقد انفصلت العجلات عن محور مركبة أونوماوس، فانقلبت المركبة، ووقع على الأرض ملك بيزا الظالم. كانت السقطة قاتلة، وغطت ظلمة الموت عينيه.

عاد بيلوبس إلى بيزا مظفراً، حيث تزوج هيبوداميا، واستولى على كل مملكة أونوماوس. وجاءه ميرتيلوس، حوذي أونوماوس، مطالباً بنصف المملكة جائزة له. أحس بيلوبس بصعوبة التخلي عن نصف المملكة. وهكذا فقد عمد ابن تانتال الماكر إلى استدراج ميرتيلوس إلى ساحل البحر، ثم دفعه من على صخرة عالية في أمواج البحر العاتية. ولدى سقوطه من على الصخرة صب ميرتيلوس اللعنات على بيلوبس وكل ذريته. وعبثاً راح ابن تانتال يحاول استرضاء روح ميرتيلوس الساخطة. كما ذهبت أدراج الرياح محاولاته التخفيف من غضب هرمس، والد ميرتيلوس. وتحققت لعنة ميرتيلوس، فمنذ ذلك الحين والمصائب التي لاتحصى تلازم ذرية بيلوبس. التي جرت على نفسها عقاب الآلهة بسبب فظائعها.

أوروبا Europe :

كان لدى أجينور، ملك مدينة صور الفينيقية الغنية، ثلاثة أبناء وابنة، وكانت رائعة كالربة الخالدة. كانت الشابة الحسناء تعرف باسم أوروبا. وفي ذات مرة رأت ابنة أجينور في الحلم أن آسيا وتلك القارة، التي يفصلها البحر عن آسيا، راحتا تتقاتلان من أجلها في هيئة امرأتين. كل من المرأتين كان يريد الحصول على أوروبا. وقد منيت بالهزيمة آسيا. التي اضطرت، وهي مربية أوروبا ومرضعتها، لأن تتنازل عنها لغريمتها. استيقظت أوروبا خائفة ولم تكن تدري مغزى هذا الحلم. وراحت ابنة أجينور الشابةتتوسل إلى الآلهة بخشوع أن يجنبوها الشقاء.

ومن ثم ارتدت ثياباً ارجوانية، محوكة من الذهب، وذهبت مع صديقاتها إلى مرج أخضر مغطى بالأزهار، قرب شاطىء البحر. وهناك راحت بنات صور يتسلين بقطف النرجس الأبيض الفواح، والزعفران المبرقش والبنفسج والليلاك. أما ابنة أجينور نفسها، فقد راحت، وهي تتألق بجمالها بين أترابها، تجمع في سلتها الذهبية الورود الحمراء فقط. وبعد أن انتهت الفتيات من قطف الأزهار رحن يدرن في حلقة راقصة مرحة، وهن يضحكن ويغنين، فترددت أصواتهن بعيداً عبر المرج الزاهر والبحر اللازوردي، فلم يعد يسمع اصطخابه الهادىء واللطيف.

لم تتلذذ أوروبا طويلاً بالحياة الوديعة، فقد رآها ابن كرونوس، زوس العظيم، سائق السحب، وقرر خطفها. ولكي لاتفزع أوروبا الشابة من ظهوره اتخذ صورة ثور رائع. كان كل وبر زوس الثور يتلألأ كالذهب. فقط على جبهته كانت تسطع بقعة فضية، كتألق القمر، أما قرنا الثور الذهبيان فكانا معقوفين، على غرار الهلال الشاب، وهو يظهر للمرة الأولى في أشعة الغروب الأرجواني. ظهر الثور الرائع على الرابية، وراح يدنو من الفتيات، بخطوات خفيفة، بالكاد تلامس العشب. لم تخف منه فتيات صور، بل أحطن بالحيوان الساحر، ورحن يلاطفنه، ويربتن عليه برقة وحنان. اقترب الثور من أوروبا، وراح يلعق يديها، ويتمسح بها. كان تنفس الثور يفوح بأريج الأمبر وزيا، وكان الجو كله مشبعاً بهذا الأريج. وراحت أوروبا تمسح الثور بيدها الناعمة على وبره الذهبي. واحتضنت رأسه وقبلته. رقد الثور عند قدمي الحسناء، وكأنه يرجوها أن تمتطيه.

جلست أوروبا على ظهر الثور العريض، وهي تضحك. وهمت بعض الفتيات أن تجلس إلى جانبها. وعلى حين غرة وثب الثور، وانطلق نحو البحر بسرعة. وصرخت الفتيات من فرط الذعر. أما أوروبا فقد مدت يديها إليهن، وراحت تطلب النجدة، لكن بنات صور لم يكن قادرات على مساعدتها، فقد

كان الثور ذو القرنين الذهبيين يسابق الريح. وقد ألقى بنفسه في البحر، وراح يسبح في مياهه اللازوردية كالدلفين. وتراجعت أمواج البحر أمامه، وراح رذاذها يتدحرج عن وبره كالماس، دون أن يبلله. ومن أعماق البحر ظهرت النير يئيد Néréides، واحتشدن حول الثور، ورحن يسبحن وراءه. ثم أن بوزيدون، إله البحر نفسه، كان يتقدم الموكب في مركبته، محاطاً بآلهة البحر، وهو يروض الأمواج بحربته ثلاثية الرؤوس. كانت أوروبا تجلس على ظهر الثور، وهي ترتعد من شدة الخوف. كانت تمسك بإحدى يديها قرنيه الذهبيين، وبالأخرى كانت ترفع طرف ثوبها الأرجواني، كي لاتبلله أمواج البحر. لكنها عبثاً تخاف: فالبحر هادىء ساكن، ولا يصل إليها رذاذه المالح. ويحرك نسيم البحر شعر أوروبا المجعد، ويداعب خمارها الرقيق، كان الشاطيء يبتعد شيئاً فشيئاً، وها قد اختفى في البعد العميق. ولم يعد يوجد سوى البحر والسماء الزرقاء. ولم يلبث أن ظهر في البعيد شاطىء كريت. سبح إليه زوس مع حمله الغالي، ثم خرج إلى الشاطىء. أصبحت أوروبا زوجة زوس، وبدأت منذ ذلك الحين تعيش في كريت، وقد أنجبت لزوس ثلاثة أبناء: مينوس. رادامانت وساربيدون. وقد طبقت الآفاق شهرة أبناء زوس قاذف الصواعق الأقوياء والحكماء.

قدموس[٣٣] Cadmos :

حين اختطف زوس أوروبا في هيئة ثور تملك الحزن والدها أجينور، ملك صور. ولم يكن بمقدور أي شيء أن يواسيه. وقد استدعى أولاده الثلاثة فونيكس، سيليكس وقدموس، وأرسلهم ليبحثوا عن أوروبا. وقد حظر على أبنائه، أن يعودوا إلى البيت بدون أختهم، وإلا كان نصيبهم الموت. انطلق أبناء أجينور يبحثون. ولم يلبث فونيكس وسيليكس أن فارقا قدموس، حيث أسسا مملكتين فينيقيا وكيليكيا[٣٤]، وبقيا فيهما.

أمـا قدمـوس فقد تابع طريقه بحثاً عن أخته لوحده. وقد ضرب في الأرض طويـلاً. وكـان يسأل عن أوروبـا في كل مكـان. وأخيراً، وبعد أن فقد الأمل في العثور على أختـه، وخوفاً من العودة إلى البيت خالي الوفاض، قرر قدموس البقاء إلى الأبد في الغربة. فقصد دلفي المقدسة. وهناك استشار عرافة أبولون النبّال أن تدله على بلد يسكنه، ويؤسس فيه مدينة. فردت عرافة أبولون على بقدموس بقولها:

- سوف ترى على رابيـة منفـردة بقـرة لم يسبق لها أن عرفت الغـير. اقتف أثرها، وحيث ترقد ابن أسوار المدينة، وسم البلاد بيوتيا.

ماإن سمـع قدمـوس هذا الرد حتى غادر دلفي المقدسة. ولم يكد يخرج من البـوابـة حتى رأى بقرة ناصعة البياض، كانت ترعى على رابية ولا أحد يحرسها. اقتفى قدمـوس أثـرها برفقة خادمية المخلصين. وما ان قطع وادي كيثيس[٣٥] حتى توقفت البقرة على حين غرة، ورفعت رأسها نحو السماء، وأطلقت خواراً قوياً، ثم نظـرت إلى المحـاربـين، الـذين يلاحقـونهـا، واستلقت بكل هدوء على العشب الأخضـر. ركـع قدمـوس، معرباً عن امتنانه لأبولون، ولثم أرض وطنه الجديد، طالبـاً مبـاركـة الآلهـة. بنى قدمـوس من الأحجـار مذبحـاً، ليقـدم قرباناً لزوس العظيم، ولما لم يكن لديه ماء للتقرب فقد أرسل أبناء صور المخلصين لجلب الماء.

وغير بعيد كانت توجد خميلة عتيقة لم يسبق أن لامستها بلطة قاطع الأشجار أبـداً. وكـان في هذه الخميلة كهف عميق تغطيـه الشجـيرات، وتحيـط به من كل جانب الصخـور المبعثـرة بشكـل عشوائي. ومن الكهف كان يتدفق ينبوع ذو مياه كريستـاليـة شفـافة، تخرخر بين الأحجار، وكان يعيش في الكهف تنين منذور لاله الحرب أريس. كانت عيناه تقدحان ناراً، ومن شدقيه المزروعين بثلاثة صفوف من الأسنـان السـامـة، كان يبرز لسـانـه الثـلاثي، وعلى رأس التنـين كان يهتز عرفه الـذهبي بشكـل مخيف. حين اقـترب خادما قدموس من الينبوع، وغمرا أوعيتهما

بمياهـه البـاردة، خرج التنين من الكهف، وهو يطلق فحيحاً رهيباً، ويتلوى بين الأحجار بجسمه الهائل. وشحب وجهاهما من شدة الخوف، وسقطت الأوعية من أيديهما. واقشعـر بدنـاهما من هول المنظـر، وتسمـرا في مكانهما، وقفـ التنين على ذيله، وقـد فتـح شدقيـه. وقبـل أن يستطيع أي من أبناء صور أن يفكر بالفرار، أو الدفاع عن النفس، انقض الثعبان الفظيع عليهما.

انتظـر قدمـوس عودة خادميـه طويـلاً. فقـد مالت الشمس للغـروب، وأصبحت الظـلال على الأرض أطـول، ولم يعودا، ويستغـرب ابن أجينـور أين اختفى أبنـاء صور، ولمـاذا يبطئـان. أخـيراً اقتفى أثرهما عبر الخميلة، وقد غطى جسمـه بجلد الأسـد، فكـان كالـدرع له، وفي نطاقه مدية حادة والرمح في يديه. وفـوق هذا كله فقـد كان البطـل شجاعاً. دخل قدموس الخميلة فرأى هناك جثتي خادميـه المخلصـين ممزقتـين، وفـوق الجثتـين كان يربض الثعبـان الهائل. وصاح قدموس من شدة الحزن والسخط:

- ياخـادمي المخلصـين، سوف أكـون المنتقم لكما. إما أن أثأر لكما وإما أن أهبط معكما إلى مملكة الأشباح المظلمة.

اختطف قدمـوس حجـراً بحجم صخـرة، ولـوح به، ثم رمى به الثعبان. كانت هذه الضـربـة كفيلة بقلب برج قلعـة، لكن الثعبان لم يصب بسوء، بفضل الحراشف القوية، التي تغطي كل جسمه. لوح ابن أجينور بالرمح وغرزه في جسم الثعبـان، أمسـك الثعبان بالرمح بأسنانه وراح يتلوى، محاولاً انتزاعه من الجرح. لكن جهـوده كانت عبثـاً. فقـد ظل الـرمـح الشـاقب عميقاً في الجرح، ولم يتمكن الثعبان إلا من كسر قناته. وانتفخ عنق الثعبان من السم الأسود ومن شدة الهياج، وراح الزبد يتدفق من فمه، وامتلأ الجو كله بنتانة زفيره. كان الثعبان يتلوى على الأرض في دوائـر كبـيرة تارة، ويـرتفـع عالياً وهـو يلف ويدور بشكل مسعور تارة أخـرى. فكـان يقلب الأشجـار بعـد أن يقتلعهـا من جذورها. ويقذف الأحجار

الكبيرة بذيله. إنه يريد أن يقبض على قدموس بحنكه السام، لكن البطل يصد الثعبان بسيفه، متمترساً وراء جلد الأسد. ويعض الثعبان السيف القاطع بأسنانه فتنثلم عليه.

أخيراً أصاب ابن أجينور الثعبان بضربة هائلة، سمرته إلى البلوطة.

مالت البلوطة، التي يربو عمرها على مئة عام، تحت ثقل جسم العفريت. وراح قدموس ينظر إلى الثعبان الذي قتله، ويستغرب حجمه الهائل. وفجأة تردد صوت غريب:

- مابالك تقف يابن أجينور وتتعجب من الثعبان الذي قتلت؟ فعما قريب سوف ينظر إليك الناس بدهشة، بعد أن تمسخ إلى ثعبان.

ويتلفت قدموس يمنة ويسرة، ولايعرف من أين جاء هذا الصوت الخفي. واختلج البطل خوفاً من هذه النبوءة. فكان يقف أمام الثعبان الميت يكاد يفقد وعيه. وحينذاك ظهرت لقدموس ابنة زوس المحببة أثينا بالاس. وأمرته باقتلاع أسنان الثعبان، وزرعها كالبذار في الحقل المحروث.

ونفذ قدموس ماأوعزت به الربة المحاربة، ذات العينين البوميتين[٣٦] ولم يكد يزرع أسنان الثعبان حتى حصلت المعجزة، في البداية ظهرت من الأرض أسنة الرماح، ثم ارتفعت فوق الأرض المحروثة الخوذات، فرؤوس المحاربين ثم أكتافهم، وصدورهم المدرعة وأيديهم حاملة التروس، أخيراً نما من أسنان الثعبان فصيل من المحاربين المسلحين. ولم يكد قدموس يرى العدو الجديد المجهول حتى وضع يده على ذؤابة سيفه، لكن أحد المحاربين، الذين أنجبتهم الأرض، صاح به:

- لاتمسك سيفك! حاذر التدخل في المعركة بين الأخوة.

وبدأت بين المحاربين معركة دامية مخيفة. كانوا يطعنون بعضهم البعض بالرماح والسيوف، ويتساقطون الواحد تلو الآخر فوق الأرض، التي أنجبتهم

للتو. ولم يبق منهم سوى خمسة. وحينذاك قام أحدهم بإيعاز من أثينا بالاس بإلقاء سلاحه على الأرض دليلاً على السلم. وعقد المحاربون حلفاً أخوياً فيما بينهم، وهؤلاء المحاربون، الذين أنجبتهم الأرض من أسنان التنين، هم الذين ساعدوا قدموس في بناء قدموس، قلعة طيبة، ذات البوابات السبع.

أسس قدموس[٣٧] مدينة طيبة العظيمة، وسن القوانين للمواطنين. وقد زوجه آلهة الأولمب بهارمونيا الحسناء ابنة آريس وأفروديت. كان حفل زفاف مؤسس طيبة في غاية الروعة. وقد حضره جميع الأولمبيين، وأغدقوا الهبات على العروسين.

ومنذ ذلك الحين أصبح قدموس واحداً من أقوى ملوك اليونان، وكانت ثروته لاتعد ولاتحصى. كما كانت جيوشه كثيرة لاتقهر، على رأسهم محاربون أنجبتهم الأرض من أسنان التنين. وكان يبدو أن السعادة الأبدية والفرح يجب أن يسودا بيت ابن أجينور، لكن الأولمبيين لم يرسلوا له السعادة وحدها: فقد عانى من الشقاء الكثير. فقد رأى بأم عينيه موت ابنتيه سيميله وإينو[٣٨] صحيح أنهما قبلتا بعد الموت في محفل الآلهة الأولمبيين، ومع هذا فإن قدموس فقد ابنتيه المحبوبتين. ثم ان اكتيون، حفيد قدموس، راح ضحية سخط أرتيميس.

وفي سن الشيخوخة غادر قدموس طيبة ذات البوابات السبع، وقد أضنته المصيبة القاسية. وظل مع زوجته هارمونيا يضربان طويلاً في بلاد الغربة. إلى أن حطا الرحال أخيراً في إليريا[٣٩] البعيدة. راح قدموس يتذكر بقلب مفجوع كل النوازل التي حلت به. وتذكر قتاله مع التنين، وتلك الكلمات التي نطق بها الصوت الخفي.

وقال قدموس متسائلاً:

- ألم يكن ذلك التنين الذي طعنته بسيفي منذوراً للآلهة ياترى؟ إذا كان الآلهة يعاقبونني على موته بهذه القسوة فالأفضل لي أن أتحول أنا نفسي إلى تنين.

ولم يكـد قدمـوس ينطـق بهذه الكلمات حتى استطـال جسمـه وغطتـه الحـراشف ، والتحمت قدمـاه لتشكلا ذيل تنين طويل يتلوى . ويمد قدموس يديه إلى هارمونيا من شدة الخوف ، وهو يقول :

- هيا ياهارمونيا تعالي إلي ، لامسيني ، لامسي يدي قبل أن أتحول كلي إلى تنين .

إنه ينادي هارمونيا ، يريد أن يقول لها الكثير ، لكن لسانه يصبح مزدوجاً ، ثم يتلجلج لسان التنين في فمه ، ولم يعد يخرج منه سوى الفحيح . وتسرع هارمونيا إليه ، وهي تصيح :

- أوه ياقـدمـوس ، هيـا تخلص بسـرعـة من هذه الصـورة ! آه أيتها الآلهة ، لماذا لم تحولوني بدوري إلى تنين .

التف قدمـوس ، الـذي تحول إلى تنـين هائل ، حول زوجته الأمينة ، وراح يلعق وجههـا بلسـانـه المـزدوج . أمـا هارمـونيا فقد راحت تمسِّد بحزن ظهر التنين المغطى بالحراشف . ولم يلبث الآلهة أن حولوا هارمونيا إلى تنين .

هكذا انتهت حياة قدموس وزوجته هارمونيا .

زيتـوس وأمفـيـون :

في مدينـة طيبـة كانت تعيش أنتيـوبـه ابنةإله النهر اسوبوس[٤٠] . وقد أحبها زوس ، قاذف الصـواعق ، فأنجب ولـدين توأمـين ، أطلقت عليهـما اسم زيتـوس (Zethos) وأمفيون (Amphion) وخوفاً من غضب أبيها لأنها تزوجت من زوس سراً عمـدت أنتيـوبه إلى وضع الطفلين في سلة ، ثم حملتهما إلى الجبال . وكانت على ثقة أن زوس لن يترك ولديه يهلكان . وبالفعل فقد أولاهما زوس كل رعاية . فقد عثر أحد الرعاة على ابني زوس وأنتيوبه ، وأخذهما إلى بيته ، حيث قام بتربيتهما . وهكـذا فقـد ترعـرع الأخـوان في دار الـراعي . ومنـذ نعومة أظفارهما كان زيتوس

وأمفيون، يختلفان أحدهما عن الآخر: كان زيتوس صبياً قوياً، وفي سن مبكرة راح يساعد الراعي في رعي القطيع، أما أمفيون فكان ذا طبع وديع وحليم. وحين شب الأخوان أصبح زيتوس محارباً قوياً وصياداً مقداماً. ولم يكن أحد يفوقه قوة ومهارة، ولم يكن يسره سوى قعقعة السلاح في ساح الوغى وصيد الوحوش الكاسرة. أما أمفيون، محبوب الإله أبولون، فلم يكن يسره سوى العزف على القيثارة، ذات الأوتار الذهبية. التي أهداها له أبولون نفسه، ذو القوس الفضي، وابن ليتو. كان أمفيون يعزف على القيثارة عزفاً رائعاً لدرجة أنه كان بعزفه يحرك حتى الأشجار والصخور.

عاش الشابان عند الراعي ـ كسابق عهدهما ـ لايعرفان هوية أبيهما وأمهما. وفي هذا الوقت كانت أمهما أنتيوبه تقاسي الأمرين تحت سيطرة ليكوس ملك طيبة القاسي، وزوجته ديركه. قيدت أنتيوبه بالأصفاد الثقيلة، وزج بها في السجن، الذي لاتنفذ إليه أشعة الشمس، لكن زوس أطلق سراحها. فقد سقطت الأصفاد عنها، وانفتحت أبواب السجن، فهربت إلى الجبال، حيث اختبأت في كوخ الراعي، الذي قام على تربية ولديها.

لم يكد الراعي يأخذها تحت حمايته حتى جاءته ديركه الظالمة، التي شاركت نساء طيبة الأخريات بإحياء عيد ديونيزوس المرح في الجبال. وكانت تطوف الجبال.. بإكليل من اللبلاب، وفي يدها عصا، وقد وصلت كوخ الراعي مصادفة. وما إن رأت ديركه أنتيوبه حتى قررت القضاء عليها. نادت ديركه زيتوس وأمفيون، وافترت على أنتيوبه، ثم أقنعت الشابين بأن يقيداها إلى قرني الثور البري. لكي يمزقها. كان زيتوس وأمفيون قد هما بتنفيذ طلب ديركه. فأمسكا بالثور، وقبضا على أنتيوبه، لكن الراعي وصل في الوقت المناسب. وإذ رأى أن الشابين يريدان أن يقيدا أنتيوبه إلى قرني الثور الهائج صاح بهما:

- ياللجـريمـة الفظيعة ، التي تهمان بارتكابها أيها المنحوسان! فأنتما تريدان ، دون أن تدريا ماتفعلان - أن تحكما على أمكما بهذه الميتة الفظيعة .

ذعر زيتوس وأمفيون حين أدركا أية فعلة شنيعة كان يمكن أن يرتكبا بسبب ديـركـه الظـالمـة . وفي ذروة غضبهما قبضا على ديركه ، التي افترت على والدتهما ، وقيداها إلى قرني الثور البري قائلين :

- موتي الميتـة التي أردتهـا لأمنـا . لتكن هذه الميتة قصاصاً عادلاً لك على ظلمك وعلى افترائك .

كان موت ديـركـه قاسيـاً ومعـذبـاً . كما انتقم زيتـوس وأمفيـون لأمهـما من ليكوس ، فقد قتلاه واستوليا على الحكم في طيبة .

بعد أن أصبح الأخوان ملكين على طيبة ، قررا أن يقويا مدينتهما . وحدها قدمـوس العـاليـة ، قلعـة طيبـة ، التي بناها قدموس ، كانت محاطة بالأسوار . وقام الأخـوان بنفسهـما ببنـاء سور من حول طيبـة . وكم كان عملهما مختلفاً . فبينما كان زيتـوس ، القـوي كالمـارد ، ينقـل الأحجـار الضخمـة ، باذلاً أقصى جهده ، وهو يضعهـا بعضهـا فوق بعض ، لم يحمـل أمفيـون الأحجـار الضخمـة ، بل كانت الأحجـار نفسهـا تتحـرك على إيقـاع أنغـام قيثارته ، ذات الأوتار الذهبية ، وتشيد السور العالي المنيع . انتشرت شهرة البطلين العظيمين زيتوس وأمفيون على نطاق واسـع . حتى ان تانتـال ، حبيب الآلهـة أعطى ابنتـه نيـوبـه زوجـة لأمفيون ، أما زيتـوس فقـد تزوج من إيـدون ، ابنـة بانداريوس ، ملك أفسيس وقد جرت نيوبه وأيدون الشقاء على بيت ابني أنتيوبه .

أيـــدون : (Aedon) :

أصبحت ايـدون ابنـة بانـداريوس . ملك أفسيس ، زوجـة لزيتوس . وكما

قضت نيوبة، ابنة تانتال، بسبب غرورها، كذلك هلكت ابنة بانداريوس المسكينة بسبب حسدها وتعطشها للانتقام. فلم تستطع أيدون تحمل رؤية نيوبه سعيدة. وقد أثار حسدها القوي أن لدى نيوبه سبعة أولاد رائعين وسبع بنات حسناوات، أما هي فليس لديها سوى ولد واحد - إيتيلوس. وكانت نيوبه بتهكمها المستمر قد زادت من الشعور بالحسد الذي راح يستعر في صدر أيدون متحولاً إلى حقد مجنون وتعطش لايرتوي للانتقام.

غالباً ماكانت نيوبه تقول لأيدون:

- إنني أرثي لك يامسكينة. لأنك عاقر. فمن لاتنجب سوى ولد واحد إنما هي في الحقيقة عاقر.

وفي مجالس نساء طيبة كانت نيوبه تقول ضاحكة:

- انظروا إليها. ياللمسكينة! اسمعي ياأيدون، هيا اجري بسرعة إلى المعبد، وصلي للآلهة، صلي بصوت قوي، لكي يسمعوك ويرزقوك، ولو بولد واحد آخر. فمن لديه ولدان ليس بعاقر بشكل كامل.

ولم تكن أيدون ترد على نيوبه بشيء، بل تنصرف بصمت. وفي صدرها كان الحسد والتعطش للانتقام يستعران ناراً تلظى.

وفي وقت متأخر من مساء أحد الأيام كانت أيدون جالسة في مخدعها تفكر بالانتقام. كيف تنتقم؟ كيف تنتقم بحيث يصيب الانتقام نيوبه المتعجرفة في قلبها، بحيث تنتحب، وتنتف شعرها على رأسها من هول المصيبة؟ كانت الظلمة تزداد، وحل الليل. وفجأة نهضت أيدون من فراشها، وأطلقت ضحكة خفيفة، ثم قالت همساً: «وجدتها، وجدتها». قررت أيدون أن تذهب تحت جنح الظلام إلى حيث ينام الصديقان: ولدها إيتيلوس وابن نيوبه البكر إيسمين. قررت أيدون أن تقتل إيسمين، أحب الأولاد لدى نيوبه. وأيدون لاتخطيء في الظلام الدامس، فهي تعرف أن فراش إيسمين في الجانب الأيمن، بينما فراش إيتيلوس

في الجانب الأيسر، ففي هذا اليوم بالذات غطت فراش ولدها بغطاء أرجواني كانت قد حاكته له. فهل يمكن بعد هذا أن تخطيء؟

ويقترب منتصف الليل. كان كل من في القصر قد راح في سبات عميق منذ فترة طويلة. وها قد حل منتصف الليل. نهضت أيدون من فراشها، وأخذت من صندوقها العزيز خنجراً بقبضة مرصعة بالأحجار الكريمة، كان أبوها قد سبق أن أهداها إياه، ثم خرجت من غرفة النوم، وانسلت بهدوء عبر أرجاء القصر تحت جنح الظلام. كانت تحمل الخنجر بيدها، وتضغط به على صدرها، أما اليد اليسرى فقد مدتها أمامها، لكأنها تتلمس طريقها في العتمة، خوفاً من أن تصطدم بشيء فتحدث ضجة. كانت أيدون تخاف أدنى حفيف، حتى أنها كانت تخاف صوت ضربات قلبها. وهاهي أخيراً الغرفة، التي ينام فيها الشابان. وتصيخ أيدون السمع، كل شيء هادىء، ولايسمع سوى تنفس الشابين النائمين المنتظم. انسلت أيدون بحذر، كاتمة أنفاسها، كالظل، نحو اليمين حيث فراش ايسمين، وبعد أن تلمست بأصابعها الخفيفة صدر الشاب لوحت بيدها، وطعنت الشاب النائم في قلبه مباشرة.

عادت أيدون إلى مخدعها، ورقدت في فراشها، وهي تهمس بانتصار: «لقد انتقمت، لقد انتقمت».

بدأت العتمة تنجلي، واقتربت تباشير الصباح. واصطبغت ذرى الجبال البعيدة بأشعة الشمس المشرقة الأرجوانية. إنه الصباح. ياللفاجعة التي حملها هذا الصباح لأيدون المسكينة. فهي تسمع أصواتاً قلقة في القصر، وتسمع أحدهم يصيح: «إيتيلوس، إيتيلوس». جلست أيدون في فراشها، وأصاخت السمع، وقد تملكها القلق. واقترب أحد من الباب، وراح يقرعه، وينادي. إنهم يقرعون باب أيدون. إنها الخادمة، إنها تناديها:

- سيدتي، سيدتي، إيتيلوس، إيتيلوس.

فتحت أيدون الباب، ونظرت إلى الخادمة، ثم امسكت بتلابيبها، وسألتها:

- ماذا حدث لايتيلوس؟

- إن إيتيلوس يرقد قتيلاً في مخدعه.

جمدت أيدون في مكانها من هول ماسمعت. ودون أن تعي شيئاً ذهبت إلى المخدع، نفس المخدع الذي تسللت إليه ليلاً. كانت أيدون تمشي دون أن تعي ماتفعل. كانت قد ضمت يدها اليمنى إلى صدرها، ومدت اليسرى نحو الأمام - على هذا النحو كانت تسير ليلاً. دخلت أيدون المخدع، واتجهت - كما فعلت ليلاً - نحو اليمين، ثم نظرت، في فراش إيسمين كان يرقد ابنها الوحيد إيتيلوس، وفي صدره خنجر أمه. ياللفعلة الشنعاء التي ارتكبتها الأم. فقد قتلت بنفسها ولدها المحبوب. كانت فاجعة أيدون لاتوصف ولاحدود لها. فقد وقعت على جثة ابنها، دون أن تبكي، فلا وجود للدموع، لنازلة كهذه، بل كان جسمها يختلج قليلاً. أشفق الآلهة على الأم الثكلى. ورأى كل من كان في المخدع أن أيدون اختفت فجأة، ومن صدر إيتيلوس انطلق عصفور صغير، رمادي اللون، وطار عبر النافذة. لقد حول الآلهة أيدون إلى بلبل.

ومنذ ذلك الحين والبلبل أيدون يغني بحزن في الربيع، مع غروب الشمس وقبيل شروقها، في غسق الأمسيات الربيعية، في الليالي الصافية وعند الفجر، يغني البلبل أيدون بصوت رخيم في الخمائل، المرشوشة بالندى، والتي تعبق بأريج أزهار الربيع، يغني البلبل أغنية الثكلى، تندب ابنها القتيل، وفي هذه الأغنية يتردد اسم ايتيلوس، ايتيلوس، ايتييلوس.

نيوبه[41]

كان لدى نيوبه، زوجة ملك طيبة، سبعة أولاد وسبع بنات[42]. كانت ابنة

تانتـال تفخـر بأولادهـا . وكـان أولادهـا رائعين كالآلهة الشباب . لقد وهب الآلهة نيوبه السعادة. الثروة والأولاد الرائعين، لكن ابنة تانتال لم تعترف للآلهة بهذا الجميل.

ففي ذات مرة كانت الوحي مانتو، ابنة العراف الأعمى تيريزياس مارة عبر شوارع طيبـة ، ذات البـوابـات السبـع ، فراحت تدعو جميع نساء طيبة إلى تقديم الأضاحي للربة ليتو وولديها : أبولون ، ذي الشعر الذهبي ، والذي يصيب الهدف من بعـد، وأرتيميس العـذراء . لبت نسـوة طيبـة دعـوة مانتـو، وذهبن إلى مذابح الآلهة ، وقد زين رؤ وسنهن بأكاليل الغار. وحدها نيوبه ، المغرورة بقوتها وبما وهبها الآلهة من ثروة وسعادة ، رفضت تقديم القرابين للربة ليتو.

انـزعجت نسـاء طيبـة من كلمات نيـوبـه المفعمـة بالغرور، ورحن يتوسلن بخشوع إلى ليتو العظيمة ألّا تغضب.

سمعت الـربـة ليتـو كلام نيـوبـه المتعجـرف ، فاستـدعت ولـديهـا أبولون وأرتيميس ، وقالت لهما شاكية من نيوبه :

- لقد وجهت لي ابنة تانتال المغرورة ، أنا أمكم ، إهانة قاسية . فهي لاتؤ من بي ربـة . إن نيـوبـه لاتعترف بي على الرغم من أن هيرا العظيمة ، زوجة زوس ، هي وحدها التي تفوقني جبر وتـاً وشهـرة . فهـل يعقـل أنكـما لن تنتقما لإهانتي ياولدي؟ إذا ماتركتما نيوبه دون انتقام فلسوف يتوقف الناس عن عبادتي كربة ، ويهـدمـون مذابحي . ثم إن ابنة تانتال قد أهانتكما أيضاً . فهي تقارنكما ، وأنتما الإلهان الخالدان ، بأولادها الفانين . إنها في منتهى الغرور مثل والدها تانتال .

وقاطع أبولون النبال والدته :

- أرجوك أن تنتهي بسرعة . لاتقولي أي شيء آخر. فبشكواك هذه تؤ جلين إنزال العقاب .

وصاحت أرتيميس غاضبة.

ـ يكفي! لاداعي للحديث.

انطلق الأخ وأخته وقد دثرتهما الغيوم ، من على قمة كينت نحوطيبة . كانت السهام الذهبية تخشخش برهبة في جعبتيهما. وهاهما ينطلقان نحوطيبة ، ذات البوابات السبع . توقف أبولون ، دون أن يراه أحد ، في مكان منبسط ، قرب أسوار المدينة ، حيث كان شباب طيبة يتدربون على التمارين الحربية . وحين وقف أبولون الهداف البعيد ، وقد دثرته الغيمة ، عند أسوار طيبة ، كان ولدا نيوبه إيسمين وسيبيل منطلقين على حصانين جامحين ، يرتديان معطفين أرجوانيين . وفجأة صرخ إيسمين ، فقد اخترق سهم أبولون الذهبي صدره ، فأرخى عنان جواده ، وخر على الأرض صريعاً . سمع سيبيل الرنين الرهيب لوتر قوس أبولون ، فاندفع يروم الفرار على جواده السريع ، من الخطر الماحق .

لكن السهم القاتل أصاب ابن نيوبه . وكان ابنا نيوبه الآخران فايديم وتانتال يتصارعان ، وقد اشتبكا مع بعضهما ، ولف كل منهما يديه حول الآخر. وصفّر في الجو سهم فأصابهما كليهما ، وسقطا ، وهما يطلقان الأنين . أخمد الموت جذوة الحياة في عيونهما في وقت واحد ، وفي نفس اللحظة شهق كل منهما شهقة الموت . ويسرع نحوهما أخوهما ألبينور ، ويهم بإنهاضهما ، ويعانق جثتيهما الباردتين ، لكن سهم أبولون ينغرز في قلبه عميقاً ، فيقع ميتاً على جثتي أخويه . أما داماسيختون فقد أصابه أبولون في فخده ، عند ركبته تماماً ، ويهم ابن نيوبه بانتزاع السهم الذهبي من الجرح ، لكن فجأة يخترق سهم آخر حنجرته . ويرفع إيليونيوس الفتي ، آخر أبناء نيوبه ، يديه نحوه ، ويتضرع إلى الآلهة :

ـ الرحمة ، الرحمة ياآلهة الأولمب .

تأثر أبولون الرهيب بتضرعه . لكن سبق السف العذل ، فقد كان السهم الذهبي قد انطلق من القوس . فأصاب قلب آخر أبناء نيوبيه . وصل نبأ الفاجعة

المائلة إلى نيوبه بسرعة، ونقل الخدم إلى أمفيون خبر موت أولاده، وهم يذرفون الدمع.

لم يتحمل أمفيون فقدهم. فغرز نصل سيفه القاطع في صدره.

راحت نيوبه تنتحب، وهي منحنية على جثث أولادها وزوجها. تقبل أفواههم الباردة. وانفطر قلب نيوبه من العذاب، وترفع المسكينة يديها نحو السماء بائسة. لكن ماتلتمسه ليس الرأفة، فالمصيبة لم تلين قلبها، إن نيوبه تصيح غاضبة:

- افرحي ياليتو الظالمة! امرحي حتى يشبع قلبك من لوعتي. لقد انتصرت ياخصمي! لكن كلا، ماهذا الذي أقول! فأنت لم تنتصري. فمازال لدي أنا البائسة من الأولاد أكثر مما لديك، وأنت السعيدة. وعلى الرغم من أن حولي الكثير من جثث أولادي. فأنا انتصرت عليك، فقد بقي لدي من الأولاد أكثر مما لديك.

لم تكد نيوبه تلوذ بالصمت حتى تردد رنين الوتر الرهيب، وسيطر الرعب على الجميع. وحدها نيوبه ظلت هادئة، فقد رفدتها الفاجعة بالجرأة.

لم يتردد رنين وتر قوس أرتيميس عبثاً. فهاهي إحدى بنات نيوبه، الواقفات في حزن عميق من حول جثث أخوتهن، تقع وقد أصابها السهم. ويرن الوتر من جديد، فتقع ابنة نيوبه الأخرى. ستة سهام ذهبية انطلقت، الواحد تلو الآخر، من وتر قوس أرتيميس. فرقدت بنات نيوبه الحسناوات الشابات الست. ولم تبق سوى أصغرهن. وقد ارتمت على أمها، واحتمت عند قدميها، بين طيات فستانها.

حطم المصاب قلب نيوبه الفخور، فراحت تتوسل بتفجع:

- دعي لي، ولو ابنتي الصغرى ياليتو العظيمة. اتركي لي ولو واحدة.

لكن الربة لم تشفق، فقد أصاب سهم أرتيميس ابنة نيوبه الصغرى أيضاً.

وقفت نيوبه تحيط بها جثث أولادها وبناتها وزوجها. وقد تسمرت من هول المصيبة، ولم تعد الرياح تحرك شعرها، ولم يعد في وجهها قطرة دم واحدة، وخبا بريق الحياة في عينيها، وتوقف قلبها عن الخفقان. الدموع وحدها كانت تتدفق من عينيها. لقد كسا الحجر البارد جسمها، وهبت زوبعة عاتية حملت نيوبه إلى ليديا، مسقط رأسها. وهناك على قمة سيبيل العالية تقف نيوبة، وقد تحولت إلى حجر، تذرف دموع الحزن أبداً[٤٣].

هـرقـل[٤٤]:

ولادة هرقل ونشوؤه: كان الملك إيليكترون يحكم ميسين[٤٥]. وفي ذات مرة سطا على قطيعه أبناء قبيلة التيليبوس[٤٦]، تحت إمرة أبناء الملك بتيريلاس. وحين أراد أولاد إيليكترون استرداد القطيع قام التيليبوس بقتلهم. وحينذاك أعلن الملك إيليكترون أنه سيزوج ابنته الحسناء الكمينا بمن يعيد له القطيع، وينتقم لموت أولاده. وقد استطاع البطل أمفيتريون استعادة قطيع إيليكترون بدون قتال، لأن بتيريلاس ملك التيليبوس كان قد عهد بالقطيع المسروق لبوليكيسين، ملك إيليد[٤٧]، فقام هذا بتسليمه لأمفيتريون. أعاد أمفيتريون القطيع لإيليكترون، وفاز بيد الكمينا، وفي أثناء حفل الزفاف اختلف أمفيتريون في النقاش مع إيليكترون بسبب القطعان فقتله، مما اضطره لأن يفر مع زوجته الكمينا من ميسين. لحقت الكمينا زوجها الشاب إلى بلاد الغربة بشرط واحد - أن ينتقم من أبناء بتيريلاس لمقتل أخوتها. وبعد أن عثر أمفيتريون على ملاذ له لدى الملك كريون في طيبة، اتجه مع قواته لمحاربة التيليبوس. وفي أثناء غيابه جاء زوس إلى زوجته الكمينا، التي افتتن بها، في هيئة زوجها أمفيتريون. ولم يلبث أمفيتريون أن عاد، وقد أنجبت الكمينا من زوس وأمفيتريون ولدين توأمين.

في اليوم الذي كان سيولد فيه ابن زوس العظيم والكمينا اجتمع الآلهة على الأولمب العالي. وقال زوس للآلهة، وهو فرح بقرب ولادة ابنه:

- اسمعوا أيها الآلهة وأيتها الربات ماسأقول لكم: إن قلبي يدفعني لقول هذا. اليوم سوف يولد بطل عظيم، ولسوف يحكم جميع أقربائه، الذين سيتحدرون من صلب ولدي بيرسيوس العظيم.

لكن زوجة زوس، هيرا الملكية غضبت من زوس لزواجه من الكمينا الفانية، وقررت بمكرها ودهائها حرمان ابن الكمينا من السيطرة على كل ذرية بيرسيوس، ولذا فقد قالت هيرا لزوس:

- إنك لاتقول الحقيقة ياقاذف الصواعق العظيم. لن تنفذ وعدك أبداً. اقسم لي قسم الآلهة العظيم الذي لايحنث به، أن أول من سيولد اليوم في ذرية بيرسيوس سيكون الآمر الناهي على أقربائه.

سيطرت ربة الخداع آته على عقل زوس، فأقسم لهيرا ذلك القسم الذي لايحنث به دون أن يخامره الشك في أنها تخدعه. وللحال غادرت هيرا الأولمب، وانطلقت إلى آرغوس في مركبتها الذهبية. وهناك ساعدت نيسيبة، الشبيهة بالآلهة، وزوجة ستينيلوس، المنحدر من سلالة بيرسيوس، على وضع طفلها أورستيه، الذي يولد ضعيفاً مريضاً. عادت هيرا إلى الأولمب على عجل وقالت لزوس سائق السحب:

- اسمعني يازوس الأب، ياقاذف الصواعق! للتو شهدت آرغوس المجيدة ولادة أورستيه الذي يتحدر من سلالة بيرسيوس، وقد أنجبته نيسيبة. إنه أول من ولد اليوم، ويجب أن يحكم كل ذرية بيرسيوس.

حزن زوس، وأدرك الآن مدى مكر هيرا ودهائها. وغضب من ربة الخداع آته، التي خيمت على عقله وفي ثورة غضبه أمسك بها من شعرها، وألقى بها من على الأولمب. ومنذ ذلك الحين وربة الخداع تعيش بين الناس.

عقد زوس مع هيرا اتفاقاً لاينتهك في أن ابنه لن يمضي كل حياته تحت سلطة أورستيه، بل سيكتفي بتنفيذ اثنتي عشرة مأثرة بتكليف من أورستيه، وبعد ذلك لن يتحرر من سلطته فقط، بل ويحصل على الخلود. كان قاذف الصواعق يعرف جيداً أن ابنه سيتعرض للكثير من المخاطر الهائلة، ولذا فقد أوعز لأثينا بالاس أن تساعد ابن الكمينا.

في نفس اليوم الذي أنجبت فيه نيسيبة ولدها رزقت الكمينا بتوأمين: الأكبر - ابن زوس، وقد سمي عند ولادته السيدس والأصغر - ابن أمفيتر يون، وقد سمي أفيكل. وكان السيدس هو بطل اليونان العظيم، وفيما بعد أطلقت عليه عرافة طيبة اسم هرقل، وتحت هذا الاسم اشتهر، وحصل على الخلود، وقبل في محفل آلهة الأولب.

كانت هيرا تترصد هرقل منذ اليوم الأول لولادته. وما إن عرفت أن هرقل قد ولد، وأنه نائم في أقمطته مع أخيه أفيكل حتى أرسلت ثعبانين للقضاء على البطل الصغير. كان الوقت ليلاً حين انسل الثعبانان إلى مخدع الكمينا، وعيناهما تسطعان. زحفا بهدوء نحو السرير، حيث كان يرقد التوأمان، ومان التفا حول جسم هرقل الصغير، وهمّا بخنقه حتى استيقظ ابن زوس، ومد يديه الصغيرتين نحو الثعبانين، وقبض عليهما من عنقهما، وراح يضغط عليهما بقوة هائلة، فاختنقا في الحال، وثبت الكمينا من فراشها مرعوبة. ولم تكد النسوة اللواتي كن في مخدعها ترين الثعبانين في السرير حتى أطلقن صراخاً قوياً. اندفع الجميع نحو سرير هرقل، وعلى صراخ النسوة دخل أمفيتريون على عجل ممتشقاً سيفه. أحاط الجميع بالسرير فرأوا المعجزة الغريبة: كان هرقل الصغير يمسك بيديه الثعبانين الضخمين المخنوقين، واللذين كانا لايزالان يتلويان قليلاً في يديه. دهش أمفيتريون من قوة ولده، ثم دعا العراف تيريزياس، وسأله عن مصير الطفل

الـوليـد . وحينذاك أخبره الشيخ العراف بالمآثر العظيمة ، التي سيجترحها هرقل ، وتنبأ له بالخلود في نهاية حياته .

حين عرف أمفيـتريـون بالمجـد العظيم ، الـذي ينتظـر ابن الكمينا البكر، عمد إلى تربيته تربية تليق بالأبطال . ولم يهتم أمفيتريون بنمو قوة هرقل فقط ، بل واهتم بتعليمـه أيضـاً ، فقد تعلم القراءة والكتابة ، والغناء والعزف على القيثارة . لكـن هرقــل لم يحقق في مجال العلوم والمـوسيقى من النجــاح ماحقق في ميــدان المصــارعـة والـرمي بالقـوس ، والمهارة في استخدام السلاح . وغالباً ماكان مدرس الموسيقى ، لينوس ، أخو أورفيوس ، يغضب من تلميذه ، لابل ويعاقبه . وفي ذات مرة قام لينـوس ، أثنـاء الـدرس ، بضـرب هرقل ، بسبب عدم رغبته في الدراسة . واستبـد الغضب بهرقـل فتنـاول القيثـارة وضرب بها لينوس على أم رأسه ، لم يزن هرقـل الشـاب قوة الضـربـة ، التي كانت من القوة بحيث صرعت لينوس . وعلى جريمة القتل هذه حوكم هرقل ، وقال ابن الكمينا مبرراً فعلته :

- إن رادامانت، أكثر القضاة عدلاً يقول أن بوسع كل من يضرب أن يرد الضربة بضربة .

برأ القضاة ساحة هرقل ، لكن أمفيتريون خاف من تكرار ماحدث ، فأرسل هرقل إلى أدغال كيثارون لرعي القطيع .

هرقـل في طيبـة : ترعـرع هرقل في غابات كيثارون ، وأصبح شاباً جباراً . كان أطول من الجميع بمقدار رأس كامل ، وكانت قوته تفوق بكثير قوة الانسان . ولم يكن أحـد يجاريـه في التـمارين الحـربيـة ، وكـان يتقن استخدام القوس والرمح بشكـل لايطيش فيـه أبـداً . وفي سن الشبـاب كان هرقـل قد قتل أسد كيثارون ، الـــذي كان يعيش في قمم الجبــال ، وسلخ جلده ، وألقى بهذا الجلد على كتفيـه القويتين كأنه معطف ، وربـط أطرافه على صدره ، أما لبدته فقد جعل منها خوذة

له. وصنع هرقل لنفسه هراوة ضخمة من شجرة الدردار الصلبة كالحديد، والتي اقتلعها من جذورها في غابة نيميه. وكان سيف هرقل هدية من هرمس، والقوس والسهام من أبولون، أما الدرع الذهبي فكان من صنع هيبايستوس، وأما ثيابه فقد حاكتها له أثينا بنفسها.

بعد أن شب هرقل تغلب على إيرجينوس، ملك أورشومين، الذي كان يتقاضى جزية سنوية كبيرة من طيبة. وفي أثناء المعركة قتل إيرجينوس، وفرض جزية على أورشومين المنيانية، كانت تعادل ضعف الجزية التي كانت طيبة تدفعها. ومكافأة على هذا زوجه الملك كريون بابنته ميغارا، فرزقته الآلهة بثلاثة أبناء رائعين.

عاش هرقل سعيداً في طيبة، ذات البوابات السبع، لكن الربة هيرا كانت ماتزال تستعر حقداً على ابن زوس. فأرسلت على هرقل مرضاً فظيعاً. حيث فقد هرقل عقله، وسيطر عليه الجنون. وفي نوبة جنونه قتل هرقل جميع أولاده وأولاد أخيه أفيكل. وحين مرت النوبة سيطر على هرقل حزن عميق. وبعد أن تطهر هرقل من رجس الجريمة التي ارتكبها عن غير قصد، غادر طيبة قاصداً دلفي المقدسة. وكان أبولون قد أوعز لهرقل أن يتوجه إلى موطن أسلافه في تيرنس، وأن يخدم أورستيه اثني عشر عاماً. وتنبأ ابن ليتو لهرقل، على لسان الكاهنة، بأنه سيفوز بالخلود، إذا ماقام حسب أوامر أورستيه باثنتي عشرة مأثرة عظيمة.

مآثر هرقل: استقر هرقل في تيرنس، وأصبح خادماً لأورستيه الضعيف والرعديد. كان أورستيه يخاف البطل الصنديد فلم يكن يسمح له بدخول ميسين. وكان يبعث بأوامره لابن زوس في تيرنس عبر رسوله كوبريوس.

أسد نيميه (المأثرة الأولى): لم ينتظر هرقل طويلاً مهمة الملك أورستيه الأولى. فقد أمره بقتل أسد نيميه، كان هذا الأسد، المولود من زواج إيشيدنا

وتيفـون بحجم هائـل . كان يعيش قرب مدينة نيميه[٤٨]، وقد خرب ضواحيها . لم يكـد هرقـل يصـل نيميـه حتى قصـد الجبال فوراً، لكي يعثر على عرين الأسد. وصـل هرقـل سفـوح الجبـال عنـد الظهـيرة . ولم يكن يظهـر أي كائن حي في أي مكـان : لا الـرعـاة ولا المـزارعـون . كانت كل الكـائنـات الحية قد فرت من هذه الأمكنـة خوفـاً من الأسـد الفظيع . أمضى هرقل وقتاً طويلاً في البحث عن عرين الأسد، عبر سفوح الجبال الحراجية وفي الوديان . وأخيراً، وحينما بدأت الشمس تميل نحو الغروب، عثر عليه في واد مظلم . كان عرين الأسد في كهف هائل، له مخرجـان . سد هرقـل أحـد المخـرجين بالأحجار، وراح ينتظر الأسد . وحين خيم الغسق ظهر الأسد الفظيـع ، ذو اللبـدة الطـويلة المنفـوشة . شد هرقل وتر قوسه ، وأطلق على الأسـد ثلاثـة سهـام ، الـواحـد تلو الآخـر، لكن السهام ارتدت عن جلده . أطلق الأسـد زئـيراً مخيفاً، فرددت الجبال زئيره كهزيم الرعد . كان الأسد يقف في الـوادي ، ويبحث بعينـين تتـوقـدان من شدة الهياج عن هذا الذي تجاسر فرمـاه بالسهـام . وها قد رأى هرقل، فاندفع نحو البطل بوثبات هائلة . كالصاعقة ومضت هراوة هرقل، وسقطت كقصف الرعد على رأس الأسد . سقط الوحش أرضاً وقـد دوختـه الضـربـة الهـائلة . فانقض هرقـل عليه ، وقبض عليه بيديه الجبارتين وخنقـه . عاد هرقـل إلى نيميـه ، بعـد أن وضـع الأسد المقتول على كتفه ، وقدم القـربـان لزوس . وتخليـداً لذكـرى مأثرته الأولى أسس الألعاب النيمية[٤٩] . حين أحضـر هرقـل الأسد الذي قتله إلى ميسين شحب وجه أورستيه من الخوف ، بعد أن رأى هذا الـوحش وأدرك ملك ميسـين مدى القـوة غير البشرية ، التي يتمتع بها هرقل . فحظر عليه مجرد الاقتراب من بوابات ميسين[٥٠]، وحين كان هرقل يجلب الأدلة على مآثره كان أورستيه ينظر إليها بخوف من فوق أسوار المدينة العالية .

هيدرا ليرنا (المأثرة الثانية) : بعد المأثرة الأولى أرسل أورستيه هرقل لقتل

هيدرا ليرنا. وهي عبارة عن وحش لها جسم أفعى، وتسعة رؤ وس تنينية. وكانت هيدرا، مثلها مثل أسد نيميه، ثمرة زواج تيفون وإيشيدنا. كانت هيدرا تعيش في مستنقع قرب مدينة ليرنا، وكانت حين تخرج من وكرها تدمر القطعان، وتخرب الضواحي. كان قتال هيدرا، ذات الرؤ وس التسعة، محفوفاً بالخطر لأن أحد رؤ وسها كان خالداً. انطلق هرقل لتنفيذ هذه المهمة، يرافقه إيولاوس، ابن أخيه أفيكل. حين وصل هرقل إلى المستنقع قرب مدينة ليرنا ترك إيولاوس مع المركبة في الدغل القريب، وذهب يبحث عن هيدرا بنفسه. وقد عثر عليها في مغارة يحيط بها المستنقع. وبعد أن سخن سهامه حتى أصبحت كالجمر راح يرمي بها هيدرا الواحد تلو الآخر. وثارت ثائرة هيدرا من سهام هرقل. وخرجت تسعى وتتلوى بجسمها المغطى بالحراشف الساطعة، من ظلمة المغارة، ووقفت بشكل مخيف على ذيلها الهائل، وهمت بالوثب على البطل، لكن ابن زوس داس بقدمه على جذعها، فألصقها بالأرض. التفت هيدرا بذيلها حول قدمي هرقل، وراحت تحاول رميه. لكن البطل ظل ثابتاً كالطود الراسخ. وراح يقطع رؤ وس هيدرا بهراوته الثقيلة، الواحد تلو الآخر. وكالزوبعة كانت تصفر الهراوة في الجو، وتتطاير رؤ وس هيدرا. ومع ذلك فقد ظلت هيدرا حية. ففي مكان كل رأس مقطوع كان ينبت لهيدرا رأسان جديدان. وجاءت النجدة لهيدرا. فقد خرج من المستنقع سرطان هائل، وغرز ملقطيه في رجل هرقل. وحينذاك استنجد البطل بإيولاوس. الذي قتل الوحش، وأشعل قسماً من الدغل القريب، وراح يحرق عنق هيدرا، التي قطع هرقل رؤ وسها، مستخدماً جذوع الأشجار المشتعلة. وتوقفت الرؤ وس الجديدة عن الظهور، وشيئاً فشيئاً راحت مقاومة هيدرا لابن زوس تتناقص، إلى أن تطاير رأسها الخالد أيضاً. وهكذا فقد تغلب هرقل على وحش هيدرا، الذي سقط على الأرض ميتاً. حفر هرقل حفرة عميقة، وطمر فيها رأس هيدرا الخالد، ووضع فوقه صخرة هائلة، لكي لايخرج إلى النور من جديد. بعد ذلك قطع

البطل جسم هيدرا، وعبأ في صفرائها السامة سهامه، ومنذ ذلك الحين أصبحت الجروح التي تخلفها سهام هرقل غير قابلة للشفاء. عاد هرقل إلى تيرنس باحتفال مهيب، وهناك كانت بانتظاره مهمة أخرى من مهام أورستيه.

الطيور الستيفالية (المأثرة الثالثة): كلف أورستيه هرقل بافناء الطيور الستيفالية، التي حولت ضواحي مدينة ستيفالوس الأركادية إلى مايشبه الصحراء، كانت هذه الطيور تهاجم الحيوانات والبشر وتمزقهم بمخالبها ومناقيرها النحاسية. ومما زاد في الطين بلة أن ريش هذه الطيور كان من البرونز القاسي، فكان بوسع هذه الطيور عند إقلاعها، أن ترمي بها، كالسهام، كل من تسول له نفسه الهجوم عليها. وجد هرقل صعوبة في تنفيذ مهمة أورستيه هذه. وقد جاءت لنجدته المحاربة أثينا بالاس، فأعطته صنجين نحاسيين (من صنع الاله هيبايستوس) وأمرت هرقل بالوقوف على التلة العالية قرب الغابة، التي كانت تعشعش فيها الطيور الستيفالية، وهناك يبدأ بقرع الصنوج، وحين تقلع الطيور يقوم بالرمي عليها من قوسه. وهذا مافعله هرقل. فقد صعد الهضبة، وراح يقرع الصنوج، فتردد رنين صاخب دفع بالطيور لأن تحلق فوق الغابة، وتحوم فوقها مذعورة. وراحت تقذف بريشها الحاد كالسهام فيتساقط على الأرض. لكنها لم تصب التلة، التي يقف هرقل فوقها. امتشق البطل قوسه، وراح يطلق سهامه القاتلة على الطيور. وفرت الطيور الستيفالية مذعورة واختفت خلف الغيوم، طارت بعيدة عن حدود اليونان إلى شواطيء بونتا ايفكسين[٥١]. ولم تعد بعد ذلك إلى ضواحي ستيفالوس أبداً. هكذا نفذ هرقل مهمة أورستيه هذه، وعاد إلى تيرنس، وللحال اضطر للانطلاق في مهمة جديدة أكثر صعوبة.

وعل سيرينسيا (المأثرة الرابعة): كان أورستيه يعرف أن وعل

سير ينسيا ، الـذي أرسلتـه الربة أرتيميس عقاباً للناس ، يعيش في أركاديا . وكان هذا الـوعـل قد خرب الحقـول ، وقـد أوعز أورستيه لهرقل أن يمسك به ، ويأتي به إلى ميسـين حيـاً . كان هذا الـوعـل في منتهى الجـمال : كان قرناه ذهبيين وأظلافه نحـاسيـة . وكـان ينطلق عبر جبـال ووديـان أركاديا يسابق الريح ، دون أن يعرف للتعب معنى . ظل هرقـل يطـارد وعـل سير ينسيا عاماً بكامله . كان الوعل ينطلق عبر الجبـال والسهـول ، ويقفـز فوق الهـاويـات السحيقة ، ويقطـع الأنهار، وهو لايكف عن التوغل شمالاً . ولم يكن البطل يتخلف عنه . بل كان يطارده ، دون أن يدعـه يغيب عن ناظـريـه . أخـيراً وصـل هرقـل في مطـاردتـه للوعل إلى الشمال الأقصى - بلاد الهيـبر بـوريـين ومنابع إيستور[٣٢] . فهنا توقف الوعل ، وهـم البطل بإمساكه ، لكنه تملص منه ، وكالسهـم انطلق عائداً نحو الجنوب . وبدأت المطاردة من جديـد . ولم يتمكن هرقـل من اللحـاق بالوعل إلا في أركاديا . وحتى بعد هذه المطـاردة الطـويلة لم تهن عزيمـة الـوعـل . ولجأ هرقـل اليـائس إلى سهـامه ، التي لاتخطيء . وقـد أصـاب الوعل ، ذا القرنين الذهبيين ، بسهمه في قدمه . وحينذاك فقـط تمكن من الامسـاك به . لم يكـد هرقـل يلقي بالـوعل الرائع على كتفيه ويهم بحمله إلى ميسين ، حتى ظهرت أمامه أرتيميس الغاضبة ، وقالت له :

- ألم تكن تعرف ياهرقل أن هذا الوعل لي؟ لماذا أهنتني فجرحت وعلي المحبوب؟ ألا تعرف أني لاأصفح عن الاهانة؟ أم انك تظن أنك أقوى من آلهة الأولمب؟

انحنى هرقل أمام الربة الحسناء بخشوع وأجابها :

- لاتضعي الـذنب علي ياابنـة ليتـو العظيمة . فلم يسبق لي أبداً أن أهنت الآلهة الخـالـدين ، الـذين يعيشـون على الأولمب المشـرق . وكنت دائـماً أتعبد سكان السـماء ، فأقـدم لهم القـرابين الغالية ، ولم يسبق لي أن اعتبرت نفسي نداً لهم ، وإن كنت أنـا نفسي ابن زوس قاذف الصـواعق . لم أطارد وعلك بإرادتي ، بل

بإيعاز من أورستيه. إن الآلهة أنفسهم قد أمروني بخدمته، ولا أجرؤ على أن أشق عصا الطاعة على أورستيه.

غفرت أرتيميس لهرقل ذنبه. أحضر الابن العظيم لزوس قاذف الصواعق وعل سيرينسيا حياً إلى ميسين، وسلمه لأورستيه.

خنزير أريمانتوس والمعركة ضد الصنطورات (المأثرة الخامسة): لم يخلد هرقل للراحة طويلاً بعد صيد الوعل، ذي الظلف النحاسي. فمن جديد كلفه أورستيه بمهمة أخرى: فقد كان على هرقل أن يقتل خنزير أريمانتوس. كان هذا الخنزير، الذي يتمتع بقوة خارقة، يعيش على جبل أريمانتوس، وكان يخرب ضواحي مدينة بسوفيس[٥٣]، ولم يكن يرحم الناس، فكان يقتلهم بأنيابه الهائلة. قصد هرقل جبل أريمانتوس. وفي طريقه زار الصنطور فولوس الحكيم، وقد أكرم فولوس وفادة ابن زوس، وأقام مأدبة على شرفه. وفي أثناء الحفل فتح الصنطور دناً كبيراً من الخمرة إكراماً للبطل الضيف. انتشرت رائحة الخمرة الزكية في كل مكان. وقد شمت هذه الرائحة الزكية الصنطورات الأخرى. فغضبت أشد الغضب من فولوس لأنه فتح دن الخمرة. فالخمرة لم تكن تخص فولوس وحده، بل كانت ملكاً لجميع الصنطورات. اندفعت الصنطورات باتجاه مسكن فولوس، وهجمت عليه وعلى هرقل بشكل مباغت، حين كانا يحييان المأدبة بمرح، وقد زينا رأسيهما بأكاليل اللبلاب. لم يخف هرقل من الصنطورات. فقد وثب من مكانه، وراح يرمي المهاجمين بالجمر الكبير المتقد. ولاذت الصنطورات بالفرار، فراح هرقل يصرعها بسهامه المسمومة. ظل البطل يطاردها حتى ماليوس نفسها. وهناك اختبأت الصنطورات عند شيرون، صديق هرقل. وهو من أكثر الصنطورات حكمة. واقتحم هرقل مغارة شيرون في أثرها. وفي ثورة غضبه شد قوسه، فرن السهم في الجو وانغرز في فخذ أحد الصنطورات، لكن هرقل لم يصب عدوه، وإنما

أصاب صديقه شيرون. استولى على البطل حزن عظيم حين رأى أنه إنما جرح صديقه. وأسرع هرقل يغسل جرح صديقه ويضمده لكن دون جدوى. كان هرقل يعرف أن الجرح من السهم المسموم بصفراء هيدرا غير قابل للشفاء. وبدوره كان شيرون يعرف أن الموت القاسي يتهدده. وفيما بعد هبط طوعاً إلى مملكةهادس المظلمة كي لايضنيه عذاب الجرح.

غادر هرقل شيرون وهو في غاية الحزن. ولم يلبث أن بلغ جبل أريمانتوس. وهناك في الغابة الكثيفة عثر على الخنزير البري الرهيب، فطرده بصراخه من الخميلة. طارد هرقل الخنزير طويلاً، إلى أن ساقه أخيراً إلى الثلج العميق على قمة الجبل. وقد علق الخنزير في الثلج، فانقض هرقل عليه، وقيده ثم حمله حياً إلى ميسين. وإذ رأى أورستيه الخنزير الفظيع اختبأ من شدة خوفه في وعاء برونزي كبير.

زريبة الملك أوجياس (المأثرة السادسة): لم يلبث أورستيه أن كلف هرقل بمهمة جديدة، فقد كان عليه أن ينظف من الزبل كل زريبة أوجياس، ملك إيليد[٤٠]، ابن هيليوس الساطع. كان إله الشمس قد وهب ابنه ثروات لاتحصى. وكانت كثيرة بشكل خاص قطعان أوجياس. وكانت قطعانه تضم ثلاثمائة ثور، ذات قوائم بيضاء كالثلج. ومئتي ثور أحمر مثل أرجوان صور، واثني عشر ثوراً منذورة للإله هيليوس، وكانت بيضاء مثل طائر التم، وكان ثمة ثور في منتهى الجمال، يتألق كالنجم الساطع. اقترح هرقل على أوجياس تنظيف كل زريبته الهائلة، في يوم واحد، إن هو وافق على إعطائه عِشْر مالديه من ماشية. وقد وافق أوجياس على هذا. فقد كان يعتقد أنه يستحيل القيام بهذا العمل خلال يوم واحد. عمد هرقل إلى هدم سور الزريبة من جهتين متقابلتين، وحول إليها مياه نهري ألفيوس وبيليوس. وخلال يوم واحد حملت مياه هذين النهرين كل الزبل من

الـزريبـة، وعـاد هرقـل فبنى الجـدار كما كان. وجـاء هرقـل إلى أوجيـاس مطالباً بمكافأته، لكن الملك لم يعطه عشر ماشيته كما وعده، فاضطر هرقل لأن يعود إلى تيرانت خاوي الوفاض.

كان انتقام هرقل من ملك إيليد فظيعاً. فبعد عدة سنوات، وكان قد تحرر من خدمة أورستيه، غزا هرقل إيليد على رأس جيش كبير، وانتصر على أوجياس في معـركـة داميـة، ثم أرداه بسهمـه القـاتـل. وبعد النصر جمع هرقل جيشه وكل ماغنمه قرب مدينة بيزا، حيث قدم الأضاحي لآلهة الأولمب، وأسس الألعاب الأولمبية[٥٧]، التي كانت تجري منـذ ذلـك الحـين مرة كل أربـع سنوات في السهل المقدس، الذي غرسه هرقل بأشجار الزيتون، المنذورة للربة أثينا بالآس.

كما انتقم هرقـل من جميـع حلفـاء أوجيـاس، وبخاصة من نيليوس، ملك بيلوس. فقـد وصـل هرقـل مدينـة بيلوس، واحتلها ثم قتل نيليوس وأبناءه الأحد عشـر. ولم ينـج حتى ابنـه بيريكليمينوس، الذي وهبه بوزيدون، حاكم البحار، القـدرة على تقمص الأسـد، الأفعى والنحلة. وقـد قتله هرقـل حين تحول إلى نحلة، وحـط على أحـد الجيـاد المربـوطـة إلى مركبة هرقل. وحده نسطور، ابن نيليوس بقي على قيد الحياة. وفيما بعد اشتهر نسطور بين الاغريق بمآثره وحكمته العظيمة.

ثور كريت (المأثرة السابعة): من أجل تنفيذ مهمة أورستيه السابعة كان على هرقـل أن يغـادر اليـونان قاصداً جزيرة كريت. وقد كلفه أورستيه بجلب ثور كريت إلى ميسـين. وكـان بوزيـدون، مزلزل الأرض، هو الذي أرسل هذا الثور لمينـوس. ملك كريت، وابن أوروبا. وكان على مينوس أن يقدم هذا الثور قرباناً لبوزيدون. لكن مينوس لم يرغب في التضحية بهذا الثور الرائع، فتركه في قطيعه، وضحى لبوزيدون بواحد من ثيرانه. غضب بوزيدون من مينوس، وأهاج الثور،

وسلطـه على الجـزيـرة ، فراح يعيث فيها فساداً ، ويدمر كل مايصادفه في طريقه . وقد أمسك هرقل بالثور وروضه . فقد امتطى متنه العريض ، وقطع عليه البحر من كريت حتى البيلوبـونيـز. جاء هرقـل بالثـور إلى ميسين ، لكن أورستيه خاف أن يترك ثور بوزيـدون في قطيعـه ، فأطلق سراحه . ولم يكد الثور الهائج يشعر بالحرية من جديد حتى انطلق عبر البيلوبونيز كلها نحو الشمال . إلى أن وصل أخيراً إلى اتيكا ، إلى حقل مارافون ، وهناك قتله البطل الأثيني ثيسيوس .

خيـول ديـوميد (المأثرة الثامنة) : بعد ترويض ثور كريت اضطر هرقل ، بتكليف من أورستيه ، للتوجه إلى تراقيا ، إلى ديوميد ملك البيستونيين[٥٦] . كانت لدى هذا الملك جياد في منتهى الروعة والقوة . كانت هذه الجياد مقيدة بالسلاسل الحـديديـة في اسطبلاتهـا ، لأن أية أصفاد لم تكن بقادرة على كبح جماحها . كان الملك ديـوميـد يطعم هذه الجيـاد باللحم البشري . فكان يلقي لها بجميع من يفد إلى مدينته من غرباء .

جاء هرقـل مع مرافقيـه إلى ملك تراقيـا . وقـد سيطـر على جيـاد ديوميد ، ونقلهـا إلى سفينتـه . لكن ديـوميـد لحق به على الشـاطىء ، ومعـه محاربـوه البيستـونيـون . فتصدى له هرقل ، بعد أن كلف أبديروس ، ابن هرمس ، بحراسة الجيـاد . وعلى الـرغم من أن مرافقي هرقـل كانـوا قلة ، فقـد كانت الغلبـة لهم ، وسقط ديوميد في ساح المعركة . وعاد هرقل إلى السفينة . وكم كان حزنه كبيراً حين اكتشف أن الجياد البرية قد مزقت ابديروس . وقد أقام هرقل جنازة مهيبة لصديقه المحبوب ، وردم تلة عالية فوق قبره . وأسس بالقرب من القبر مدينة أطلق عليها اسم أبـديـروس . أمـا الجياد فقد أحضرها هرقل إلى أورستيه ، الذي أمر باطلاق سراحها . فرت الجياد إلى الجبال والأحراج الكثيفة . وهناك قتلتها وحوش الفلاة .

هرقـل عنـد أدميتوس[٥٧]: بينما كان هرقل على متن مركبه في طريقه إلى تراقيا، للحصول على جياد ديوميد قرر زيارة صديقه الملك أدميتوس، لأن طريقه كان يمر قرب مملكته ـ مدينة فيريس[٥٨].

كانت نازلـة كبـيرة قد حلت ببيت ملك فيريس. فقـد كان على زوجتـه السيست أن تموت، فقد سبق للمويرات العظام، ربات المصير، أن قررن، بناء على طلب أبولون، أن بإمكان أدميتوس أن يتجنب الموت في حال وافق أي كان في نهاية حيـاتـه على أن يحل مكانه في مملكة هادس المظلمة. وحين دنت منيته طلب أدميتوس من والديه العجوزين أن يفتديه أي منهما، لكن والديه رفضا. ولم يوافق أي من سكان فيريس على التطوع للموت فداء الملك أدميتوس. وحينذاك قررت السيست الشابة الحسناء أن تفتدي بحياتها زوجها المحبوب.

في ذلـك اليـوم، الـذي كان على أدميتـوس أن يموت فيه استعدت زوجته للمـوت. فغسلت بدنهـا، وارتـدت ثيـاب وحـلي الـدفن، ثم اقـتربت من موقد المنزل، ورفعت صلاة حارة إلى فيستا، واهبة السعادة في البيت:

ـ أيتهـا الـربـة العظيمـة! للمـرة الأخيرة أركع أمامك هنا. إنني أتوسل إليك أن تحمي ولدي اليتيمين، فعلي اليوم النزول إلى مملكة هادس المظلمة. لاتجعليهما يموتان قبل الأوان، كما مت أنا، ولتكن حياتهما سعيدة وغنية هنا، في موطنهما.

بعد ذلك طافت السيست بكل مذابح الآلهة، وزينتها بالآس.

أخـيراً قصـدت مخدعهـا، وارتمت على فراشها باكية. ودخل عليها والدها وابنهـا وابنتهـا، وبكيا بحرقة على صدر أمهما. وبكت خادمات السيست. وعانق أدميتوس زوجته الشابة بلوعة، وراح يتوسل إليها أن لا تفارقه. كانت السيست قد أصبحت جاهـزة للمـوت، وبخطـوات لاتسمع يقترب من قصر ملك فيريس إله الموت تاناتوس، المكروه من الآلهة والبشر. لكي يقص بسيفه خصلة من شعر رأس السيست. كان أبـولـون ذو الشعـر الـذهبي قد رجـاه أن يؤجل ساعة موت زوجة

صديقـه المحبـوب أدميتوس، لكن تاناتوس قاس لايرحم. أحست السيست بدنو أجلها، فصاحت من الخوف:

- إن زورق شارون، ذا المجـدافـين يقـترب، ويصـرخ بي بهول ناقـل أرواح الموتى، وهويدير الزورق: «مابالك تبطئين؟ عجلي، عجلي، فالوقت لاينتظر. لاتؤخـرينـا. كل شيء جاهز. هيا عجلي». اتركوني! إن قدمي تضعفان. إن الموت يقترب. الليل الأسود يغطي عيني! ولدي، ولدي! لم تعد أمكما على قيد الحياة! عيشا سعيدين! وأنت ياأدميتوس، لقد كانت حياتك أغلى عندي من حياتي. فلتضيء الشمس بشكل أفضل لك وليس لي. إنك ياأدميتوس تحب ولدينا لاأقل مني، فلا تأت إلى البيت بزوجة أب كي لاتسيء إليهما.

كان أدميتوس المسكين يتعذب، ويصيح قائلاً:

- لسوف تأخذين معك كل سعادة الحياة ياالسيست! ولسوف أبقى أندبك طيلة حياتي. أوه أيها الآلهة، أية زوجة تنتزعون مني!

وتقول السيست بصوت بالكاد يسمع:

- وداعـاً، لقـد أغمـضت عيناي إلى الأبد. وداعاً ياولدي! الآن لم أعد شيئاً. وداعاً ياأدميتوس.

وصاح أدميتوس، وهو يذرف الدمع:

- هلا نظرت ولو مرة واحدة، لاتفارقي الأولاد. دعيني أموت، أنا أيضاً.

أغمضت عينا السيست، ودبت الـبرودة في جسـدهـا، لقـد ماتت. راح أدميتوس ينتحب على المسكينة، ويشكو المصير بمرارة.

ويـوعـز بتجهيز كل شيء للجنـازة المهيبـة وراح يندب السيست، أفضل النسـاء، على مدى ثمانيـة أشهـر. كانت المـدينـة كلها مفعمة بالحزن لأن الجميع كانوا يحبون الملكة الطيبة.

وحـين هموا بحمـل جثـمان السيست نحو ضريحها وصل هرقل المدينة. كان

يسير قاصداً قصر أدميتوس حين التقى صديقه في بوابة القصر. استقبل أدميتوس ابن زوس حامل الترس بكل احترام. ولكي لايثير حزن ضيفه يحاول أدميتوس إخفاء مصيبته. لكن هرقل لاحظ فوراً أن صديقه حزين جداً، فسأله عن سبب حزنه. ويعطيه أدميتوس جواباً مبهماً، ويعتقد هرقل أن من مات لدى أدميتوس هي قريبته البعيدة، التي سبق للملك أن آواها بعد وفاة والدها. ويوعز أدميتوس لخدمه بمرافقة هرقل إلى غرفة الضيوف وبأن يحيوا له مأدبة عامرة، وأن يوصدوا الأبواب المؤدية إلى جناح زوجته، كي لايصل النواح إلى أذني هرقل. ودون أن يخطر لهرقل ببال مدى الفاجعة التي ألمت بصديقه راح يمرح في قصر أدميتوس، فكان يشرب القدح تلو القدح، وكان الخدم متضايقين من خدمة الضيف المرح. فهم يعرفون أن سيدتهم المحبوبة لم تعد على قيد الحياة. ومهما حاولوا، بإيعاز من أدميتوس، أن يخفوا حزنهم فقد لاحظ هرقل الدمع في عيونهم والحزن في وجوههم. فينادي أحد الخدم لمشاركته الشراب، قائلاً بأن الخمر يهبه النسيان، ويزيل تجاعيد الحزن على الوجه، لكن الخادم يرفض. وحينذاك يدرك هرقل أن فاجعة كبيرة حلت بدار أدميتوس. ويروح يسأل الخادم عما حدث، وأخيراً قال له الخادم:

- أيها الغريب إن زوجة أدميتوس قد نزلت اليوم إلى مملكة هادس.

حزن هرقل. وتألم لأنه جلس يأكل ويشرب في إكليل من اللبلاب، وراح يغني في بيت صديقه، الذي أصابته هذه المصيبة الكبيرة. قرر هرقل أن يكافيء أدميتوس الذي أكرم وفادته على هذا النحو على الرغم من المصيبة التي حلت به. وللحال نضج قراره بانتزاع السيست من تاناتوس إله الموت الكئيب.

وما إن عرف من الخادم بمكان ضريح السيست حتى سارع إلى هناك، حيث اختبأ خلف الضريح وراح ينتظر قدوم تاناتوس ليروي عطشه لدى قبر الدم القربان. هاقد تردد خفق أجنحة ثاناتوس السوداء. وهبت برودة القبور، وحط لدى

القبر إله الموت الكئيب، وراح يلعق الدم القربان بنهم. وثب هرقل من مكمنه، وانقض على تانـاتـوس. والتفت يداه الجبارتان حول إله الموت، وبدأ بينهما صراع رهيب. كان هرقل يقاتل إله الموت باذلاً أقصى جهد. وراح تاناتوس يضغط بيديه العظيمتـين على صدر هرقـل، وينفث زفـيره الجليدي عليه، ومن جناحيه كانت تهب برودة المـوت. ومـع ذلـك فقـد تغلب هرقـل الجبـار، ابن زوس قاذف الصواعف، على تاناتوس. وبعد أن شد وثاقه طالب بفدية لاطلاق سراحه ـ أن يعيـد إلـه المـوت الحيـاة لألسيست. وهب تانـاتـوس هرقل حياة زوجة أدميتوس، فأعادها البطل العظيم إلى قصر زوجها.

وكـان أدميتـوس قد راح، بعد عودته من دفن زوجته، يبكي بلوعة خسارته التي لاتعوض. كان من الصعب عليه البقاء في القصر المهجور فإلى أين يذهب؟ إنه يحسد الموتى، إنه يكره الحياة، والموت يناديه. كل سعادته اختطفها تاناتوس، وحملهـا إلى مملكـة هادس. فأي شيء أصعب عليـه من فقـد زوجتـه المحبـوبة. ويأسف أدميتـوس لأن السيست لم تسمـح له أن يموت معها. إذن لكان الموت قد جمعهما، ولحصل هادس على روحين مخلصتين لبعضهما بدلاً من واحدة. ولعبرت هاتـان الـروحان اشير ونت معا. بغتة مثل هرقل أمام أدميتوس الحزين، كان يقود امـرأة من يدهـا، مدثـرة بغطاء. ويطلب هرقل من أدميتوس أن يترك هـذه المرأة، التي نالهـا بعـد صراع مريـر، لديه في القصر حتى عودته من تراقيا. لكن أدميتوس يرفض، ويـرجـو هرقـل أن يأخـذ هذه المرأة إلى أحد غيره. فقد كان من الصعب على أدميتوس أن يرى في قصره امرأة أخرى، بعد أن فقد تلك التي أحب. ويصر هرقل، حتى أنه يريد أن يقوم أدميتوس نفسه بادخال المرأة القصر. ولا يسمح لخدم أدميتـوس بمـلامستهـا. أخـيراً يقوم أدميتوس، الذي يجد نفسه عاجزاً عن رفض طلب صديقه، بأخذ المرأة من يدها، لكي يدخلها قصره. ويقول هرقل له:

ـ لقـد أخـذتهـا ياأدميتـوس! إذن فصنهـا. الآن بوسعـك أن تقول أن ابن زوس

صديق صدوق. انظـر إلى المـرأة. ألا تشبـه زوجتـك السيست؟ توقف عن الحزن! وافرح بالحياة من جديد.

وصاح أدميتوس، بعد أن رفع الغطاء عن المرأة:

- أيهـا الآلهـة العظـام، انهـا زوجتي، السيست! أوه كلا، إنـه مجرد خيالها، فهي تقف صامتة، لم تنبس ببنت شفة.

ويجيب هرقل:

- كلا، هذا ليس ظلاً. إنهـا السيسـت. لقـد غنمتهـا في صراع طاحن مع تانـاتـوس، حاكم الأرواح. ولسـوف تبقى صامتـة إلى أن تتحرر من ربقة آلهة العالم السفلي، بعد تقديم قرابين الكفارة لهم. لسوف تبقى صامتة إلى أن يحل الليـل ثلاث مرات محل النهـار، حينـذاك فقـط سوف تنطق. والآن وداعـاً ياأدميتـوس، كن سعيـداً، وتمسـك أبـداً بعـادة حسن الضيافة العظيمة، التي قدسها والدي زوس بنفسه.

وصاح أدميتوس:

- آه ياابن زوس العظيم، لقـد وهبتني سعـادة الحيـاة من جديـد. فكيف لي برد جميلك؟ ابق ضيفـاً عنـدي. ولسـوف آمـر بإحيـاء الاحتفـال بنصـرك في كل أملاكي، وبتقديم القرابين العظيمة للآلهة. فابق معي.

لكن هرقـل لم يبق عنـد أدميتـوس، فقد كان عليه أن ينفذ مهمة أورستيه، ويعود إليه بجياد الملك ديوميد.

نطـاق هيبـوليتا (المأثرة التاسعة): كانت مأثرة هرقل التاسعة رحلته إلى بلاد الأمازونيات في طلب نطاق الملكة هيبوليتا، وكان إله الحرب أريس قد أهدى هذا النطاق لهيبوليتا، فكانت ترتديه كدليل على سلطتها على جميع الأمازونيات. كانت أدميتـا، ابنـة أورستيه، وكاهنة الربة هيرا، تريد الحصول على هذا النطاق

مهما كان الثمن. ولتنفيذ رغبتها أرسل أورستيه هرقل في طلب النطاق. انطلق ابن زوس، بعد أن جمع ثلة صغيرة من الأبطال، في رحلته الطويلة على مركبه. لم يكن فصيل هرقل كبيراً، لكنه كان يضم الكثير من الأبطال الأماجد، بمن فيهم ثيسيوس بطل أتيكا.

كان أمام الأبطال طريق طويل. كان عليهم الوصول إلى أقصى شواطىء البحر الأسود، حيث كانت توجد بلاد الأمازونيات، وعاصمتها ثيموسكير. وفي طريقه رسا هرقل في جزيرة باروس[٥٩]. حيث كان يحكم أبناء مينوس. وفي هذه الجزيرة قتل أبناء مينوس اثنين من رفاق هرقل. وغضب هرقل من ذلك، فبدأ للحال الحرب ضد أبناء مينوس. وقد قتل الكثيرين من أهالي باروس. وساق الآخرين إلى المدينة، وضرب عليهم الحصار إلى أن أرسل له المحاصرون الرسل، وراحوا يرجونه أن يأخذ اثنين منهم بدلاً من القتيلين. وحينذاك رفع هرقل الحصار، وأخذ بدل القتيلين حفيدي مينوس ـ الكابوس وسفينيل.

بعد باروس وصل هرقل إلى ميزيا[٦٠] وملكها ليكوس، الذي أكرم وفادته. وعلى حين فجأة أغار ملك البيبريك على ليكوس. وقد تغلب هرقل مع فصيله على ملك البيبريك، وخرب عاصمته، وأعطى كل أرض البيبريك لليكوس. وقد أطلق الملك ليكوس على هذه البلاد اسم هيراكليوس تيمنا باسم هرقل. بعد ذلك تابع هرقل طريقه إلى أن وصل مدينة الأمازونات ـ ثيموسكير.

كانت شهرة ابن زوس وأعماله قد وصلت بلاد الأمازونات منذ عهد بعيد. ولذا فحين رسا مركب هرقل عند ثيموسكير خرجت الأمازونات برفقة ملكتهن لاستقبال البطل. رحن ينظرن بدهشة إلى ابن زوس العظيم، الذي كان يبرز بين رفاقه مثل الإله الخالد. وسألت الملكة هيبوليتا البطل:

ـ ألا قل لي ياابن زوس المجيد ماالذي قادك إلى مدينتنا؟ هل تحمل لنا السلم أم الحرب؟

فأجاب هرقل الملكة :

- لم آت أيتها الملكة إلى هنا مع قواتي بمحض إرادتي ، قاطعاً طريقاً طويلاً ، عبر البحر العاصف ، وإنما أرسلني أورستيه حاكم ميسين . إن ابنته أدميتا تريد الحصول على نطاقك ، هدية الإله آريس ، وقد كلفني أورستيه بالحصول على هذا النطاق .

لم يكن بوسع هيبوليتا أن ترد هرقل خائباً ، وكانت على استعداد لأن تعطيه النطاق طوعاً ، لكن هيرا عمدت ، رغبة منها في القضاء على هرقل ، الذي كانت تكرهه ، عمدت إلى تقمص هيئة إحدى الأمازونات ، واندست بين الجمهور ، وراحت تحاول إقناع المحاربات بالهجوم على قوات هرقل ، وقالت لهن :

- إن هرقل لايقول الحقيقة . إنما جاء إلى هنا بنية خبيثة : إن البطل يريد اختطاف ملكتكن هيبوليتا ، وجعلها أمة في داره .

صدقت الأمازونات هيرا . فامتشقن السلاح ، وهاجمن قوات هرقل . وفي طليعة قوات الأمازونات اندفعت آيلا . سريعة كالريح . وكانت أول من انقض على هرقل ، كالزوبعة العاصفة ، لكن البطل صد هجومها ، وجعلها تلوذ بالفرار .

لحق هرقل آيلا ، وصرعها بسيفه القاطع . وفي هذه المعركة سقطت أيضاً الأمازونة بروتويا ، بعد أن صرعت بيدها سبعة أبطال من مرافقي هرقل ، لكنها لم تنج من سهام ابن زوس . وانقضت على هرقل سبع أمازونات دفعة واحدة ، وكن وصيفات أرتيميس نفسها : ولم يكن يجاريهن أحد في فن رمي الرمح . وقمن ، وقد احتمين بالتروس ، بقذف رماحهن باتجاه هرقل ، لكن الرماح طاشت . وقد صرعهن هرقل جميعاً بهراوته . فرحن يتساقطن على الأرض الواحدة تلو الأخرى ، وسلاحهن يلمع . وقام هرقل بأسر الأمازونة ميلانيبه ، التي كانت على رأس القوات ، كما أسر أنتيوبه . اندحرت المحاربات القويات ، ولاذ جيشهن بالفرار ، وسقط الكثيرات منهن ، بأيدي الأبطال ، الذين راحوا يطاردونهن . افتدت هيبوليتا

ميلانيبه الجبارة بنطاقها، أما انتيوبه فقد حملها الأبطال معهم، وقد قدمها هرقل لثيسيوس مكافأة على بسالته. هكذاحصل هرقل على نطاق هيبوليتا.

هرقل ينقذ هزيونة ابنة لاوميدون: في طريق عودته من بلاد الأمازونات وصل هرقل إلى طروادة. وقد رأى الأبطال منظراً فظيعاً، حين رسا مركبهم عند الشاطيء غير بعيد عن المدينة. فقد رأوا هزيونة الحسناء، ابنة لاوميدون، ملك طروادة، مغلولة إلى صخرة عند شاطىء البحر. وكانت، مثلها مثل أندروميد، قد قدمت للوحش البحري ليفترسها. وكان بوزيدون قد سلط هذا الوحش على لاوميدون عقاباً له، بعد أن رفض أن يدفع له ولأبولون أجرة بناء أسوار طروادة. وكان زوس قد حكم عليهما بخدمة هذا الملك المغرور، الذي هددهما بقطع آذانهما، إن هما طالبا بالأجرة. فسلط أبولون الغاضب الطاعون الفظيع على كل أملاك لاوميدون. أما بوزيدون فأرسل عليه وحشاً راح يعيث فساداً في مختلف أرجاء طروادة. ولم يتمكن لاوميدون من إنقاذ بلاده من الكارثة الفظيعة إلا بعد أن ضحى بحياة ابنته. فقد اضطر مكرهاً لأن يقيد ابنته هزيونة إلى الصخرة قرب شاطىء البحر.

لم يكد هرقل يرى الفتاة المسكينة حتى قرر إنقاذها. وقد طالب أباها بأن يكافئه على إنقاذها بتلك الجياد، التي وهبها زوس قاذف الصواعق لملك طروادة كفدية لابنه غانيميد، الذي كان نسر زوس قد اختطفه وحمله إلى الأولمب. وافق لاوميدون على طلب هرقل. أمر البطل العظيم الطرواديين بإقامة حاجز على شاطىء البحر، ثم اختبأ وراءه. لم يكد هرقل يختبيء خلف الحاجز حتى خرج الوحش من البحر، وانقض على هزيونة، فاتحاً فمه الضخم. وبصيحة قوية اندفع هرقل من خلف الحاجز، وغمد سيفه ذا الحدين القاطعين عميقاً في صدر الوحش. انقذ هرقل هزيونة، وطالب لاوميدون بالمكافأة الموعودة. لكن الملك لم

يكن يريد التخلي عن الجياد الرائعة . فلم يعطها لهرقل ، حتى أنه طرده من طروادة وهـو يهدده . غادر هرقـل أمـلاك لاوميـدون ، وقد كظم غيظه في صدره . فلم يكن بمقدوره الآن الانتقام من الملك الذي خدعه ، لأن جيشه كان قليل العدد جداً ، ولأن أسـوار طروادة كانت منيعـة . ولم يكن بوسع هرقل أن يحاصر طروادة طويلاً ، فقد كان يريد الوصول بنطاق هيبوليتا إلى ميسين بأقصى سرعة .

بقـرات جيريـون (المأثـرة العاشرة) : لم يلبث هرقل بعد عودته من غزو بلاد الأمازونات ، أن انطلق لاجتراح مأثرة جديدة . فقد كلفه أورستيه أن يسوق إلى ميسـين بقرات جير يون ، ابن كريزاوور وكالير ويه الأوقيانوسية . كان الطريق إلى جير يـون بعيـداً ، فقـد كان على هرقـل أن يبلغ أقصى غرب الأرض ، تلك الأمـاكن التي ينـزل فيهـا إلـه الشمس الساطع هيليوس من السماء عند الغروب . انطلق هرقل لوحده . وقد اجتاز افريقيا ، عبر صحارى ليبيا القاحلة ، عبر بلدان الـبرابـرة المتوحشين ، إلى أن وصل أخيراً حدود الأرض . وهنا أرسى على جانبي المضيق البحري الضيق عمودين حجريين عملاقين تخليداً لذكرى مأثرته[٦١] .

وبعـد هذا اضطـر هرقـل للسفـر طويـلاً إلى أن وصـل شواطيء المحيـط الشائب . جلس البطل على الشاطىء عند مياه المحيط المصطخبة أبداً ، وغرق في التفكـير . فكيف له بالـوصـول إلى جزيـرة إيـريثيـا ، حيث كان جير يـون يرعى قطعـانه؟ كان النهار قد بدأ يميل إلى الغروب ، وهاقد ظهرت مركبة هيليوس تنحدر نحـو ميـاه المحيـط . كانت أشعـة هيليوس الساطعة تبهر بصر هرقل ، وشعر بوهج الغيـظ الـذي لايطاق . وفي ثورة غضبه وثب هرقل ، وامتشق قوسه الرهيب ، لكن هيليـوس لم يغضـب ، بل ابتسم للبطل ببشاشة ، فقد أعجب بشجاعة ابن زوس غير العادية . عرض هيليوس على هرقل الوصول إلى إيريثيا في القارب الذهبي ، الـذي كان يمتطيـه إلـه الشمس مع جيـاده ومركبته كل مساء وينتقل به من طرف

الأرض الغربي إلى طرفها الشرقي، حيث قصره الذهبي. وبكل جرأة وثب البطل، والذي سر بهذا العرض، إلى القارب الذهبي، فوصل سواحل إيريثيا بسرعة.

لم يكد يرسو في الجزيرة حتى أحس به الكلب الرهيب أورثروس، ذو الرأسين، وانقض على البطل، وهو ينبح. وبضربة واحدة من هراوته الثقيلة قتله هرقل. ولم يكن أورثروس وحده يحرس قطعان جيريون. فقد اضطر هرقل لأن ينازل المارد أوريتيون، راعي جيريون. وقد تغلب ابن زوس على المارد بسرعة، وساق بقرات جيريون نحو ساحل البحر، حيث كان قارب هيليوس الذهبي راسياً.

سمع جيريون خوار بقراته، فاتجه ناحية القطيع. ولم يكد يرى الكلب أورثروس والمارد أوريتيون قتيلين حتى انطلق في اثر خاطف القطيع، ولحق به على شاطىء البحر. كان جيريون وحشاً هائلاً: فقد كان له ثلاثة جذوع، ثلاث رؤوس، وست أيدي وست أرجل. وأثناء القتال احتمى بثلاثة تروس، ورمى خصمه بثلاثة رماح دفعة واحدة. لكن أثينا بالاس أخذت بيد هرقل. لم يكد هرقل يرى جيريون حتى رماه بسهمه القاتل، فانغرز السهم في عين أحد رؤوس جيريون. وقد تلا السهم الأول ثان فثالث. ثم لوح هرقل بهراوته، التي تحطم كل شيء، فأصابت جيريون كالصاعقة، وسقط على الأرض ميتاً هذا المارد، ذو الأبدان الثلاثة. نقل هرقل بقرات جيريون من أيريثيا على متن القارب الذهبي، ثم أعاد القارب لهيليوس.

لكن الكثير من المصاعب كان بانتظاره. فقد كان لابد من سوق البقرات إلى ميسين. وقد ساقها عبر اسبانيا كلها، وجبال البيرينيه، وبلاد الغال والألب وايطاليا. وفي جنوب ايطاليا، بالقرب من مدينة ديغيوم، خرجت إحدى البقرات من القطيع، واجتازت المضيق إلى صقلية. وهناك رآها ايريكس، ابن بوزيدون،

فضمهـا إلى قطيعـه . بحث هرقـل عن البقـرة طويـلاً . أخـيراً طلب من الإلـه هيبايستوس أن يحرس له القطيع ، أما هوفتوجه إلى صقلية ، وهناك عثر على بقرته في قطيـع الملك إيـريكس . لكن الملك لم يرغب باعـادتها إلى هرقل ، ولما كان واثقاً من قوته فقد دعا هرقل إلى القتال الفردي ، على أن تكون البقرة جائزة للفائز. لم يكن ايـريكس بمثل قوة خصم كهرقل . فقد ضغط ابن زوس على الملك بذراعيه الجبـارتـين وخنقـه . عاد هرقـل والبقـرة معـه إلى صقلية ، ثم تابع طريقه . وعلى سواحل البحر الايوني سلطت الربة هيرا الهياج على القطيع ، فاندفعت البقرات الهـائجـات في شتى الاتجاهات . وبصعوبة بالغة تمكن هرقل من الإمساك بالقسم الأكبر من البقرات في تراقيا ، وساقها أخيراً إلى أورستيه في ميسين . حيث قدمها أورستيه قرباناً للربة هيرا .

سيربـير Cerbére (المأثـرة الحـاديـة عشـرة)[٦٢] : ما إن عاد هرقـل إلى تيرانت حتى عمـد أورستيـه إلى إرسـاله في مهمة أخرى . وكانت تلك هي المأثرة الحادية عشرة ، التي كان على هرقل أن يجترحها في خدمة أورستيه . فقد كان عليه أن ينزل إلى مملكة هادس السفلى ، المظلمة والمليئة بالأهوال ، وأن يجلب لأورستيه من هنـاك الكلب الفظيـع سير بـير ، حارس العـالم السفـلي . كان لدى سير بـير ثلاث رؤ وس ، وعلى عنقه كانت تتلوى الأفاعي ، أما ذيله فكان ينتهي برأس تنين هائل الحجم . قصد هرقل لاكونيا ، وعبر الهوة المظلمة عند رأس ثينار[٦٣] هبط إلى ظلمـة العـالم السفـلي . ولـدى بوابـة مملكـة هادس شاهـد هرقل البطلين تيسوس وبير يفوس ، ملك تساليا . وكان الآلهة قد عاقبوهما فألصقوهما بصخرة ، لأنهما أرادا أن يخطفا برسفونة زوجة هادس ، وراح تيسيوس يتوسل لهرقل :

- أطـلق سراحي ياابن زوس العظيم : أنت ترى عذابي ا وأنت وحـدك القـادر على تخليصي منه .

مد هرقل يده لتيسيوس وحرره. وحينما هم بتخليص بير يفوس مادت الأرض، فأدرك هرقل أن الآلهة لايريدون خلاصه. رضخ هرقل لمشيئة الآلهة، وتابع طريقه عبر ظلمة الليل الأبدي. وكان الذي أدخل هرقل العالم السفلي هو هرمس، رسول الآلهة، وناقل أرواح الموتى، أما رفيقة البطل فكانت أثينا بالاس نفسها، ابنة زوس الحبيبة. حين وطئت قدما هرقل مملكة هادس تطايرت أشباح الموتى رعباً. وحده شبح البطل ملياغروس لم يهرب لدى رؤية هرقل، بل راح يتوسل إلى ابن زوس:

- لست أسألك ياهرقل العظيم إلا شيئاً واحداً، تخليداً لصداقتنا: إرثِ لاختي ديجانير الحسناء، التي تيتمت، فقد أصبحت وحيدة، ليس لديها من يحميها بعد وفاتي. هلا أخذتها لك زوجة أيها البطل العظيم. كن حامياً لها.

وعد هرقل بتحقيق رجاء صديقه، ثم تابع طريقه في طلب هرمس. وقد وقف للقاء هرقل شبح الغورغونة ميدوزا الفظيعة، التي مدت يديها النحاسيتين نحوه متوعدة، ورفرفت بجناحيها الذهبيتين، وتحركت الأفاعي على رأسها. وضع البطل الصنديد يده على قبضة سيفه، لكن هرمس أوقفه قائلاً:

- لاداعي للسيف ياهرقل، فهذا مجرد شبح لا جسم له، وهو لايشكل أي خطر عليك.

الكثير من الأهوال صادف هرقل في طريقه، إلى أن مثل أخيراً أمام عرش هادس. وراح حاكم مملكة الموتى وزوجته برسفونة ينظران بكل إعجاب إلى ابن زوس قاذف الصواعق، الذي تجرأ فهبط إلى مملكة الظلام والأحزان. كان هرقل يقف بعظمة ورباطة جأش أمام عرش هادس، مستنداً إلى هراوته الضخمة، مرتدياً جلد الأسد، الملقى على كتفيه، وقد علق قوسه على كتفه. رحب هادس بابن زوس، وسأله عما دفعه إلى مغادرة ضوء الشمس، والنزول إلى مملكة الظلام. فأجاب هرقل، وهو ينحني أمام هادس:

- لايغضبنك طلبي ياهادس العظيم، ياحاكم أرواح الموتى، والقادر على كل شيء. أنت تعرف إنني لم آت مملكتك بمحض إرادتي، وليس بإرادتي سوف أطلب منك. اسمح لي أيها الملك هادس أن أنقل إلى ميسين كلبك سير بير ذا الرؤوس الثلاث. لقد أمرني بالقيام بذلك أورستيه، الذي أخدمه بمشيئة آلهة الأولمب المشرقين.

ورد هادس على البطل:

- لسوف ألبي طلبك يابن زوس، لكن عليك أن تروض سير بير بدون سلاح. واذا ماروضته سمحت لك بأخذه إلى أورستيه.

أمضى هرقل وقتاً طويلاً في البحث عن سير بير في العالم السفلي إلى أن عثر عليه أخيراً على ضفاف نهر أشير ون. لف هرقل ذراعيه حول عنق سير بير، فأطلق كلب هادس عواء مخيفاً، وامتلأ العالم السفلي كله بعوائه. كان يحاول جاهداً التملص من بين ذراعي هرقل، لكن يدي البطل الجبارتين زادتا من الضغط على عنق سير بير. لف سير بير ذيله حول ساقي هرقل، غرز رأس التنين أسنانه في جسمه، لكن دون جدوى. فقد كان هرقل الجبار يزيد من ضغطه على عنق سير بير أقوى فأقوى. أخيراً سقط كلب هادس نصف مخنوق عند قدمي البطل. قاده هرقل، بعد أن روضه، من مملكة الظلام إلى ميسين. وقد خاف سير بير من ضوء النهار، وتصبب كل جسمه عرقاً بارداً، وراح الزبد السام ينقط من أحناكه الثلاثة على الأرض، وفي كل مكان كانت تسقط فيه، ولو نقطة واحدة، كانت تنبت الأعشاب السامة.

قاد هرقل سير بير إلى أسوار ميسين. ودب الذعر في قلب أورستيه الرعديد من مجرد إلقاء نظرةواحدة على الكلب المخيف. وكاد يركع أمام هرقل، وهو يتوسل إليه أن يعيد سير بير إلى مملكة هادس. وقد نفذ هرقل طلبه، وأعاد لهادس حارسه الرهيب.

تفـاحات الهسبيريدات (المأثرة الثانية عشرة) : كانت المأثرة الأصعب، التي اجـترحهـا هرقـل في خدمة أورستيه مأثرته الأخيرة، الثانية عشرة. كان على هرقـل أن ينطلق قاصـداً المارد الجبار أطلس، الذي يحمل قبة السماء على كتفيه، والحصـول على ثلاث تفـاحـات ذهبيـة من حديقتـه، التي كانت تحرسهـا بنـاتـه الهسبيريدات. كانت هذه التفاحات تنمو على شجرة ذهبية، زرعتها ربة الأرض غايـا هديـة لهيرا في يوم زفـافهـا إلى زوس. ولإنجاز هذه المأثرة كان لابد قبل كل شيء من معرفة الطريق إلى حدائق الهسبيريدات، التي يحرسها تنين لاتغمض له عين.

لم يكن أحـد يعـرف الطـريق إلى الهسبـيريـدات وإلى أطلس. وقد طاف هرقـل طويـلاً عبر آسيـا وأوروبـا. ومـر على كل البلدان، التي سبق أن مر بها في طريقه لجلب بقرات جيريون، وفي كل مكان كان هرقل يسأل عن الطريق المؤدي إلـى حدائـق الهسبـيريـدات. وصـل هرقـل إلى أقصى الشمـال، وإلى نهر إيريدان[64]. بمياهه السريعة، التي لاحدود لها. وعلى ضفاف إيريدان استقبلت الحـوريـات الحسنـاوات ابن زوس بالـترحـاب ونصحنـه كيف يكتشف الطـريق المؤدي إلى حدائق الهسبيريدات. كان على هرقل أن يفاجيء العراف البحري الشيخ نيريوس، لدى خروجه إلى الشاطيء من لجة البحر، ويعرف منه الطريق إلى الهسبـيريـدات، فلم يكن أحـد باستثناء نيريوس يعرف هذا الطريق. بحث هرقـل عن نيريـوس طويـلاً، إلى أن تمكن أخـيراً من العثـور على الشيـخ على شاطيء البحر. انقض هرقل على الإله البحري، كان الصراع معه صعباً. ولكي يتحرر من ذراعي هرقل الحديديتين تقمص نيريوس مختلف الهيئات، لكن البطل لم يتركه. وأخيراً تمكن من ربط نيريوس المنهك، ومن أجل الحصول على الحرية اضطـر إلـه البحـر إلى الكشف لهرقـل عن سر الطـريق المؤدي إلى حدائق

الهسبيريدات. وما إن اكتشف ابن زوس هذا السر حتى أطلق سراح الشيخ البحري، وانطلق في رحلته البعيدة.

ومن جديد اضطر لعبور ليبيا، وهنا التقى المارد أنتايوس، ابن بوزيدون، إله البحار وغايا ربة الأرض. كان أنتايوس يرغم جميع المسافرين على قتاله، وكان يقتل دون رحمة كل من كان يتغلب عليهم في القتال، وقد طالب المارد هرقل أن ينازله. ولم يكن بالامكان التغلب على أنتايوس في القتال الفردي دون اكتشاف مصدر القوة الجديدة، التي كان أنتايوس يحصل عليها أثناء القتال. وكان السر هو التالي: حين كان أنتايوس يشعر أنه بدأ يضعف كان يلامس الأرض ــ أمه ـ فتتجدد قواه. التي كانت ترفده بها أمه، ربة الأرض العظيمة. لكن كان يكفي أن يفصل أنتايوس عن الأرض، ويرفع في الجو حتى تتلاشى قواه. استمر الصراع بين هرقل وأنتايوس طويلاً، وكان هرقل قد ألقاه على الأرض عدة مرات، لكن في كل مرة كان أنتايوس يزداد قوة. وفجأة رفع هرقل الجبار أنتايوس في الجو عالياً، فتلاشت قوى ابن غايا، وتمكن هرقل من خنقه.

وتابع هرقل طريقه، فوصل إلى مصر. وهناك استلقى، منهكاً من وعثاء السفر، في ظل نخيلة صغيرة على ضفاف النيل. وأثناء نومه رآه بوزيريس، ملك مصر، ابن بوزيدون وليزاناسا، ابنة ايبافوس، فأمر بشد وثاق البطل النائم. كان يريد أن يقدم هرقل قرباناً لأبيه زوس. فقد مرت تسع سنوات عجافاً على مصر، وكان العراف فرازيوس، الذي جاء من قبرص، قد تنبأ أن القحط سيتوقف في حال قيام بوزيريس بالتقرب لزوس بأحد الأجانب سنوياً. أمر بوزيريس بالقبض على فرازيوس، فكان القربان الأول، ومنذ ذلك الحين راح هذا الملك الظالم يقدم لقاذف الصواعق القرابين من جميع الأجانب الذين يؤمون مصر. واقتيد هرقل إلى المذبح، لكن البطل العظيم مزق الحبال التي كان قد ربط بها، وقتل عند المذبح بوزيريس نفسه وابنه أمفيدامنت. هكذا عوقب ملك مصر الظالم.

وبعـد ذلـك صادف هرقل الكثير من الأخطار في طريقه إلى أن وصل نهاية الأرض، حيث كان يقف أطلس الجبار. وراح البطل ينظر ذاهلاً إلى المارد الجبار. الذي يحمل قبة السماء كلها على كتفيه العريضتين.

وخاطبه هرقل بقوله:

- أيهـا المـارد العظيم أطلس، إنني هرقـل، ابن زوس. أرسلني إليـك أورستيه، ملك ميسـين الغنيـة بالذهب، وقد أمرني أورستيه أن آخذ منك ثلاث تفاحات ذهبيات من الشجرة الذهبية في حدائق الهيسبير يدات.

ورد أطلس:

- سوف أعطيـك ثلاث تفـاحـات يا ابن زوس. وبينما سأذهب لجلبهـا سيكـون عليك أن تقف مكاني، وتحمل قبة السماء على كتفيك.

وافق هرقل، وحل محل أطلس، فأحس بثقل لا يصدق على كاهله. لكنه بذل قصـارى جهـده، وتمكن من حمل قبـة السـماء. كان الثقـل يضغط بقوة على كتفي هرقـل الجبـارتـين. وقـد انحنى تحت ثقـل السماء، وانتفخت عضلاته مثل الجبـال، ومن شدة التـوتر غطى العرق كل جسمه. لكن قواه غير البشرية ومعونة الـربـة أثينـا مكنتـه من حمل قبـة السـماء إلى حين عودة أطلس حامـلاً التفـاحـات الذهبيات الثلاث. وقال أطلس للبطل بعد عودته:

- هاك التفاحات الثلاث يا هرقل، ويمكن أن أنقلها بنفسي إلى ميسين إذا كنت تريد، أما أنت فابق حاملاً قبة السماء إلى حين عودتي، وبعد ذلك أعود إلى مكاني.

أدرك هرقـل دهـاء أطلس، وأدرك أن المـارد يريـد أن يتحرر نهائياً من عمله القاسي، فاستخدم الدهاء ضد الدهاء.

وأجاب هرقل:

ـ حسن ياأطلس، إنني موافق، لكن اسمح لي أولاً أن أصنع لنفسي وسادةأضعها على كتفي لكي لاتضغط عليهما قبة السماء بهذه الفظاعة.

عاد أطلس إلى مكانه من جديد وألقى بثقل قبة السماء على كاهله. أما هرقل فقد رفع قوسه وجعبة سهامه، وأخذ هراوته والتفاحات الذهبيات وقال:

ـ وداعاً ياأطلس. لقد حملت قبة السماء بينما ذهبت أنت في طلب تفاحات الهيسبير يدات، ولست أريد أن أحمل إلى الأبد ثقل السماء كله على كتفي.

بهذه الكلمات غادر هرقل المارد، واضطر أطلس أن يعود إلى حمل قبة السماء على كتفيه الجبارتين، كما في السابق. أما هرقل فقد عاد إلى أورستيه، وأعطاه التفاحات الذهبيات، لكن أورستيه أهداها له، فقدمها بدوره لحاميته، ابنة زوس ـ أثينا بالاس. وقد أعادت أثينا التفاحات للهيسبير يدات لكي تبقى في حدائقهن إلى الأبد.

بعد مأثرته الثانية عشرة تحرر هرقل من خدمة أورستيه، وأصبح بمقدوره الآن أن يعود إلى طيبة، ذات البوابات السبع. لكن ابن زوس لم يمكث هناك طويلاً، فقد كانت تنتظره مآثر أخرى. وبعد أن أعطى زوجته ميغارا زوجة لصديقه إيولاس عاد إلى تيرنس من جديد.

لكن لم تكن الانتصارات وحدها بانتظاره، فقد صادفته المصائب الفادحة أيضاً، لأن الربة هيرا ظلت على عهدها في ملاحقته.

هرقل وأوريتوس: كان الملك أوريتوس يحكم مدينة أوشاليا في جزيرة أيثبيا. وقد اشتهر أوريتوس في جميع أرجاء اليونان كأفضل رام بالقوس. فقد تتلمذ على يد أبولون، قاذف السهام نفسه، الذي أهداه القوس والسهام. وكان قد سبق لهرقل في شبابه أن تعلم الرمي بالقوس على يدي أوريتوس. وكان أوريتوس قد أعلن أنه سيزوج ابنته يول للبطل الذي يتغلب عليه في الرمي بالقوس. وكان

هرقـل، الـذي أنهى لتـوه خدمتـه لدى أورستيـه قد قصـد أوشاليا، حيث اجتمع العديد من أبطال اليونان، واشترك في المباراة. تغلب هرقل على الملك أوريتوس بسرعة، وطالبه بأن يعطيه يول زوجة له. لكن أوريتوس لم ينفذ وعده. وقد نسي عادة حسن الضيـافـة المقـدسـة، فراح يسخـر من البطل العظيم. وقال له أنه لن ..وج ابنتـه بمن كان عبـداً لاورستيـه. وأخـيراً طرد أوريتوس وأبناؤ ه المغرورون هرقـل، الـذي ثمل أثناء المأدبة، من القصر، لابل ومن أوشاليا. غادر هرقل إثبيا وهو في غاية الحزن لأنه وقع في حب يول. وقد عاد إلى تيرنس وفي قلبه غصة من أوريتوس الذي أهانه.

وبعـد مرور بعض الـوقت قام أفتـوليكـوس، ابن هرمس، وأحـد أكثـر اليـونـانيـين مكـراً، باختطـاف قطيـع أوريتـوس. وقـد اتهم أوريتوس هرقل بهذه السـرقـة. كان ملك أوشـاليـا يعتقد أن هرقل اختطف قطيعه رغبة منه في إهانته. وحـده إيفيتـوس، ابن أوريتـوس البكـر، لم يصدق أن هرقل خطف قطيع والده. حتى أن إيفيتـوس تطـوع للبحث عن القطيـع، فقـط بهدف الـبرهان على براءة هرقـل، الـذي كانت تربطـه به أواصـر صداقـة متينـة. وفي أثنـاء البحث وصـل إيفيتوس إلى تيرنس، استقبل هرقل صديقه بالترحاب، وفي ذات يوم، وبينما كانا واقفين وحيدين فوق أسوار قلعة تيرنس، التي شيدت على الصخور، سيطر على هرقـل فجأة سخـط مجنـون، سلطته عليه الربة هيرا. وفي ثورة غضبه تذكر هرقل تلك الإهـانـة التي وجههـا له أوريتـوس وأبنـاؤ ه، فخـرج عن طوره، وأمسـك بإيفيتـوس، وألقى به من فوق سور القلعـة، فتحطم ايفيتـوس المسكـين. وبهـذه الجريمة التي ارتكبها هرقل ضد إرادته أثار غضب زوس، لأنه انتهك عادة حسن الضيافة المقدسة. وأخل بقدسية عرى الصداقة. وقد سلط زوس قاذف الصواعق مرضاً عضالاً على ابنه عقاباً له.

استمـرت معـانـاة هرقـل طويـلاً. وأخيراً، وبعد أن أضناه المرض، قصد

دلفي ليسأل أبـولـون كيف له بالتخلص من عقاب الآلهة، لكن عرافة دلفي لم تعطه جوابـاً. لا بـل إنهـا طردت هرقـل من المعبـد لأنـه مدنس بالقتل. وقد عمد هرقل الغاضب إلى سرقة الحامل ثلاثي القوائم من المعبد، ومن على هذا الحامل كانت العـرافـة تعطي تنبؤاتهـا وقـد أغضب أبـولون بفعلته هذه، فجاء الإله ذو الشعر الذهبي إلى هرقل، وطالبه بإعادة الحامل، لكن هرقل رفض طلبه. ودار الصراع الطـاحن بين ولـدي زوس ـ الإلـه أبـولـون الخـالـد وهـرقل الفاني، والأعظم بين الأبطال. ولم يكن زوس يرغب في هلاك هرقل. فألقى من على الأولمب بصاعقته الساطعة بين ولديه، وأوقف الصراع بعد أن فرق بينهما. تصالح الأخوان وأعطت عرافة دلفي هرقل الجواب التالي:

- لن تحصـل على الشفـاء إلا بعـد أن تبـاع عبداً لثلاث سنوات. أما النقود التي ستدفع ثمناً لك فادفعها إلى أوريتوس فدية لولده إيفيتوس، الذي قتلت.

ومن جديـد كان على هرقـل أن يفقـد حريته. فقد بيع عبداً إلى أومغال، ملكـة ليـديـا وابنـة ايـاردانـوس. وقام هرمس نفسه بحمل المال، الذي دفع ثمناً لهرقـل، إلى أوريتـوس. لكن ملك أوشـاليا المغرور لم يقبل هذاالمال، وظل خصماً لهرقل كما في السابق.

هرقـل وديجـانير: بعـد أن طرد أوريتـوس هرقـل من أوشاليا قصد البطل العظيم مدينـة إيتـوليـا في كاليدونيا، حيث كان يحكم الملك أونوس Oenée. وقد جاءه هرقـل يطلب يد ابنتـه ديجـانـير، لأنـه وعـد ميليـاغـروس في مملكة الأشباح بالـزواج منهـا. وفي كاليـدونيـا التقى هرقـل خصماً رهيباً. فقد كان الكثيرون من الأبطـال يريـدون الحصـول على ديجـانـير، بمن فيهم إلـه النهـر أخيلووس. وأخيراً قرر أونوس أن ديجانير ستكون من نصيب من يفوز في المصارعة. وقد رفض

جميع الخطاب منازلة أخيلووس الجبار، ولم يوافق إلا هرقل. وقال أخيلووس لهرقل، إذ رأى تصميمه:

- تقول أنك ابن زوس والكمينة؟ أنت تكذب في أن زوس والدك.

وراح أخيلووس يهزأ من ابن زوس، ويعيره بأمه الكمينة. فنظر هرقل إلى أخيلووس نظرة صارمة مقطباً حاجبيه، وقدحت عيناه شرراً، ثم قال:

- إن يدي ياأخيلووس تخدمانني أفضل مما يخدمني لساني، فلتكن الغلبة لك قولاً، ولتكن لي فعلاً.

اقترب هرقل من أخيلووس بخطوة واثقة، وأحاطه بذراعيه القويتين. لكن أخيلووس الضخم ظل ثابتاً، ولم يستطع هرقل رميه، وكانت جهوده عبثاً. فقد ظل أخيلووس ثابتاً كالطود، لاتزعزعه أمواج البحر، التي لاتكف عن توجيه الضربات الصاخبة كالرعد له. ويشتبك هرقل وأخيلووس كأنهما ثوران اشتبكت قرونهما الملتوية ببعضها. ثلاث مرات هاجم هرقل أخيلووس، وفي المرة الرابعة أمسك البطل به من الخلف. وكما الجبل الثقيل جثم فوق إله النهر وألصقه بالأرض. وبالكاد استطاع أخيلووس، بعد أن بذل قصارى جهده، تحرير يديه اللتين غطاهما العرق. ومهما بذل من جهد فقد كان هرقل يضغط عليه بقوة متزايدة. وانحنى أخيلووس وهويئن، وتقوست ركبتاه، ولامس رأسه الأرض نفسها. وتفادياً للهزيمة لجأ أخيلووس إلى المكر فقد تحول إلى أفعى. ولم يكد أخيلووس يتحول إلى أفعى، ويتملص من يدي هرقل، حتى صاح الأخير ضاحكاً:

- مذ كنت في المهد تعلمت قتال الأفاعي، صحيح أنك تبز الأفاعي الأخرى ياأخيلووس، لكن أين أنت من هيدرا ليرن، التي تغلبت عليها، على الرغم من أنه كان ينبت لها رأسان بدلاً من كل رأس مقطوع.

أمسك هرقل عنق الأفعى بيديه، وراح يضغط عليه بهما كأنهما كماشتان

حديديتان. وقد حاول أخيلووس أن يتخلص من قبضة البطل، لكنه لم يتمكن. وحينذاك تحول إلى ثور، وانقض على هرقل. وأمسك هرقل بالثور أخيلووس، وطرحه أرضاً. لقد رماه هرقل بقوة هائلة لدرجة أنه كسر أحد قرنيه. لقد اندحر أخيلووس، وأعطى أونوس ديجانير زوجة لهرقل.

بعد الزفاف بقي هرقل في قصر أونوس، لكنه لم يمكث لديه طويلاً. ففي ذات مرة ضرب هرقل أثناء المأدبة أونوموس، لأن الصبي صب له على يديه الماء المخصص لغسل القدمين. وكانت الضربة قوية لدرجة أن الولد سقط ميتاً. وعلى الرغم من أن والد الصبي صفح عن هرقل لأن القتل لم يكن عمداً. فقد غادر البطل كاليدونيا برفقة زوجته ديجانير قاصداً تيرنت.

في طريقه وصل هرقل مع زوجته إلى نهر ايفينوس(٦٥). وكان القنطور نيسوس ينقل على ظهره العريض المسافرين عبر مياه هذا النهر الصاخبة وذلك لقاء أجرة. وقد عرض على هرقل أن ينقل ديجانير إلى الضفة الأخرى، فقام البطل بوضعها على ظهر القنطور. أما البطل فقد قذف بالهراوة والقوس إلى الضفة الأخرى. ثم قطع النهر السريع. خرج هرقل إلى الضفة، وفجأة سمع صرخة قوية أطلقتها ديجانير. كانت تستنجد بزوجها. فقد أراد القنطور، الذي أسرته بجمالها، أن يخطفها، وصرخ ابن زوس بنسيوس متوعداً.

- إلى أين تهرب؟ أوتظن أن قدميك ستنقذانك؟ كلا، لن تنجو، مهما كنت سريعاً فإن سهمي سيصيبك لا محالة.

شد هرقل قوسه، وانطلق السهم القاتل من الوتر المشدود. أصاب السهم نسيوس، واخترق ظهره، ونفذ بنصله عبر صدر القنطور. سقط نسيوس على ركبتيه جريحاً، وراح الدم يتدفق من جرحه جدولاً، مختلطاً بسم هيدرالير ن. ولم يرغب نسيوس في أن يموت دون أن ينتقم لنفسه، فقام بجمع دمه، وأعطاه لديجانير قائلاً:

- إنـك ياابنـة أونـوس آخـر من نقلت عبر ميـاه ايفينوس السريعة، فهاك دمي، خذيـه واحتفظي به. وإذا ماتخلى هرقـل عن حبـك فإن هذا الـدم سيعيد لك حبـه، ولن تكـون هنـاك امـرأة أغلى عليه منك، كل ماعليك هو أن تفركي به ثياب هرقل.

أخـذت ديجـانـير دم نسيوس، وخبأته. ومات نسيوس. أما هرقل وديجانير فقد وصلا تيرنس، وعاشا فيها إلى أن أرغما على مغادرة هذه المدينة المجيدة نتيجة قيام هرقل بقتل صديقه ايفيتوس عن غير قصد.

هرقـل وأومغـال: بيـع هرقـل في سوق النخـاسـة لملكـة ليـديا أومغال، قصاصاً له على قتل ايفيتوس. ولم يسبق أن عانى هرقل من المصاعب مثلما عانى أثنـاء خدمتـه لدى ملكـة ليـديـا المغـرورة. وقد تحلى أعظم الأبطال بالصبر على إذلالها له باستمرار. وكان يبدو وكأن أومغال تتلذذ بالتهكم من ابن زوس. وكانت تلبس هرقـل ثيـاب النساء، وترغمه على الغزل والحياكة مع خادماتها. كان على البطـل، الـذي صرع هيـدرا ليرن بهراوتـه الثقيلة، البطـل الذي أحضر سير بير الفظيـع من مملكـة هادس، والذي خنق بيديه أسد نيمن، والذي حمل كاهله ثقل قبـة السـماء، الـذي كان مجرد ذكـر اسمـه يجعـل أعداءه يرتجفون، كان على هذا البطـل أن يجلس مقـوس الظهـر خلف النـول، أو يغـزل الصـوف بيـديه، اللتين اعتـادتـا استخـدام السيف القاطع. وشد وتر القوس وصرع الاعداء بهراوته. أما أومغال فكانت ترتدي جلد الأسد، الذي كان يرتديه هرقل، فكان يغطيها كلها، وتجـره على الأرض خلفهـا، كما كانت ترتـدي درعـه الـذهبي. وتتمنطق بسيفه، وبكـل صعـوبـة تحمل هراوة البطل على كتفها، ثم تقف أمام ابن زوس، وتروح تسخر منه باعتباره عبداً لها. كان يبدو وكأن أومغال كانت تسعى جاهدة من أجل

إخماد جذوة القوة المتأججة لدى هرقل. وكان على هرقل أن يتحمل كل شيء: فقد كان عبداً لأومغال، وكان يجب أن يستمر هذا ثلاث سنوات بحالها.

لم تكن أومغال تسمح للبطل بمغادرة قصرها إلا فيما ندر. وفي إحدى المرات غادر هرقل قصر أومغال، وأخذته سنة من النوم في ظل خميلة في ضواحي أفسس[٦٦].

وفي أثناء نومه تسلل إليه الأقزام، وهموا بسرقة سلاحه، لكن هرقل استيقظ في نفس اللحظة التي أمسك فيها الأقزام بقوسه وسهامه. وبعد أن قبض هرقل عليهم قيد أيديهم وأرجلهم، ووضعهم مقيدين على عصا طويلة. ثم حملهم إلى أفسس. لكن الأقزام أضحكوا هرقل بحركاتهم مما جعله يطلق سراحهم.

وفي أثناء عبوديته لدى أومغال جاء هرقل إلى أوليس[٦٧]. حيث يحكم الملك سيلوس، الذي كان يرغم جميع الأجانب القادمين إليها على العمل في مزارع الكرمة لديه، وكأنهم له عبيد. وقد أرغم هرقل بدوره على العمل. لكن البطل الغاضب اقتلع كل أشجار الكرمة لدى سيلوس، وقتل الملك الذي لم يحترم تقليد حسن الضيافة المقدس. وفي فترة العبودية لدىأومغال شارك هرقل في حملة الأورغونيين[٦٨]. وأخيراً انتهت فترة القصاص، وعاد ابن زوس العظيم حراً طليقاً.

هرقل يفتح طروادة: لم يكد هرقل يتحرر من عبوديته لدى أومغال حتى جمع جيشاً كبيراً من الأبطال، وأبحر به على ثماني عشرة سفينة نحو طروادة، بغية الانتقام من الملك لاوميدون الذي خدعه. ولدى بلوغه طروادة ترك حراسة السفن لفصيل صغير برئاسة أويكلوس، بينما تحرك بقواته الباقية نحو أسوار طروادة، ولم يكد هرقل ينصرف حتى أغار لاوميدون على أويكلوس فقتله، وقضى على كل فصيله تقريباً. وحين سمع هرقل بضجيج المعركة لدى السفن عاد، ودحر

لاوميدون، وزربه في طروادة. لم يستمر حصار المدينة طويلاً، وكان تيلامون أول من دخلها ولم يستطع هرقل تحمل أن يسبقه أحد، فانقض على تيلامون ممتشقاً سيفه، وإذ رأى تيلامون أن نهايته أصبحت وشيكة انحنى بسرعة، وراح يجمع الأحجار. فسأله هرقل مستغرباً:

- ماهذا الذي تفعل ياتيلامون؟
- انني ياابن زوس العظيم أبني مذبحاً لهرقل المظفر. ـ بهذا الجواب استطاع تيلامون الماكر كبح جماح غضب ابن زوس.

وفي أثناء الاستيلاء على المدينة قتل هرقل بسهامه لاوميدون وجميع أبنائه ماعدا بريام (بودارسيس)، الذي رحمه البطل، أما ابنة لاوميدون الحسناء، هزيونة، فقد أعطاها زوجة لتيلامون الذي تميز باقدامه، وأذن لها أن تختار أحد الأسرى ليطلق سراحه. فاختارت أخاها بريام.

وصاح هرقل:

- إن عليه أن يكون عبداً قبل الجميع، وإذا مادفعت فدية عنه سوف يطلق سراحه.

نزعت هزيونة خمارها عن رأسها، وقدمته فدية عن أخيها. ومنذ ذلك الحين أصبح بودارسيس يعرف باسم بريام (أي من تم شراؤه). وقد سلمه هرقل مقاليد السلطة على طروادة، أما هو فغادرها مع جيشه.

بينما كان هرقل عائداً عبر البحر من طروادة سلطت عليه الربة هيرا عاصفة هوجاء، بهدف القضاء على ابن زوس الذي تكره. ولكي لايرى زوس الخطر المحدق بولده طلبت هيرا من هيبنوس، إله النوم، أن ينوم زوس حامل الترس. وقد دفعت العاصفة بهرقل إلى جزيرة كوس[٦٩].

اعتقد سكان كوس أن مركب هرقل قرصني فلم يسمحوا له بالرسو إلى الشاطىء، وراحوا يرمونه بالأحجار. وتحت جنح الظلام نزل هرقل على الجزيرة،

وقهر سكان كوس، وقتل ملكهم ايفريبيلوس ابن بوزيدون، وحول الجزيرة الى خراب.

حين استيقظ زوس استبد به الغضب، بعد أن عرف أي خطر كان يتهدد ابنه هرقل. وفي ثورة غضبه قيد هيرا في أصفاد ذهبية لاسبيل إلى كسرها، وعلقها بين السماء والأرض، بعد أن ربط إلى قدميها سندانين ثقيلين. وكان زوس الرهيب في غضبه يرمي من على الأولب العالي بكل أولبي يريد أن يقدم المساعدة لهيرا. وقد بحث طويلاً عن هيبنوس، وكان من شأن رب الأرباب والفانين أن يقذف به بدوره عن الأولب، لولا أن ربة الليل خبأت إله النوم.

هرقل يقاتل المردة: أرسل زوس ابنته المحبوبة أثينا بالاس إلى هرقل في جزيرة كوس تستنجد بالبطل العظيم لمجابهة المردة. وكانت الربة غايا قد أنجبتهم من قطرات دم أورانوس، الذي أطاح به كرونوس. وكانوا عبارة عن عمالقة - عفاريت بأرجل على شكل أفاعي وشعر طويل منفوش.

وكان المردة يتمتعون بقوة هائلة، وكانوا فخورين بجبروتهم، ويريدون أن ينتزعوا من آلهة الأولب السلطة على العالم. وقد اشتبكوا في القتال مع الآلهة في سهول فليجر الواقعة في شبه جزيرة هلكين. ولم يكونوا يخشون آلهة الأولب، فقد زودتهم أمهم هيرا بعقار يجعلهم محصنين ضد أسلحة الآلهة. ولم يكن قتل المردة ممكناً إلا على أيدي الفانين، فلم تحصنهم غايا ضد سلاح الفانين. طافت غايا كل أرجاء العالم بحثاً عن العقار الكفيل بحماية المردة ضد سلاح الفانين، لكن زوس منع الربتين إيوس وسيلينه من نشر نورهما، كما حظر على هيليوس، إله الشمس الساطع، أن يضيء، وقام بقص الأعشاب الشافية.

خاض المردة غمار المعركة ضد الآلهة دون أن يخافوا الموت بأيدي الآلهة. راح

المردة يقذفون الآلهة بالصخور الضخمة وجذوع الأشجار المعمرة المشتعلة، وتردد هزيم المعركة في مختلف أرجاء العالم.

أخيراً جاء هرقل برفقة أثينا بالاس. ورن وتر القوس الرهيب، قوس ابن زوس، وومض السهم، المشبع بسم هيدرا ليرن، وانغرز في صدر الكيونوس، الأقوى بينهم. وسقط الكيونوس. لكنه لايمكن أن يموت على الأرض، فما دام يلامسها فهو خالد، وكان ما ان يسقط أرضاً حتى يعود بعد بعض الوقت أقوى مما كان. وضعه هرقل على كتفيه بسرعة، وحمله بعيداً عن شبه جزيرة باللين، وقد مات المارد خارج حدودها. بعد موت الكيونوس انقض المارد بورثير يون على هرقل وأثينا، وقد انتزع عن أثينا خمارها، وهم بالامساك بها، لكن زوس رماه على الأرض بصاعقته. فقام هرقل بقتله بأحد سهامه. أما المارد ايفيالتوس فقد فقأ ابولون عينه اليسرى بسهمه الذهبي، بينما قتله هرقل إذ أصاب سهمه عينه اليمنى. وصرع ديونيزوس ايفريتوس، أما المارد كليتيوس فقد صرعه هيبايستوس بعد أن رماه بقطعة كبيرة من الحديد المتوهج. وقامت أثينا بالاس بقلب كل جزيرة صقلية على المارد الهارب إينكيلادوس.

أما المارد بوليبوتوس فقد فر إلى جزيرة كوس، للنجاة عن طريق البحر من مطاردة بوزيدون مزلزل الأرض الرهيب. واستطاع بوزيدون أن يقطع بشاعوبه جزءاً من جزيرة كوس، ويرمي به بوليبوتوس، فتكونت جزيرة نيسيدوس. وصرع هرمس المارد هيبوليتوس، وأرتيميس المارد غراتيونوس، أما المويرات العظيمات فقد صرعن الماردين أغريوس وفونوس، اللذين حاربا بالهراوات النحاسية. أما كل من تبقى من المردة فقد صرعهم قاذف الصواعق زوس بصاعقته الساطعة، لكن موتهم جميعاً كان بسهام هرقل التي لاتخطيء.

حين بيع هرقل عبداً لأومغال، بعد قتل ايفيتوس، اضطرت ديجانير وأبناؤ ها إلى مغادرة تيرنس. وقد آواها سيكوس ملك مدينة تراشنا التسالية.

مرت ثلاث سنوات وثلاثة أشهر على فراق هرقل لديجانير. كانت زوجة هرقل قلقة على مصير زوجها. فلم تكن تتلقى عنه أخباراً. حتى أن ديجانير لم تكن تعرف ماإذا كان حياً يرزق. كانت الوساوس تعذب ديجانير. فاستدعت ولدها هيلوس وقالت له:

- ولدي الحبيب! إنه لمن العار أنك لاتبحث عن أبيك. وهاقد مرت شهور عديدة، ولم تأتنا منه أخبار.

فأجاب هيلوس:

- إذا كان بالامكان تصديق الاشاعات فإن والدي أمضى ثلاث سنوات عبداً لدى أومفال، وبعد انقضاء فترة العبودية سار على رأس جيش قاصداً مدينة أوشاليا في أثبيا، لينتقم من الملك أوريثوس بسبب إهانته له.

لكن أم هيلوس قاطعته بقولها:

- لم يسبق لي ياولدي أن شعرت بالقلق لدى انطلاق أبيك هرقل لاجتراح مآثره، كما شعرت المرة الأخيرة، حتى أنه ترك لي عند الوداع رَقّاً سجلت فيه النبوءة القديمة، التي أعطيت له في دودون[71]. وقد جاء فيها أنه إذا مابقي هرقل ثلاث سنوات وثلاثة أشهر في الغربة فإما أن يحيق به الموت، وإما أن يعيش بعد عودته إلى البيت حياة سعيدة وادعة. كما أوصاني هرقل لدى مغادرته بتوزيع أراضي الأسلاف إرثاً لأولاده في حال موته. إنني قلقة على مصير زوجي. فقد حدثني عن حصار أوشاليا، فقال أنه إما أن يموت تحت أسوارها، وإما أن يفتحها فيعيش سعيداً. كلا ياولدي أتوسل إليك أن تذهب، وتبحث عن أبيك.

ونزولاً عند رغبة أمه انطلق هيلوس إلى أثبيا البعيدة ليبحث عن أبيه.

بعد مرور بعض الوقت على سفر هيلوس من تراشنا أسرع إلى ديجانير من يبشرها بقدوم السفير ليشاس، وأنه جاءها حاملاً بشرى سارة: هرقل حي يرزق.

وقـد تغلب على أوريتـوس، ودمـر مدينة أوشاليا، وسيعود إلى تراشنا عما قريـ
حامـلاً المجـد والنصـر، وفي أعقـاب البشـير وصـل ليشـاس إلى ديجـانـير .
استقبلت ديجانير ليشاس ببهجة عارمة . أخبرها سفير هرقل أن سيده لايزال
ومعـافى ، وأنـه يستعـد للاحتفال بانتصاره، وسيقدم الضحايا السخية قبل مغـ
اثيبيا وقد لاحظت ديجانير وجود امرأة حسناء بين الأسرى فسألت ليشاس :

- اخبرني ياليشاس : من تكون هذه المرأة؟ من هو والدها ، ومن هي أمها؟ فـ
تتفجع أكثر من الآخرين . أليست ابنة أوريتوس نفسه؟

لكن ليشاس رد على زوجة هرقل :

- لست أعـرف أيتهـا الملكـة من تكون . لاشك أن هذه المرأة تنتسب إلى إحـ
العائلات الايثبية النبيلة . وفي الطريق لم تنبس ببنت شفة . وهي لاتكف تـذ
الدموع الحزينة منذ فارقت مدينتها .

وصاحت ديجانير :

- مسكينة . لن أضيف إلى مصيبتك عذاباً جديداً . هيا رافق الأسرى إلى الـقـ
ياليشاس ، ولسوف ألحق بك في الحال .

خرج ليشاس مع الأسرى إلى القصر. ولم يكد يخرج حتى دنا أحد الـ
من ديجانير، وقال لها :

- مهلاً أيتها الملكة، اصغي إلى ماسأقوله . لم يخبرك ليشاس بالحقيقة كلها .
يعرف هوية هذه المرأة، إنها يول، ابنة أوريتوس . ومن أجل حبه لها كان هـ
قد تبارز مع أوريتوس في الرمي بالقوس . لكن الملك المغرور لم يعطه ابنته زو
له ، بعـد أن تغلب عليـه ، كما وعـده ، وقـد أهـان البطـل العظيم ، وطرده
المـدينـة . ومن أجـل يول قام هرقـل الآن بالاستيلاء على أوشاليا ، وقتل المـ
أوريتوس . إن ابن زوس لم يرسل يول إلى هنا بصفة أمة ، بل يريد أن يتخـ
له زوجة .

اغتمت ديجانير، وراحت توبخ ليشاس لأنه أخفى عنها الحقيقة، ويعترف ليشاس أن هرقل واقع فعلاً في أسر جمال يول. وأنه يريد أن يتزوجها. وتروح ديجانير تندب حظها. فقد نساها هرقل أثناء هذا الفراق الطويل. إنه الآن يحب أخرى. فماذا تفعل المسكينة؟ فهي تحب ابن زوس العظيم، ولا تستطيع أن تتخلى عنه لأخرى. وتتذكر ديجانير، المفجوعة الدم الذي أعطاها إياه القنطور نيسوس، وماقاله لها قبيل موته. فقد قال لها: «افركي بدمي ثياب هرقل، ولسوف يبقى يحبك إلى الأبد، ولن تكون هناك امرأة أغلى عليه منك». خافت ديجانير من اللجوء إلى السحر، لكن حبها لهرقل، وخوفها من ضياعة ينتصران أخيراً على مخاوفها. فتأخذ دم نيسوس، الذي احتفظت به طويلاً في الوعاء لكي لاتقع عليه أشعة الشمس، ولكي لاتفسده نار الموقد. وتفرك ديجانير به الرداء الفاخر، الذي حاكته هدية لهرقل، وتضعه في صندوق محكم الاغلاق، وتنادي ليشاس، وتقول له:

- هيا ياليشاس وسافر على عجل إلى إيثبيا. واعط هرقل هذا الصندوق. إن فيه رداء. قل لهرقل أن يرتديه حين سيقدم القربان لزوس. وقل له أن لايسمح لأي فان أن يرتديه قبله، وأن لايدع حتى شعاع هيليوس الوضاء يلامسه قبل أن يرتديه. هيا عجل ياليشاس.

انطلق ليشاس حاملاً الرداء. وبعد سفره سيطر القلق على ديجانير. فذهبت إلى القصر، وياهول مارأت. فقد كان الصوف، الذي فركت به الرداء بدم نيسوس قد تحول إلى رماد. فرمت ديجانير بهذا الصوف على الأرض. وحين سقطت أشعة الشمس عليه تسخن دم القنطور المشبع بسم هيدا لير ن. وتسخن سم هيدرا مع الدم، فتحول الصوف إلى رماد، وظهرت الرغوة السامة على الأرض، حيث كان الصوف. ولاتسل عن هلع ديجانير: لقد خافت أن يموت

هرقل حين يلبس هذا الرداء وكان الخوف من المصيبة الفادحة يعذب زوجة هرقل أكثر فأكثر.

لم يكن قد انقضى وقت طويل على سفر ليشاس إلى إثيبيا حاملاً الرداء المسموم حين دخل القصر هيلوس العائد إلى تراشنا. كان شاحب الوجه، والدمع يترقرق في عينيه. وصاح إذ رأى أمه:

- كم كان بودي أن أرى واحداً من ثلاثة: إما أن لاتكوني في عداد الأحياء، وإما أن يكون من يناديك «أمي» شخص آخر غيري، وإما أن يكون عقلك أفضل مما هو عليه الآن. فلتعرفي أنك أهلكت زوجك. والدي.

وصاحت ديجانير بفزع:

- ياللمصيبة. ماهذا الذي تقول ياولدي؟ من من الناس أخبرك بذلك؟ كيف تستيطع أن تتهمني بمثل هذه الجريمة؟

- لقد رأيت عذاب والدي بأم عيني، ولم أعرف بذلك من الناس.

وراح هيلوس يروي لأمه ماحدث على جبل كانيون قرب مدينة أوشاليا: فبعد أن أقام هرقل المذابح، وهم بتقديم القرابين للآلهة، ولوالده زوس بالدرجة الأولى، وصل ليشاس ومعه الرداء، فارتدى هرقل هدية زوجته، وبدأ تقديم القرابين. كان مجموع ماقدم هرقل من قزابين مئة ثور، منها أثنا عشر ثوراً مختاراً للاله زوس. اشتعلت النار متوهجة على المذابح. وكان هرقل يقف خاشعاً، رافعاً يديه إلى السماء، متوسلاً إلى الآلهة. وقد دفأت النار، المتأججة على المذابح جسم هرقل، فراح العرق يتصبب منه، وعلى حين غرة التصق الرداء المسموم بجسم البطل. وتشنج كل جسمه، وأحس بالألم الفظيع. وفي معاناته الفظيعة نادى ليشاس وسأله لماذا جلب له هذا الرداء. فماذا كان بوسع ليشاس أن يجيب؟ لم يكن بوسعه أن يقول إلا أن ديجانير هي التي أرسلته ومعه الرداء. ودون أن يعي هرقل شيئاً من شدة الألم أمسك ليشاس بقدمه وضرب به الصخرة، التي كانت

أمـواج البحـر تصطخب من حولهـا . فكانت الضربة القاضية لليشاس ، أما هرقل فقـد وقـع على الأرض ، وراح يخبـط بألم لايـوصف . وقـد تردد صراخه بعيداً عبر إيثبيا . ولعن هرقل زواجه من ديجانير . ونادى البطل العظيم ولده ، وقال له ، وهو يئن ويتوجع :

- لاتفـارقني ياولـدي في شقـائي . حتى ولـو تهددك المـوت لاتفـارقني . أنهضني . احملني من هنا . احملني إلى حيث لايراني أي فان . إذا كنت تشعر نحوي بأي تأثر فلا تتركني أموت هنا .

رفعوا هرقل ، ووضعوه على نقالة ، ثم حملوه إلى المركب ، لكي ينقلوه إلى تراشنا . هذا ماورواه هيلوس لأمه ، وأنهى قصته بقوله :

- الآن سوف ترون ابن زوس العظيم هنـا . ربـما يكـون لايزال حياً . وربما يكون قد مات . ألا لتعـاقبـك ياأمي الايـرينـات القاسيات وديكه(٧٢) المنتقمة . فلقد أهلكت أفضـل من سبق للأرض أن حملت من النـاس . ولن تري أبـداً بطـلاً على غراره .

انصـرفت ديجـانـير إلى القصـر بصمت . وفي القصـر تنـاولت السيف ذا الحـدين ، وقـد رأتها المربية العجوز ، فأسرعت تنادي هيلوس ، وهرع هيلوس إلى أمه . لكنها كانت قد أغمدت السيف في صدرها . وارتمى الولد المسكين على صدر أمـه ، وهـو يبكي بصوت عال ، وعانقها ، وراح يمطر بقبلاته جسمها ، الذي دبت فيه البرودة .

وفي هذا الـوقت جيء بهرقـل المحتضر إلى القصر . وكان قد أخلد للنوم في الطـريق ، لكن ماإن أنـزلـوا النقالة على الأرض قرب مدخل القصر حتى استيقظ هرقل . ومن شدة الألم لم يكن البطل يعي شيئاً . وقد راح يصيح :

- في أي بلاد أنـا يازوس العظيم؟ أين أبطـال اليـونان؟ ساعدوني . فمن أجلكم طهـرت الأرض والبحـر من الـوحـوش والشر . أما الآن فلا أحد منكم يريد أن

يخلصني ، بالنار أو السيف القاطع ، من هذا العذاب الفظيع . وأنت ياهادس العظيم ، ياأخ زوس ، نومني ، نومني ، أنا المنحوس ، بالموت الخاطف .

ويتوسل إليه هيلوس باكياً :

- اسمعني ياأبي ، أرجوك . إن أمي لم ترتكب هذه الجريمة بإرادتها . ولم تكد تعرف أنها هي نفسها سبب هلاكك حتى أغمدت السيف في قلبها .

- أيها الآلهة ، إذن فقد ماتت ، ولم أستطع أن أنتقم منها . إذن فقد ماتت ديجانير الماكرة ، ولم يكن موتها على يدي !

ويقول هيلوس :

- لاجريرة لها ياأبي ! فما إن رأت أمي يول إبنة أوريتوس في دارنا حتى أرادت أن تستعيد حبك بعقار سحري . وقد فركت الرداء بدم القنطور نيسوس . الذي قتلته بسهمك دون أن تدري أن هذا الدم مشبع بسم هيدرا ليرن .

ويصيح هرقل :

- ياللمصيبة ! ياللهول ! إذن هكذا تحققت نبوءة والدي زوس ! لقد أخبرني أنني لن أموت بيد كائن حي ، وأنه كتب علي أن أموت بتدبير من نزل إلى مملكة هادس المظلمة . هكذا إذن اهلكني نيسوس الذي قتلت ! إذن هذا هو الهدوء الذي وعدني به الوحي في دودون ـ هدوء الموت . هذا صحيح فليس لدى الأموات هموم . هلا نفذت إرادتي ياهيلوس ! احملني مع أصدقائك الخلص إلى إيتنا[٧٣] العالي ، وجهز المحرقة على قمته ، ثم ضعني فوقها ، واشعل النار ، لكن هلا أسرعت في القيام بذلك ، هلا وضعت حدا لعذابي .

ويقول هيلوس لأبيه متوسلاً :

- رحماك ياوالدي ، هل يعقل أنك سترغمني أن أكون قاتلك !

- كلا لن تكون قاتلاً ، بل الشافي لعذابي ! ثم أن لدي رغبة أخرى ، فنفذها ـ اتخذ يول ، ابنة أوريتوس لك زوجة .

لكن هيلوس يرفض تنفيذ طلب أبيه ويقول:

- كلا ياوالدي. لاأستطيع الزواج بمن كانت السبب في هلاك والدتي.
- اخضع لإرادتي ياهيلوس، ولاتثر لدي العذاب الذي هدأ من جديد. دعني أموت بهدوء - راح هرقل يتوسل لولده بإلحاح.

رضخ هيلوس وأجاب أباه:

- حسناً ياأبي. لسوف أطيع وصيتك الأخيرة.

ويروح هرقل يستعجل ابنه، طالباً منه أن يسرع في تلبية رجائه الأخير.

- هيا عجل ياولدي، عجل وضعني على المحرقة قبل أن يبدأ من جديد هذا العذاب الذي لايطاق. احملوني! وداعاً ياهيلوس.

رفع هيلوس وأصدقاء هرقل الحمالة، ونقولوا هرقل إلى إيتنا العالي. وهناك أقاموا محرقة ضخمة، ووضعوا أعظم الأبطال فوقها. كان عذاب هرقل يشتد ويشتد، وكان سم هيدرا ليرن يزداد نفاذاً إلى جسمه. ويمزق هرقل الرداء المسموم عن جسده، وكان قد التصق بجسمه تماماً. ومع الرداء ينتزع هرقل قطعاً من جلده، فيصبح عذابه لايطاق. ولامنجاة من هذا العذاب الفظيع إلا بالموت. إن الهلاك في لهيب المحرقة لأسهل من تحمل هذا العذاب، لكن أحداً من أصدقاء البطل لايجرؤ على إضرام النار. أخيراً جاء إلي ايتنا فيلوكتيت[٧٤]، وقد أقنعه هرقل باشعال النار، وكافأه على ذلك بأن أهداه قوسه وسهامه، المشبعة بسم هيدرا. أضرم فيلوكتيت النار في المحرقة، فاشتعلت بلهب ساطع، وكانت صواعق زوس أكثر سطوعاً. وتردد في السماء هزيم الرعد. وعلى متن مركة ذهبية حطت عند المحرقة أثينا بالاس[٧٥]، يرافقها هرمس، ورفعا هرقل، أعظم الأبطال، إلى الأولب. وهناك استقبلته الآلهة، وأصبح هرقل رباً خالداً. ونسيت هيرا كراهيتها لهرقل، فزوجته بابنتها هيبيه Hébe، الربة الشابة دائماً. ومنذ ذلك الحين وهرقل يعيش على الأولب المشرق في محفل الآلهة الخالدين. وكان ذلك

مكافأة له على كل ماجترح من مآثر على الأرض، وعلى كل عذابه ومعاناته وآلامه .

الهرقـليـون Les Heraclides :

بعد موت هرقل عاش أبناؤه وأمه الكمينا في تيرنس لدى هيلوس ابن هرقل البكر. لكنهم لم يعيشوا هناك طويلاً. فمن شدة كراهيته لهرقل عمد أورستيه إلى طرد أولاد أعظم الأبطـال من أمـلاك والـدهم، وراح يتعقبهم في كل مكـان كانوا يحاولـون اللجـوء إليـه. تنقـل أولاد هرقل طويلاً في أرجاء اليونان. إلى أن آواهم يولاوس الكهـل، ابن أخ هرقـل وصـديقه لكن حقد أورستيه وصل إلى المساكين عنده، فاضطـروا لأن يهربـوا بصحبة يولاوس إلى أثينا حيث كان يحكم ديموفون ابن ثيسيوس.

ما إن عرف أورستيـه أن أولاد هرقـل قد التجأوا إلى أثينـا حتى أرسـل إلى هنـاك رسـولـه كوبـريثـوس يطـالـب ديموفون بتسليم الهرقليين، لكن ديموفون رد رسـول أورستيـه خائبـاً، ولم يخش التهـديد من أن يشن أورستيه هجوماً على أثينا بقوات هائلة، فيدمر المدينة. لم يكن ديموفون يريد انتهاك تقليد حسن الضيافة.

ولم يمض من الـوقت إلا القليـل حتى أغـار أورستيـه على أتيكـا بجيـوش جرارة. وكان على الاثينيين أن يخوضوا المعركة ضد أعداء يفوقونهم عدداً. وسألوا الآلهـة عن نتيجـة المعـركـة، فكشف لهم الآلهة أن النصر سيكون حليفهم فقط في حال قيـامهم بالتضحيـة للآلهة بإحدى الفتيات. وقد تطوعت ماكاريا، ابنة هرقل الكبرى من ديجانير، بأن تكون ضحية الآلهة. لقد قررت أن تضحي بحياتها من أجل إنقاذ أخوتها وأخواتها.

التقى الجيشـان في ساح المعـركـة. وقـد جاء هيلوس على رأس قوة من

المحاربين. فقد عثر على من ينجده ضد أورستيه. قبيل بدء المعركة قدمت ماكاريا قرباناً للآلهة. كانت المعركة طاحنة ودامية. وكان النصر للآثينيين. ولاذ أورستيه بالفرار، فاندفع هيلوس يطارد عدو أبيه على متن مركبة.

رأى ذلك يولاوس فأقنع هيلوس أن يتنازل له عن المركبة. فقد كان يولاوس الكهل، أحد أتراب هرقل، يريد أن ينتقم بنفسه لكل الأرزاء التي سلطها أورستيه على صديقه. انطلق يولاوس في المركبة مسرعاً. وهاهو يكاد يلحق بأورستيه. وراح يولاوس يتوسل إلى آلهة الأولمب. كان يصلي لهم أن يعيدوا له شبابه وقوته الغابرة ولو ليوم واحد. واستجاب الآلهة لتوسل يولاوس. فتدحرجت من السماء نجمتان ساطعتان، وحطت على مركبة يولاوس غيمة داكنة. وحين تلاشت الغيمة كان يولاوس يقف في المركبة بكل روعة شبابه، جباراً وجميلاً. أخيراً لحق يولاوس بأورستيه، وأمسك به.

عاد يولاوس إلى أثينا مظفراً، يقود أورستيه المقيد. وقد جن جنون الكمينا، أم هرقل، لدى رؤية عدو ولدها. وعلى الرغم من أن هيلوس وديموفون أرادا حماية أورستيه فإن الكمينا فقأت عينيه بيديها، وقتلته. ولم يترك الأثينيون عدوهم المهزوم بدون دفن، فقد دفن في أتيكا. لدى معبد أثينا بالاس.

سيكروبس، ايرختونيوس وايريختوس(٧٧):

كان سيكروبس، ابن الأرض، مؤسس أثينا وأكروبولها. وقد ولدته الأرض نصف أفعى ونصف إنسان. وكان جسمه ينتهي بذيل أفعى هائل. وقد أسس سيكروبس أثينا في أتيكا في الوقت الذي كان النزاع للسيطرة على البلاد كلها دائراً بين بوزيدون، إله البحر ومزلزل الأرض، وبين الربة المحاربة أثينا، ابنة زوس المحبوبة. ومن أجل فض هذا الخلاف اجتمع الآلهة كلهم برئاسة

زوس، قاذف الصواعق نفسه في إكروبول أثينا . وقد قام رب الأرباب والبشر بدعوة سيكروبس إلى المحكمة لكي يقرر لمن ستكون السلطة في أتيكا . وقد جاء سيكروبس شبه الأفعواني إلى المحكمة . قرر الآلهة أن يعطوا السلطة في أتيكا لمن يقدم للبلاد الهبة الأفضل . ضرب مزلزل الأرض بوزيدون الصخرة بشاعوبه فانبجس منها نبع ماء بحري مالح . أما أثينا فقد غرزت في الأرض رمحها الساطع ، فنمت من الأرض شجرة الزيتون المثمرة . وحينذاك قال سيكروبس :

- يا آلهة الأولمب العظام ، إن مياه البحر الشاسع المالحة تصطخب في كل مكان ؛ لكن لاوجود في أي مكان للزيتون الذي يعطي ثماره السخية . إن أثينا هي صاحبة الزيتون ، الذي سيهب الثروة للبلاد بأسرها ، وسوف يدفع الناس للعمل في الزراعة وحراثة التربة الخصبة . إن ماقدمته أثينا لأتيكا خير عظيم ، فلتكن السلطة على البلاد كلها من نصيبها .

حكم الآلهة لأثينا بالاس بالسلطة على المدينة والسيكروبس المشيد وعلى أتيكا بأسرها . ومنذ ذلك الحين أصبحت مدينة سيكروبس تعرف باسم أثينا على شرف ابنة زوس . وبنى سيكروبس في أثينا أول معبد للربة أثينا ، حامية المدينة ، ولوالدها زوس . وكانت بنات سيكروبس أول كاهنات أثينا . ثم ان سيكروبس اعطى للأثينيين القوانين ، ونظم الدولة كلها . لقد كان أول ملك على أتيكا .

كان ايريختونيوس ، ابن إله النار هيبايستوس ، هو الذي خلف سيكروبس . وكان ، مثله مثل سيكروبس ، ابن الأرض . كانت ولادة ايريختونيوس مليئة بالأسرار . فحين ولادته وضعته الربة أثينا تحت حمايتها ، فترعرع في معبدها . وضعت أثينا ايريختونيوس الطفل في سلة مجدولة ، ذات غطاء محكم . وكانت هناك حيتان تسهران عليه . كما كانت بنات سيكروبس[٧٨] تسهر عليه . وقد حظرت أثينا عليهن رفع غطاء السلة ، فلم تكن تريد أن يرين الطفل الذي أنجبته الأرض

بشكل غامض. لكن الفضول راح يعذب بنات سيكروبس، فقد كن يتشوقن ولو لإلقاء نظرة واحدة على ايريختونيوس.

وفي أحد الأيام غادرت أثينا معبدها قاصدة الأوكروبل، لكي تنقل من رأس بالينا[79] الجبل، الذي أرادت أن تضعه عند الاكروبول لحمايته. وبينما كانت الربة تحمل الجبل نحو أثينا جاءها الغراب، وأخبرها أن بنات سيكروبس فتحن غطاء السلة عن ايريختونيوس، ورأين الطفل الغامض. غضبت أثينا أشد الغضب، ورمت بالجبل، وفي طرفة عين وصلت إلى معبدها. كان العقاب الذي أنزلته أثينا ببنات سيكروبس قاسياً: فقد أصابهن الجنون، واندفعن من المعبد، ثم ألقين بأنفسهن من على صخور الأوكربول البارزة، حيث لقين حتفهن[80]، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أثينا تسهر على أيريختونيوس بنفسها. أما الجبل الذي رمته أثينا فقد ظل في المكان الذي أخبرها فيه الغراب بفعلة بنات سيكروبس، وفيما بعد أصبح هذا الجبل يعرف باسم ليكابيت. أما ايرخيتونيوس فما أن بلغ سن الرجولة حتى أصبح ملكاً على أثينا، حيث ظل يحكم سنوات طويلة. وهو الذي أسس أقدم الاحتفالات على شرف أثينا، وسميت بأعياد الربة أثينا[81].

وكان ايرختونيوس أول من ربط الجياد إلى المركبة، وأول من أدخل سباق المركبات إلى أثينا.

وبعد ايريختونيوس حكم أثينا ايريختوس، الذي اضطر لخوض حرب قاسية ضد مدينة ايلوزيس، التي انبرى لمساعدتها إيمارادوس ابن أومولبوس، ملك تراقيا.

لم يحالف الحظ ايريختوس في هذه الحرب. فقد راح ايمارادوس والتراقيون يضيقون عليه الخناق شيئاً فشيئاً. وأخيراً قرر ايرختوس أن يستشير بيثيا، عرافة أبولون في دلفي، لكي يعرف بأي ثمن يستطيع تحقيق النصر. كان جواب العرافة فظيعاً. فقد قالت لايريختوس أنه سينتصر على ايمارادوس إذا اقدم إحدى بناته

قرباناً للآلهة. وماان عرفت ابنة الملك الشابة هتونيا، التي تكن لوطنها كل الحب، ماان عرفت بجواب بيثيا حتى أعلنت أنها على استعداد لأن تضحي بنفسها فداء لأثينا الغالية. قدم ايريختوس ابنته ضحية للآلهة، وهو في غاية الحزن والأسى على مصيرها، فقط رغبته في إنقاذ أثينا هي التي دفعته للقيام بذلك.

بعد التقرب إلى الآلهة بهتونيا بفترة قصيرة دارت المعركة بين الطرفين. وفي غمارها التقى ايريختوس وايمارادوس وتبارزا، استمرت المنازلة بين البطلين طويلاً. ولم يكن أي منهما يقل عن الآخر لا قوة ولا مهارة في استخدام السلاح، ولا جرأة وبسالة. أخيراً أصاب ايريختوس خصمه بضربة رمح قاتلة. وقد حزن أومولبوس، والد ايمارادوس أشد الحزن، وتوسل إلى الاله بوزيدون أن ينتقم لموت ولده من ايريختوس. وانطلق بوزيدون على مركبته، عبر أمواج البحر العاتية، حتى وصل أتيكا. لوح بشاعوبه ثم قتل ايريختوس. هكذا مات ايريختوس دفاعاً عن وطنه. ومات جميع أبنائه، باستثناء ابنته بروكريس، التي رحمها القدر دون غيرها، وتركها على قيد الحياة.

سيفالوس وبروكريس[٨٢] :

كان سيفالوس، ابن الاله هرمس وهيرسيه ابنة سيكروبس. وقد اشتهر سيفالوس في كل أرجاء اليونان بجماله الساحر - كما اشتهر بأنه صياد لا يشق له غبار. وكان منذ الصباح الباكر، وقبل شروق الشمس يغادر قصره وزوجته الشابة بروكريس، وينطلق إلى الصيد في جبال هيميت. وفي ذات مرة رأت سيفالوس الجميل إيوس الوردية، ربة الفجر، فاختطفته، وحملته بعيداً عن أثينا إلى طرف الأرض[٨٣]. لكن سيفالوس لم يكن يحب سوى بروكريس وحدها. ولم يكن يفكر إلا بها، ولم يكن اسمها يفارق شفتيه. هاجه الشوق كثيراً، بعد أن فارق زوجته،

وراح يتوسل إلى الربة إيوس أن تتركه يعود إلى أثينا. غضبت إيوس وقالت لسيفالوس:

ـ حسناً عد إلى بروكريس، وكفاك شكوى من القدر. وسيأتي اليوم الذي ستندم فيه على أن بروكريس زوجتك، لابل إنك ستندم لأنك عرفتها. أوه أرى مسبقاً أن هذا سيحدث.

أطلقت إيوس سراح سيفالوس. وأثناء وداعهاله أقنعته أن يمتحن إخلاص زوجته. فقد غيرت الربة من صورة سيفالوس فعاد إلى أثينا دون أن يتعرف عليه أحد. تسلل سيفالوس إلى بيته خفية فوجد زوجته في حزن عميق. وحتى وهي حزينة كانت بروكريس رائعة. راح سيفالوس يتحدث إلى زوجته، وحاول طويلاً استمالتها لنسيان زوجها وتركه. لتصبح زوجته هو. لم تعرف بروكريس زوجها. ولم ترغب في سماع كلام هذا الغريب، وكانت لاتكف تؤكد:

ـ لست أحب سوى سيفالوس، وسأبقى مخلصة له. لسوف أبقى إلى الأبد على إخلاصي له أنى كان، حياً كان أم ميتاً.

أخيراً جعلها سيفالوس تتردد بعد أن قدم لها الهدايا السخية. وأصبحت مستعدة لأن تقبل بتوسلاته. وحينذاك صاح سيفالوس، وقد عاد إلى صورته الحقيقة:

ـ غدارة. إنني زوجك سيفالوس. وأنا نفسي شاهد على عدم إخلاصك.

لم ترد بروكريس على زوجها بكلمة واحدة. بل أطرقت برأسها خجلاً، وغادرت دار سيفالوس، ولجأت إلى الجبال المغطاة بالغابات. وهناك أصبحت وصيفة الربة أرتيميس. وقد أهدتها الربة رمحاً رائعاً. لايخطيء هدفه أبداً، ويعود إلى راميه، كما أهدتها الكلب ليلب، الذي لم يكن بمقدور أي وحش بري أن ينجو منه.

لم يكن بمقدور سيفالوس الصبر على فراق بروكريس وقد عثر عليها في

الغـابـات، وأقنعهـا بالعـودة. عادت بروكريس إلى زوجها وعاشا سعيدين لفترة طويلة. وقـد أهـدت بروكـريس رمحهـا الـرائـع وكلبها ليلب لزوجها، الذي ظل يذهب إلى الصيـد قبـل بزوغ الفجـر. كان سيفـالـوس يصطاد لوحده، ولم يكن بحاجة إلى مساعدين. فقد كان لديه الرمح الرائع والكلب ليلب. وفي ذات مرة كان سيفالوس يصطاد منذ الصباح. وعند الظهيرة. حيث أصبح القيظ لايطاق، راح يبحث عن مكـان ظليـل يحتمي به من شمس الهـاجـرة. كان سيفالوس يسير ببطء، وهو ينشد:

- أيتهـا الـبرودة العذبة، تعالي إلي بسرعة. نسمي على صدري المفتوح! عجلي واقـترِبي مني أيتهـا الـبرودة، المـترعـة بالهنـاء، واطردي القيظ الحارق! أيتها السماوية، يافرحتي، إنك تنعشينني وتقوينني، هيا دعيني أتنشق نسيمك اللذيذ.

وسمـع أحـد الأثينيـين غنـاء سيفالوس، ودون أن يفهم مغزى غنائه، قال لبروكـريس أن زوجهـا ينادي في الغابة إحدى الحوريات المعروفة باسم «برودة». حزنت بروكـريس، واعتقـدت أن سيفـالـوس لم يعـد يحبها، وأنه قد نسيها بسبب أخرى. وفي ذات مرة، وبينما كان سيفالوس يصطاد، ذهبت بروكريس إلى الغابة خفيـة، واختبأت في خميلة كثيفـة، وراحـت تنتظـر قدوم زوجهـا. وهـاقـد ظهـر سيفالوس بين الأشجار، وهو يغني بصوت عال:

- أيتها البرودة المترعة بالحنان، تعالي إلي واطردي تعبي.

فجأة توقف سيفـالـوس، فقـد خيـل إليـه أنـه سمـع زفـرة قاسيـة. أصاخ سيفالوس السمع، لكن كل شيء هادىء في الغابة، ولم تكن أية ورقة تحرك ساكناً في قيظ الهاجرة. وعاد سيفالوس إلى غنائه:

- اسرعي إلي أيتها البرودة المنشودة!

لم تكـد تتردد هذه الكلمات حتى تردد حفيف خفيف وراء الشجـيرات.

وظن سيفالوس أن وحشاً برياً يختبيء في الدغلة، فرمى برمحه الذي لايخطيء. أطلقت بروكريس صرخة قوية، فقد أصيبت في صدرها. وعرف سيفالوس صوتها، فاندفع إلى الخميلة، حيث وجد زوجته هناك. كان صدرها كله يسبح بالدم. وأسرع سيفالوس يضمد جرح بروكريس، لكن عبثاً: فقد كان الجرح الفظيع قاتلاً. وكانت بروكريس تحتضر. وقبيل الموت قالت لزوجها:

- أستحلفك ياسيفالوس بقدسية عرى زواجنا، بآلهة الأولمب، وبآلهة العالم السفلي، الذين أذهب إليهم الآن، وأستحلفك بحبي، أن لاتدع تلك التي كنت تنادي الآن تدخل بيتنا.

أدرك سيفالوس من كلمات بروكريس المحتضرة سبب ضلالها. فأسرع يوضح لها خطأها. لكن بروكريس راحت تضعف، وخيمت غشاوة الموت على عينيها، ثم فارقت الحياة بين يدي سيفالوس، وهي تبتسم له بحنان. ومع القبلة الأخيرة طارت روحها إلى مملكة هادس المظلمة.

ظل سيفالوس لفترة طويلة لايقر له قرار. وكمن ارتكب جريمة قتل غادر موطنه أثينا إلى طيبة ذات البوابات السبع. وهناك ساعد أمفيتريون في الذهاب لصيد ثعلب توميس، الذي يصعب صيده. وكان بوزيدون قد سلطه على أهالي طيبة عقاباً لهم. وفي كل شهر كانوا يتقربون للثعلب بصبي لكي يخففوا من غلوائه إلى حد ما. وقد أطلق سيفالوس على الثعلب كلبه ليلب. وكان يمكن لليلب أن يظل يطارد الثعلب إلى الأبد لولا أن قاذف الصواعق زوس حولهما، الكلب والثعلب، إلى حجرين. وبعد صيد ثعلب توميس شارك سيفالوس في حرب أمفيتريون ضد ملك تافوس، واستطاع بفضل بسالته أن يسيطر على الجزيرة، التي أصبحت تعرف باسمه ـ سيفالينيا، وفيها عاش حتى نهاية حياته.

بروكنه وفيلوميل[٨٤] :

خاض بانـديـون، ملك أثينا، وحفيد ايريختونيوس، الحرب ضد البرابرة، الذين حاصروا مدينته. وكان سيجد صعوبة كبيرة في الدفاع عن أثينا ضد القوات البربرية الكثيرة العدد، لولم يهب لمساعدته تيروس، ملك تراقيا، وقد قهر البرابرة وطردهم من أتيكا. ومكافأة لتيروس على ذلك أعطاه بانديون ابنته بروكنه زوجة له. وهكذا عاد تيروس مع زوجته الشابة إلى تراقيا، حيث أنجبت له صبياً، وكان يبدو وكأن المويرات جعلن السعادة من نصيب تيروس وزوجته.

مرت خمس سنوات على زواج تيروس. وفي أحد الأيام راحت بروكنة تتوسل لزوجها:

- إذا كنت مازلت تحبني فدعني أذهب لزيارة أختي. أوأجلبها إلينا. سافر إلى أثينا في طلب أختي، اطلب من والدي أن يسمح لها بالقدوم، وعده أنها سترجع قريباً. سوف تكون رؤية أختي سعادة عظيمة بالنسبة لي.

جهز تيروس المركب لسفرة بعيدة، ومن ثم أقلع قاصداً تراقيا. وقد وصل سواحل أتيكا بسلام. استقبل بانديون صهره بحفاوة، ورافقه إلى القصر. وقبل أن يخبره عن سبب قدومه إلى أثينا دخلت فيلوميل، أخت بروكنه، التي لاتقل عن الحوريات الحسناوات جمالاً. وقد سحر تيروس بجمال فيلوميل، وشعر نحوها بحب جارف.

فراح يرجو بانديون أن يسمح لفيلوميل بزيارة أختها بروكنه. وقد جعل حبه لفيلوميل حديثه أكثر إقناعاً. وبدورها راحت فيلوميل، التي لم تعرف أي خطر يتهددها، ترجو والدها أن يسمح لها بالذهاب إلى بروكنه. أخيراً وافق بانديون. وقال لتيروس، بعد أن سمح لابنته بالسفر إلى تراقيا البعيدة:

ـ إنني أسلمك ابنتي ياتيروس، وأستحلفك بالآلهة الخالدين أن تحميها كما لو أنك والدها. ولاتتأخر في أن تعيدها إلي، فهي العزاء الوحيد لشيخوختي.

ثم وجه بانديون كلامه لفيلوميل:

ـ إذا كنت تحبين والدك العجوز ياابنتي فعودي على جناح السرعة، ولاتتركيني لوحدي.

ودع بانديون ابنته، وهويذرف الدموع. كانت الهواجس القاسية تعذبه، لكنه لم يستطع أن يرد تيروس وفيلوميل خائبين.

صعدت ابنة بانديون الحسناء متن المركب. وبدأ المجذفون يجذفون بهمة ونشاط. فاندفع المركب سريعاً إلى عرض البحر، مبتعداً شيئاً فشيئاً عن سواحل أتيكا. وشعر تيروس بلذة النصر، فصاح مبتهجاً:

ـ لقد انتصرت. فبرفقتي هنا على ظهر المركب تلك التي اختارها قلبي ـ فيلوميل الحسناء.

لم يكن تيروس يرفع ناظريه عن فيلوميل، ولم يكن يبتعد عنها. وهاهو ساحل تراقيا، نهاية الرحلة. لكن ملك تراقيا لايأخذ فيلوميل إلى قصره، بل يأخذها إلى الغابة المظلمة عنوة، وهناك في كوخ الراعي يسجنها. ولم تؤثر فيه دموعها ولاتوسلاتها. في سجنها ذاقت فيلوميل الأمرين. ولم تكن تكف عن مناداة أختها ووالدها. وغالباً ماكانت تتوسل إلى آلهة الأولمب العظام، لكن عبثاً كانت توسلاتها وشكواها. ومن شدة يأسها راحت تنتف شعرها، وتعتصر يديها، وتشكو من مصيرها. وكان تصرخ:

ـ ألا أيها البربري القاسي. لم تؤثر فيك لاتوسلات والدي، ولا دموعه، ولا قلق أختي علي. وأنت لم تصن قدسية موقد أسرتك! خذ حياتي ياتيروس، لكن يجب أن تعرف أن الآلهة العظام رأوا جريمتك، وإذا كانوا لايزالون أقوياء فلسوف تنال ماتستحق من عقاب. ولسوف أخبرهم بنفسي بكل مااقترفت

يداك. لسوف أذهب إلى الشعب بنفسي، وإذا لم تتركني هذه الغابات، التي تحيط بي هنا، فلسوف أملؤها بالشكوى، وليسمع شكواي الأثير السماوي الأبدي، فلتسمعها الآلهة.

حين سمع تيروس تهديدات فيلوميل تملكه سخط فظيع، فامتشق سيفه، وامسك بفيلوميل من شعرها، وقيدها، ثم قطع لسانها، لكي لاتستطيع ابنة بانيدون المسكينة أن تخبر أحداً بجريمته. أما تيروس فقد عاد إلى بروكنه. وحين سألته أين أختها أجابها بأنها ماتت. قضت بروكنه فترة طويلة تندب أختها فيلوميل. ومر عام، وفيلوميل لاتزال سجينة تتعذب. لاتستطيع أن تخبر لاأباها ولا أختها بالمكان الذي يسجنها فيه تيروس. وأخيراً عثرت على وسيلة لاخبار بروكنه. فقد جلست إلى نول الحياكة، وحاكت على الخمار قصتها الفظيعة، وأرسلت الخمار خفية إلى بروكنه. فتحت بروكنة الخمار فرأت قصة أختها الرهيبة وقد حيكت عليه. لم تستسلم بروكنة للبكاء، وراحت، وكأنها نسيت نفسها، وفقدت رشدها، تطوف أرجاء القصر، ولاتفكر إلا بشيء واحد - كيف تنتقم من تيروس.

وفي هذا الوقت بالذات كانت نساء تراقيا يحتفلن بعيد ديونيزوس. وقد رافقتهن بروكنه إلى الغابة. وعلى سفح الجبل، في غابة كثيفة، عثرت على الكوخ الذي سجن فيه زوجها فيلوميل. فحررتها وعادت بها إلى القصر خفية.

وقالت بروكنه:

- ليس الوقت الآن وقت دموع يافيلوميل، فالدموع لن تساعدنا. يجب أن يكون السيف، لا الدموع، سلاحنا. إنني مستعدة لأفظع الأعمال، المهم أن أنتقم لك ولنفسي من تيروس. إنني مستعدة لأن أميته أفظع ميتة.

وفي الوقت الذي قالت فيه بروكنه ذلك دخل ابنها. فصاحت بروكنه، وهي تنظر إلى ولدها:

ـ لكم أنت شبيه بأبيك .

ولاذت بروكنـه بالصمت فجأة ، وقـد قطبت حاجبيهـا برهبة . لقد خطر لها خاطـر فظيـع ، كان يدفعهـا إلى هذه الجريمة ذلك السخط ، الذي كان يتأجج في صدرهـا . أمـا ابنهـا فقد اقترب منها ، وعانقها بيديه الصغيرتين . واشرأب نحوها يريـد أن يقبلهـا . وللحظـة واحـدة استيقظت الشفقـة في قلب بروكنـه ، وترقرقت الدموع في عينيها ، فأسرعت تدير ظهرها لولدها ، ولم تكد ترى أختها حتى تأجج السخـط المجنـون في صدرها من جديد . أمسكت بروكنه بابنها من يده ، وقادته إلى أقصى أجنحة القصر . وهناك تناولت سيفاً قاطعاً ، ثم غمدته في صدر ولدها ، بعد أن أدارت ظهـــرهـــا . وأعـدت بروكنـه وفيلوميـل من جثـة الصبي مائـدة فظيعـة لتـير وس . وقـامت بروكنـه بنفسهـا بخـدمة زوجها . أما هو فقد راح يأكل الطعام الـذي أعـد من جسم ولـده الحبيب دون أن يخطـر له ذلك ببال . وفي أثناء الطعام تذكر تير وس ولده فأوعز بمناداته . لكن بروكنه أجابته ، وهي فرحة بانتقامها :

ـ إن من تناديه موجود في فيك .

لم يفهم تير وس مغـــزى كلامهـا . فراح يلح على منـاداة ولـده . وحينـذاك خرجت فيلوميـل من وراء الستـارة ، على نحـو مفـاجيء ، وألقت في وجه تير وس برأس ولده المضرج بالدم ، ارتعش تير وس : فقد أدرك مدى فظاعة الطعام الذي تنـاول ، وصب لعنـاتـه على زوجتـه وعلى فيلوميـل . ثم دفع بالمائدة ، ووثب من مكـانـه ، وامتشق سيفـه ، وجـرى يطـارد بروكنه وفيلوميل ، لكي ينتقم منهما لقتل ولـده ، لكنـه لايستطيـع اللحـاق بهما . فقـد نما لكـل منهـما جناحان ، وتحولتا إلى طائـرين : فيلوميـل إلى سنـونـو ، وبروكنه إلى بلبل . وعلى صدر السنونو فيلوميل ظلت بقعة حمراء من دم ابن تير وس . أما تير وس فقد تحول إلى هدهد ، ذي منقار طويل وعرف كبير على رأسه . وكما على خوذة تير وس المحارب كذلك على رأس الهدهد يرفرف عرف من الريش .

بـوريـاس وأوريـثيـا

إن بوريـاس المخيف هوإلـه ريـح الشـمال العـاصفـة الجـامحة . فهوينطلق بجنون فوق الأراضي والبحار، مثيراً بانطلاقه العواصف التي لاتبقي ولاتذر. وفي ذات مرة، وبينما كان بوريـاس منطلقـاً فوق أتيكـا رأى أوريثيـا ، ابنـة ايريختوس فأحبهـا . وكم توسـل بوريـاس لأوريثيا أن تصبح له زوجاً ، وأن تسمح له بحملها إلى مملكتـه في الشـمال البعيـد . ولم توافق أوريثيـا ، فقـد كانت تخاف هذا الإلـه القـاسي الـرهيب . كما رفض أبـوهـا ايريختوس طلبـه . ولم تنفـع كل توسـلات بورياس . فتملك السخط الإله المخيف وصاح :

- أنـا من جلب على نفسـه هذا الهـوان . لقـد نسيت قوتي الهائلة الجامحة ، وهل يليق بي أن أتـوسـل إلى أيٍ كان بوداعـة؟ يجب أن أستخـدم القـوة والقـوة وحـدهـا . إنني أجمـع سحب العـواصف الـرعـدية في السماء . وفي البحر أرفع الأمـواج ، كأنهـا الجبـال . وكالحشائش اليابسة أقتلع أشجار البلوط العتيقة من جذورهـا ، وأصفـع الأرض بحبـات الـبرد ، وأحـول المـاء إلى جليـد صلب كالحجر ، ثم أتوسل كأنني فانٍ لاحيلة له ولاقوة . حين أنطلق بشكل مجنون فوق الأرض فإن الأرض كلها تهتز ، حتى مملكة هادس السفلى ترتعش . ثم أتوسل إلى ايـريختـوس لكأنني له خادم . إن علي أن أنتـزع أوريثيا عنوة ، لا أن أتوسل ليزوجوني بها .

رفـرف بوريـاس بجنـاحيـه القـويين ، فاجتاحت العاصفة الأرض كلها . وكالقصب اهتزت الغابات القديمة ، وارتفعت الأمواج العالية المغطاة بالزبد فوق البحـر ، وغطت السحب الـداكنـة السـماء كلهـا . ورفـرف أعلى من الجبـال رداء بوريـاس الـداكن ، فهبت منـه برودة الشـمال الجليدية . انطلق بورياس يدمر كل

شيء في طريقه، قاصداً أثينا، واختطف أوريثيا، ثم طار بها إلى الشمال، مسقط رأسه.

وهناك أصبحت أوريثيا زوجة لبورياس، حيث أنجبت له ولدين توأمين هما زيتيس وكالايس، وكلاهما كانا مجنحين، مثل أبيهما. كان ولدا بورياس بطلين عظيمين. فقد اشتركا كلاهما في حملة الأرغونيين على كولشيد لجلب الجزة الذهبية. كما اجترحا الكثير من المآثر العظيمة.

ديدال وايكاريوس(٨٥):

كان ديدال، وهو أحد ذرية ايريختوس، أعظم الفنانين والنحاتين والمعماريين في أثينا. ويروى أنه كان ينحت من المرمر الناصع البياض تماثيل من الروعة بحيث كانت تبدو وكأنها حية، كان يبدو وكأن تماثيل ديدال تنظر وتتحرك. وقد اخترع ديدال الكثير من الأدوات لعمله، وهو الذي اخترع البلطة والمثقب، لقد طبقت شهرة ديدال الآفاق.

وكان لدى هذا الفنان ابن اخت (بريديكا) يعرف باسم تالوس. وقد تتلمذ تالوس على يد خاله. ومنذ فتوته المبكرة أدهش الجميع بموهبته وقدرته على الابتكار. وكان من الجلي أن تالوس سيبز معلمه، ويتجاوزه بمراحل. وكان ديدال يحسد ابن اخته، فقرر قتله. وفي ذات مرة كان ديدال يقف مع ابن أخته على اكروبول أثينا الشاهق، على حافة الصخور. ولم يكن ثمة أحد في الجوار. وقد انتهز ديدال فرصة وجودهما وحيدين فدفع بابن اخته عن الصخور. وكان الفنان واثقاً أن جريمته ستبقى دون عقاب. كان سقوط تالوس عن الصخرة قاتلاً. وقد أسرع ديدال فنزل عن الأكروبول، ورفع جثة تالوس وهم بأن يطمرها في الأرض خفية. لكن الأثينيين فاجأوه، وهو منكب على حفر القبر. فتكشفت فعلته الآثمة وحكم عليه الأريوباج بالموت.

لكن ديدال هرب من الموت إلى كريت، إلى عند الملك مينوس الجبار، ابن زوس وأوروبا. قد شمله مينوس بحمايته بطيبة خاطر. وقد أبدع ديدال لملك كريت الكثير من الأعمال الفنية الرائعة. حيث شيد له قصر «التيه» المشهور، الذي عرف بهذا الاسم لمداخله المتشابكة، التي يستحيل العثور على مخرج منها. وفي هذا القصر سجن مينوس ابن زوجته باسيفة، المينوتور، وهو وحش بجسم إنسان ورأس ثور.

عاش ديدال سنوات عديدة لدى مينوس. فلم يكن الملك يريد تركه يغادر كريت، لأنه كان يريد أن ينفرد لوحده باستخدام عبقرية هذا الفنان العظيم. كان ديدال يقيم في كريت وكأنه أسير. وقد فكر ديدال طويلاً بكيفية الهروب، إلى أن عثر أخيراً على وسيلة للانعتاق من الرق الكريتي. فقد صاح ديدال:

- إن لم يكن بمقدوري النجاة من سلطة مينوس لا بالطريق البري ولا البحري، فالسماء مشرعة أبوابها للهرب. ذلكم هو طريقي. إن مينوس يسيطر على كل شيء، الجو وحده هو الذي لا سيطرة له عليه.

انكب ديدال على العمل. فجمع الريش وثبته بخيوط القنب والشمع وراح يصنع منه أربعة أجنحة كبيرة. وفي الوقت الذي كان فيه ديدال منكباً على عمله كان ولده ايكاريوس يلعب بجواره: تارة يمسك بالزغب المتطاير بسبب هبوب الهواء، وأخرى يفرك الشمع بيديه. أخيراً أنجز ديدال عمله: أصبحت الأجنحة جاهزة. ربط ديدال الجناحين خلف ظهره، وأدخل يديه في العروتين المثبتتين على الجناحين، ولوح بهما، فارتفع في الجو بسلاسة. كان إيكاروس ينظر بذهول إلى والده، الذي كان يحوم في الجو كالطائر العملاق. حط ديدال على الأرض، وقال لولده:

- اسمع ياايكاريوس، الآن سوف نطير بعيداً عن كريت، كن حذراً أثناء الطيران، فلا تنخفض كثيراً نحو البحر كي لا يبلل رذاذ الأمواج المالح

جناحيك ، ولا ترتفع عالياً نحو الشمس ، فقد تذيب الحرارة الشمع ، فيتطاير الريش. اقتفِ اثري ، ولاتتخلف عني .

ارتدى الأب وابنه الأجنحة ، وارتفعا في الجو بسهولة . وكل من رآهما يطيران عالياً فوق الأرض ظن أنهما إلهان يحلقان في زرقة السماء . وكان ديدال لايكف يتلفت ليرى كيف يطير ابنه . وقد قطعا جزيرتي ديلوس وباروس، وتابعا طيرانهما، أبعد فأبعد .

شعر إيكاروس بالمتعة من الطيران السريع ، وكان يزداد جرأة في تحريك جناحيه . وقد نسي إيكاروس وصية أبيه، فلم يعد يقتفي أثره. بل لوح بجناحيه بقوة، وحلق في السماء عالياً، غير بعيد عن الشمس الساطعة . وقد أذابت أشعتها المتوهجة الشمع ، الذي يثبت الريش . فتساقط وراح يتطاير في الجو تطارده الرياح. ولوح إيكاروس بيديه . لكنهما أصبحتا بدون جناحين. فسقط من هذا الارتفاع الشاهق في البحر، ومات في أمواجه .

التفت ديدال، وراح ينظر في كل الجهات . لكنه لم ير إيكاروس . فراح يناديه بصوت عال :

- إيكاروس . إيكاروس ، أين أنت؟ رد علي!

لكنه لم يتلق جواباً . رأى ديدال الريش من جناح إيكاروس على أمواج البحر فأدرك ماحدث. لكم كره ديدال فنه ، لكم كره ذلك اليوم الذي خطرت له فيه فكرة النجاة من كريت بطريق الجو.

أما جثة إيكاروس فقد ظلت أمواج البحر تتقاذفها طويلاً . وأصبح البحر هناك يعرف باسم بحر إيكاروس(٨٦) . أخيراً قذفت الأمواج جثة إيكاروس إلى شاطىء الجزيرة، وهناك عثر عليها هرقل ودفنها. أما ديدال فقد تابع طيرانه إلى أن حط في صقلية ، حيث نزل عند الملك كوكالوس ، ومالإن عرف مينوس بالمكان

الـذي اختبأ فيـه الفنـان حتى اتجـه على رأس جيش كبـير إلى صقليـة ، وطالب كوكالوس بتسليمه ديدال .

لكن بنات كوكالوس لم يرغبن في فقدان فنان مثل ديدال . وقد أقنعن أباهن أن يوافق على مطـالب مينـوس ويستقبله في القصـر ضيفـاً . وبينـما كان مينـوس يستحم عمدت بنات كوكالوس إلى صب مغرفة من الماء الغالي على رأسه ، فمات مينـوس بعـد أن ذاق مر العـذاب . أمـا ديـدال فقـد عاش في صقلية طويلاً . وقد أمضى السنـوات الأخـيرة من حيـاتـه في أثينـا ، مسقـط رأسه ، حيث أصبح رائد الديدالية ، واليها ينتسب فنانو أثينا .

ثيـسـيـوس[٨٧] :

ولادة ثيسيوس وتربيته : حكم إيجيوس ، ابن بانديون ، أثينا بعد أن قام مع اخوته بطرد أقربائه ، أبناء ميثيونوس من تراقيا ، لاستيلائهم على السلطة بغير وجه حق . استمر ايجيوس في حكمه السعيد طويلاً . ولم يكن ينغص عليه سعادته إلا شيء واحد : لم يكن لديه أولاد . اخيراً قصد إيجيوس عراف أبولون في دلفي ، وسأل لماذا لايـرزقـه الآلهـة بالأولاد . وقـد أعطـاه العـراف جواباً غير واضح . فكر ايجيـوس طويـلاً محاولاً فهم المغـزى الـدفـين لهذا الجواب ، لكن عبثاً . اخيراً قرر إيجيوس السفر إلى مدينة تريزين ، إلى ملك الارغول الحكيم بيتفوس ، لكي يفسر له مغـزى جواب أبـولـون . وللحال أخبره بيتفوس بمغزى هذا الجواب . فقد فهـم أن إيجيـوس سيرزق بصبي ، سوف يعـرف باسم بطـل أثينا . وقد أراد بيتفوس أن يكون شرف موطن البطل العظيم من نصيب تريزين ، ولذا فقد زوج ايجيوس من ابنتـه ايـترا . وقـد انجبت إيـترا ولـداً ، لكنـه لم يكن ابن ايجيـوس ، بل ابن الإله بوزيـدون . وقـد أعطي الصغـير اسـم ثيسيوس . بعد ولادة ثيسيوس بفترة قصيرة

كان على الملك إيجيوس أن يغادر تريزين عائداً إلى أثينا. وعند سفره أخذ ايجيوس سيفه وصندله، ووضعهما تحت صخرة في الجبال، قرب تريزين، ثم قال لايترا:

- حين سيصبح بمقدور ولدي ثيسيوس تحريك هذه الصخرة، وأخذ سيفي وصندلي، حينذاك أرسليه إلي في أثينا. ولسوف أعرفه من سيفي وصندلي.

حتى سن السادسة عشرة تربى ثيسيوس في دار جده بيتفوس، الذي عرف بحكمته، والذي أولى تربية حفيده كل عناية، وكم كان سروره كبيراً وهو يرى أن حفيده يبز أقرانه في كل شيء. وحين بلغ ثيسيوس السادسة عشرة من عمره لم يعد بمقدور أحد أن يجاريه لاقوة ولامهارة ولاقدرة على استخدام السلاح. كان ثيسيوس رائعاً: طويلاً، ممشوقاً، ذا نظرة صافية من عينين رائعتين، وشعر داكن، كان يتدلى حلقات منفوشة على كتفيه. أما من الأمام فقد كان شعره مقصوصاً فوق الجبين، لأنه نذره لأبولون، وكان جسمه الفتي، المفتول العضلات، يدل على قوته الخارقة.

مآثر ثيسيوس في الطريق إلى أثينا: حين رأت ايترا أن ولدها يفوق جميع أترابه قوة قادته إلى الصخرة، التي كان تحتها سيف ايجيوس وصندله، ثم قالت له:

- تحت هذه الصخرة ياولدي يرقد سيف وصندل أبيك ايجيوس حاكم أثينا. حرك الصخرة قليلاً، وخذهما، فسيكونان العلامة التي سيتعرف بها أبوك عليك.

دفع ثيسيوس الصخرة، فحركها من مكانها بسهولة، ثم أخذ السيف والصندل، وودع أمه وجده، وانطلق في دربه الطويل قاصداً أثينا. لم يصغ ثيسيوس لرجاء أمه وجده أن يسلك الطريق البحري الأكثر أمناً، وقرر أن يسير إلى أثينا عن طريق البر، عبر إستم.

كان هذا الطريق شاقاً، وقد اضطر ثيسيوس لتذليل الكثير من المصاعب

أثناء سفره، كما اجترح الكثير من المآثر. فعلى الحدود بين تريزين وايبيدافر[٨٨] التقى البطل ثيسيوس المارد بيريفيتوس ابن الإله هيبايستوس. ومثل الاله هيبايستوس كان المارد بيريفيتوس أعرج، لكن يديه كانتا جبارتين، وكان جسمه عملاقاً، كان بيريفيتوس يثير الخوف، لم يكن أي مسافر يستطيع عبور تلك الجبال، حيث يسكن بيريفيتوس، فقد كان يقتل الجميع بهراوته الحديدية الضخمة، لكن ثيسيوس تغلب عليه بسهولة. فكانت تلك مأثرة ثيسيوس الأولى. وكدليل على النصر أخذ الهراوة الحديدية، التي كانت سلاح المارد الذي قتل.

وفي استم، التقى ثيسيوس في أجمة صنوبر مكرسة لبوزيدون حامي الصنوبر سينس. كان سينس قاطع طريق هائجاً. فقد كان يقتل جميع المسافرين بشكل رهيب. كان يحني شجرتي صنوبر بحيث تتلامس قمتاهما، ثم يربط المسافر إليهما ويتركهما. وكانت الصنوبرتان تستقيمان بقوة هائلة فيتمزق جسد المسكين.

انتقم ثيسيوس لجميع ضحايا سينس. فقد ربط قاطع الطريق، وأحنى بيديه الجبارتين شجرتي صنوبر عملاقتين، ثم ربط سينس إليهما وتركهما. مات قاطع الطريق الشرس نفس الميتة التي كان يقتل بها المسافرين الأبرياء. والآن أصبح الطريق إلى إستم سالكاً. وفيما بعد، وتخليداً لذكرى انتصاره أسس ثيسيوس في نفس المكان، الذي تغلب فيه على سينس الألعاب الاستمية[٨٩].

تابع ثيسيوس طريقه عبر كروميون[٩٠]. وكانت المنطقة كلها قد تحولت إلى أرض يباب بسبب خنزير بري ضخم، أنجبه تيفون وإيشدنا. وراح سكان كروميون يتوسلون إلى البطل الشاب أن ينقذهم من هذا الوحش. لحق ثيسيوس بالخنزير، وصرعه بسيفه.

وتابع ثيسيوس طريقه. وعند حدود ميغارا[٩١]. هناك حيث ترتفع الصخور الشاهقة حتى السماء، والتي تصطخب عند أقدامها أمواج البحر العاتية، واجه

ثيسيوس خطر جديد. فعلى حافة الصخرة كان يعيش قاطع الطريق سكيرون، الذي كان يجبر كل من يمر به على أن يغسل له قدميه. وما إن ينحني المسافر ليغسل قدمي سكيرون حتى يرفسه قاطع الطريق الظالم بقدمه رفسة قوية، فيقع المسكين عن الصخرة في أمواج البحر الهائجة، حيث كان يتمزق على الصخور الحادة، التي تبرز من المياه، أما جثته فكانت تلتهمها سلحفاة هائلة. وقد هم سكيرون برمي ثيسيوس في البحر، لكن البطل الشاب قبض على قدم قاطع الطريق، وقذف به من على الصخرة.

عن بعيد عن إيلفسين اصطدم ثيسيوس مع سيرسيون، على غرار صراع هرقل مع أنتايوس. كان سيرسيون الجبار قد أهلك الكثيرين، لكن ثيسيوس لف ذراعيه من حوله، وعصره كما في الكماشة الحديدية. ثم قتله. وبذلك فقد حرر ثيسيوس ألوبيه ابنة سيرسيون. أما حكم بلاد سيرسيون فقد سلمه ثيسيوس لهيباتون، ابن ألوبيه وبوزيدون.

بعد اجتياز إيلفسين والاقتراب من وادي نهر سيغيس وصل ثيسيوس إلى قاطع الطريق داماست، والذي عادة ماكان يعرف باسم بروكروست (المطاط). كان قاطع الطريق هذا قد ابتكر اسلوباً خاصاً في تعذيب كل من يأتي إليه. فقد كان لدى بروكروست سرير كان يرغم كل من يقع بين يديه على أن يستلقي عليه. فإذا كان السرير أطول كان بروكروسست يظل يمط المسكين إلى أن تلامس قدما الضحية طرف السرير. أما إذا كان السرير قصيراً فإن بروكروست يقطع قدمي المسافر. ألقى ثيسيوس بروكروست على السرير، لكن تبين أن السرير كان قصيراً جداً على العملاق، فقتله ثيسيوس.

كانت تلك مأثرة ثيسيوس الأخيرة في طريقه إلى أثينا. ولم يرغب ثيسيوس في دخول أثينا ملطخاً بدم سينس، سكيرون وبروكروست وغيرهم[٩٢]، فطلب من الفيتاليد[٩٣] أن يطهروه بطقوس دينية خاصة عند مذبح زوس ـ ميليهي[٩٤].

استقبـل الفيتـاليـد البطـل الشاب بالحفاوة، وقد نفذوا رغبته، وطهروه من رجس الدم المراق. والآن أصبح بوسع ثيسيوس الذهاب إلى أبيه ايجيوس في أثينا.

ثيسيـوس في أثينـا : كان ثيسيـوس يسـير عبر شوارع أثينا في ثياب ايونية طويلة، يزهو بجماله، وكان شعره المنفوش يتدلى على كتفيه. كان الشاب في ثوبه الطويل أشبه بفتاة منه ببطل، اجترح الكثير من المآثر العظيمة. مر ثيسيوس قرب معبد أبولون الذي كان قيد البناء، وكان العمال يرفعون السقف عليه. وحين رأى العمال البطل ظنوه فتاة، فراحوا يسخرون منه، وهم يصيحون ضاحكين:

- انظـروا هنـاك واحـدة تتسكع في المدينة، إحدى الفتيات بدون مرافقة. انظروا كيف تتغاوى بشعرها، وكيف تكنس غبار الطريق بثوبها الطويل.

غضب ثيسيـوس من تهكم العـمال، فاقترب من العربة، التي كدنت إليها الثيران، وبعـد أن فك الثيـران أمسـك بالعـربة، وقذف بها عالياً، فطارت فوق رؤوس العـمال الـواقفـين على سطـح المعبـد. ولاتسـل عن هلع العـمال، الذين سخروا من ثيسيوس، حين رأوا أنه ليس فتاة، بل بطل شاب، يتمتع بقوة خارقة. وقد توقعوا أن يكون انتقامه منهم قاسياً بسبب تهكمهم، لكن ثيسيوس تابع طريقه بهدوء.

أخيراً وصل ثيسيوس إلى قصر إيجيوس. ولم يكشف لأبيه الكهل عن هويته حالاً، بل قال أنه غريب يبحث عن حماية. لم يعرف ايجيوس ولده، لكن الساحرة ميـديـا تعـرفت عليـه. وكـانت ميديا قد هربت من كورنيث إلى أثينا، وأصبحت زوجـة إيجيـوس. كانت ميـديـا المـاكـرة قد وعـدت ايجيـوس بأن تعيد له الشباب بسحرها، وأصبحت هي الآمرة الناهية في دار ملك أثينا، وكان إيجيوس يطيعها في كل شيء. وللحـــال أدركت ميــديـــا، المتعطشـة للسلطـة، مدى الخطـر الـذي يتهـددهـا، إذا ما اكتشف إيجيـوس هويـة هذا الغريب الجميل، الذي استقبله في

قصره. ولكي لاتفقد سلطتها قررت ميديا إهلاك البطل. فاقنعت إيجيوس بدس السم لثيسيوس. بعد أن أوهمته أنه جاسوس أرسله الأعداء. وقد وافق إيجيوس الهرم الضعيف، والخائف من أن يحرمه أحد من السلطة، وافق على هذه الفعلة.

وفي أثناء المأدبة وضعت ميديا أمام ثيسيوس قدحاً من النبيذ المسموم. وفي هذه اللحظة بالذات امتشق ثيسيوس سيفه.

وقد عرفه إيجيوس في الحال، إنه السيف الذي وضعه لستة عشر عاماً خلت تحت صخرة قرب تير يزن. وألقى نظرة على قدمي ثيسيوس فرأى عليهما صندله. وقد عرف الآن من يكون هذا الغريب. فاحتضن إيجيوس ثيسيوس ولده، بعد أن قلب قدح النبيذ المسموم. أما ميديا فقد طردت من أثينا، وفرت مع ولدها ميدون إلى ميديا.

وأعلن إيجيوس بشكل مهيب للشعب الأثيني كله عن وصول ولده. وحدثه بمآثره، التي اجترحها في الطريق من تريزين إلى أثينا. وقد شارك الأثينيون إيجيوس فرحته، وراحوا يطلقون الهتافات العالية مرحبين بملكهم القادم.

بلغ خبر وصول ابن إيجيوس إلى أثينا أولاد بالاس، شقيق إيجيوس. فمع قدوم ثيسيوس تداعت آمالهم في حكم أثينا بعد موت إيجيوس، فلديه الآن وريث شرعي. لم يكن البالاس القساة يريدون أن يضيعوا السيادة على أثينا. فقرروا الاستيلاء على أثينا بالقوة. وهكذا فقد تحرك البالاس الخمسة عشر وعلى رأسهم والدهم باتجاه أثينا. ولما كانوا يعرفون قوة ثيسيوس الخارقة فقد لجأوا إلى الحيلة التالية: قسم من البالاس زحف نحو أسوار أثينا بشكل علني، أما القسم الآخر فقد نصب كميناً للانقضاض على إيجيوس بغتة. لكن رسول البالاس - اليوس - كشف لثيسيوس خطتهم. وعلى جناح السرعة وضع البطل الشاب خطة العمل: فقد هاجم أولئك البالاس المختبئين في الكمين، وقتلهم جميعاً. ولم

تنفعهم لاقوتهم ولا جرأتهم. وحين عرف البالاس، المتمركزون عند أسوار أثينا، بهلاك أخوتهم دب في صفوفهم الذعر فلاذوا بالفرار المخزي.

والآن أصبح بوسع إيجيوس أن يحكم في أثينا بكل أمان تحت حماية ولده.

ولم يبق ثيسيوس ليعيش في أثينا. فقد قرر إنقاذ أثينا من الثور البري، الذي كان يعيث فساداً في ضواحي ماراثون. وكان هرقل قد جلب هذا الثور من كريت إلى ميسين، بأمر من أورستيه، وهناك تركه وشأنه، وقد فر الثور إلى أتيكا، ومنذ ذلك الحين أصبح كابوساً رهيباً لجميع المزارعين. انطلق ثيسيوس دون وجل لاجتراح هذه المأثرة الجديدة. وفي ماراثون التقى امرأة عجوزاً ـ هيكالا. وقد أكرمت هيكالا وفادة البطل، ونصحته أن يتقرب إلى زوس المنقذ، لكي يحميه أثناء القتال الخطير مع الثور المتوحش. وقد عمل ثيسيوس بنصيحة العجوز. وبعد وقت قصير التقى ثيسيوس الثور، الذي انقض عليه، لكن ثيسيوس أمسك به من قرنيه. وحاول الثور جاهداً التملص، لكنه لم يستطع التخلص من يدي ثيسيوس الجبارتين. أحنى ثيسيوس رأس الثور نحو الأرض، وربطه ثم روضه، وساقه إلى أثينا. وفي طريق العودة وجد ثيسيوس أن هيكالا لم تعد على قيد الحياة. وقد قدم ثيسيوس للمتوفاة كل فروض الاجلال، اعترافاً منه بإسدائها النصح له وحسن استقبالها له منذ عهد ليس ببعيد. وفي أثينا قدم ثيسيوس الثور قرباناً للإله أبولون.

رحلة ثيسيوس إلى كريت: حين وصل ثيسيوس إلى أثينا كانت أتيكا كلها غارقة في حزن عميق. فمن كريت أرسل الملك مينوس الجبار مبعوثيه لتسلم الجزية. كانت هذه الجزية قاسية ومخزية. ففي كل تسع سنوات كان على الأثينيين أن يرسلوا إلى كريت سبعة شبان وسبع فتيات. وهناك كانوا يحبسون في قصر «التيه» الضخم، حيث يلتهم المينوتور، وهو وحش فظيع بجسم إنسان ورأس

ثور. وكـان مينـوس قد فرض هذه الجـزيـة على الأثينيـين لأنهم قتلوا ابنـه أنـدروجيـوس. للمـرة الثـالثـة يضطـر الأثينيون لإرسال هذه الجزية الفظيعة إلى كريت. وكـانـوا قد جهـزوا المـركب، الـذي يرفـع الأشـرعة السوداء حداداً على ضحايا مينوتور الشباب.

قرر ثيسيوس، حين رأى الحزن العام، أن يسافر مع شبان وشابات أثينا إلى كريت، لإطلاق سراحهم، ووقف دفـع هذه الجزية الفظيعة. قرر ثيسيوس منازلة المينـوتـور: فإمـا أن يقتله، وإمـا أن يهلك. لكن إيجيوس الكهل لم يكن يريد مجرد سماع الحديث عن سفر ابنه الوحيد. بيد أن ثيسيوس ظل متشبثاً بقراره. وبعد أن تقـرب إلى أبـولـون دلفي، حامي الـرحـلات البحرية، تلقى قبيل مغادرته دلفي الـوحي بأن يختـار ربـة الحب أفـروديت حامية له في هذه الرحلة. وهكذا فبعد أن استغاث ثيسيوس بأفروديت، وقدم لها القربان، انطلق قاصداً كريت.

وصـل المـركب إلى جزيـرة كريت بسـلام. واقتيـد شبان وشابات أثينا إلى مينـوس. وللحـال لفت الشـاب الجميـل انتبـاه ملك كريت الجبار. كما لفت نظر أريـان ابنـة الملك، أما أفروديت، حامية ثيسيوس فقد أثارت في قلب أريان الحب نحـو ابن إيجيـوس الشـاب، فقـررت ابنة مينوس أن تساعد ثيسيوس. ولم تستطع مجرد التفكير أن البطل الشاب قد يلقى حتفه في «التيه»، ويفترسه المينوتور.

وقبـل منـازلـة المينوتور اضطر ثيسيوس إلى اجتراح مأثرة أخرى. فقد أهان مينـوس إحـدى الفتيـات الأثينيات، فما كان من ثيسيوس إلا أن تصدى لحمايتها، لكن ملك كريت الفخـور بنسبـه راح يسخر من ثيسيوس. وقد أثار غضبه أن هذا الاثيني المغمـور يتجـاسـر على التصـدي له، وهـو ابن زوس. فرد ثيسيوس على الملك بإباء:

- أنت تفخـر بنسبـك إلى زوس، وأنا بدوري لست ابن فانٍ عادي، فوالدي هو بوزيدون، إله البحر، ومزلزل الأرض العظيم.

- إذا كنت ابن بوزيدون فبرهن على ذلك، وهات الخاتم من لجة البحر - أجاب مينوس ثيسيوس، ورمى الخاتم الذهبي في البحر.

بعد أن استغاث ثيسيوس بوالده بوزيدون ألقى بنفسه، غير هياب ولا وجل، من على الشاطىء العالي في أمواج البحر. تطاير عالياً الرذاذ المالح، وغمرت الأمواج ثيسيوس. وراح الجميع ينظرون بوجل إلى البحر، الذي ابتلع البطل، وكانوا على يقين أنه لن يعود أبداً. وقفت أريان، وقد سيطر عليها اليأس. فقد كانت هي أيضاً واثقة من هلاك ثيسيوس.

أما ثيسيوس فلم تكد أمواج البحر تنغلق فوق رأسه حتى حمله الإله تريتون، وفي طرفة عين أوصله إلى قصر بوزيدون، الموجود تحت الماء. رحب بوزيدون بولده، واستقبله بسرور في قصره، ثم سلمه خاتم مينوس. أما زوجة بوزيدون أمفيتريت فقد دفعها إعجابها بجمال البطل وجرأته، إلى وضع إكليل ذهبي على شعره المجعد. ومن جديد حمل تريتون ثيسيوس، وأخرجه من لجة البحر إلى الشاطىء، إلى نفس المكان، الذي ألقى منه البطل بنفسه في البحر. ولاتسل عن فرحة أريان، ابنة مينوس، بعودة ثيسيوس سالماً من قاع البحر.

لكن مازالت أمام ثيسيوس معركة خطيرة مع المينوتور. وقد انبرت أريان لمساعدة البطل. فقد قامت خفية عن أبيها بإعطاء ثيسيوس سيفاً قاطعاً وكبة من الخيطان. وحين سيق ثيسيوس وزملاؤه ليلاقوا حتفهم في قصر «التيه» عمد ثيسيوس إلى ربط نهاية الكبة عند مدخل القصر، ثم انطلق عبر ممرات القصر وتقاطعاته التي لانهاية لها، والتي كان يستحيل العثور على مخرج منها. وبالتدريج راح ثيسيوس يحل الكبة لكي يعثر على طريق العودة بواسطة الخيط. تابع ثيسيوس سيره أبعد فأبعد إلى أن وصل أخيراً إلى المكان، الذي يوجد فيه المينوتور. انقض المينوتور على البطل الشاب، وقد احنى رأسه بقرنيه الحادين الهائلين. وهو يطلق زعيقاً مروعاً، وبدأت المعركة الهائلة. عدة مرات انقض

المينوتور وهو في ذروة هياجه، على ثيسيوس، لكنه استطاع صده بسيفه. أخيراً أمسك ثيسيوس بالمينوتور من قرنيه، وطعنه بسيفه القاطع في صدره. بعد أن قتل المينوتور خرج ثيسيوس من «التيه» بفضل خيط الكبة، وأخرج جميع فتيان وفتيات أثينا[٩٥]. ولدى المخرج كانت أريان بانتظارهم، وقد استقبلت ثيسيوس بكل سرور. شكل الجميع حلقة رقص وغناء مرحة، وقد تزينوا بأكاليل الزهور، وراحوا يمجدون البطل وحاميته أفروديت.

وكان لابد الآن من الاهتمام بتلافي غضب مينوس. جهز ثيسيوس مركبه، وانطلق في طريق العودة إلى أثينا، بعد أن ثقب قاع كل سفن الكريتيين، التي سحبت إلى الشاطىء. أما أريان، التي أحبت ثيسيوس فقد سافرت برفقته.

في طريق العودة خرج ثيسيوس إلى سواحل ناكسوس. وحين استسلم المسافرون للراحة رأى ثيسيوس في حلمه ديونيزوس، إله الخمرة، فأخبره أن عليه أن يترك أريان على شاطىء ناكسوس المهجور، لأن الالهة خصته هو، أي ديونيزوس بها زوجة. استيقظ ثيسيوس، وعلى جناح السرعة تابع طريقه، وقد استبد به الهم. فلم يجرؤ على عصيان إرادة الآلهة. أما أريان فقد أصبحت ربة، بعد أن تزوجت ديونيزوس العظيم. وراح ندماء ديونيزوس يرحبون بأريان بصوت عال، ويمجدونها بأغانيهم[٩٦].

أما مركب ثيسيوس فقد اندفع مسرعاً، رافعاً أشرعته السوداء، عبر البحر اللازوردي. وهاقد ظهر في البعيد شاطىء أتيكا. وكان ضياع أريان قد أنسى ثيسيوس الوعد الذي قطعه لايجيوس باستبدال الأشرعة البيضاء بالسوداء إذا ماعاد سالماً غانماً إلى أثينا، كان إيجيوس بانتظار ولده. كان يقف على صخرة عالية قرب الشاطىء، يحدق في خط الأفق. وهاقد تراءت في البعيد نقطة سوداء. راحت تكبر مع تزايد دنوها من الشاطىء. إنها سفينة ولده، إنها لاتكف تقترب وتقترب. وينظر إيجيوس ويمعن النظر ليرى لون الأشرعة عليها. كلا إن الأشرعة

البيضاء لاتسطع تحت أشعة الشمس، إذن فهي الأشرعة السوداء. لقد هلك ابنه إذن. ومن شدة يأسه رمى إيجيوس بنفسه من على الصخرة العالية في البحر، فمات في أمواجه، التي قذفت جثته فيما بعد إلى الشاطىء. ومنذ ذلك الحين أصبح البحر، الذي مات فيه إيجيوس، يعرف باسم بحر إيجه. أما ثيسيوس فقد رسا بمركبه إلى شاطىء أتيكا، وقدم للآلهة قرابين الشكر، وفجأة عرف أنه قد تسبب عن غير قصد في موت أبيه. دفن ثيسيوس المفجوع والده في جنازة مهيبة، وبعد الدفن تسلم مقاليد الحكم في أثينا.

ثيسيوس والأمازونات: كان ثيسيوس حكيماً في حكم أثينا. لكنه لم يشعر بالطمأنينة في حياته. فكان لايكف يغادر أثينا للمشاركة في مآثر أبطال اليونان الآخرين. فقد شارك ثيسيوس في الصيد الكاليدوني[٩٧]، وفي حملة الأرغونيين لجلب الجزة الذهبية. وفي حملة هرقل ضد الأمازونات. وحين تم الاستيلاء على حاضرتهن ثيموسكير، اصطحب ثيسيوس معه إلى أثينا ملكة الأمازونات أنتيوبه مكافأة له على بسالته. وفي أثينا أصبحت أنتيوبه زوجة ثيسيوس. وقد كان زفاف البطل على ملكة الأمازونات مهيباً جداً.

أما الأمازونات فقد خططن للانتقام من اليونانيين لأنهم خربوا مدينتهن، واطلاق سراح أنتيوبه من الأسر القاسي ـ كما كن يعتقدن ـ لدى ثيسيوس. زحف جيش كبير من الأمازونات واجتاح أتيكا، مما اضطر الأثينيين إلى الاحتماء من ضغط الأمازونات المحاربات خلف أسوار المدينة. وقد تمكنت الأمازونات من اقتحام المدينة نفسها، وأرغمن السكان على الاختباء فوق الاكروبول الحصين. أقامت الأمازونات معسكرهن على هضبة الأريوباج، وحاصرن الأثينيين. وقد قام الأثينيون بعدة محاولات تسلل بغية طرد المحاربات المخيفات. وأخيراً دارت رحى المعركة الحاسمة.

كانت أنتيوبه تقاتل جنباً إلى جنب مع ثيسيوس ضد نفس الأمازونات، اللواتي كانت تحكمهن سابقاً. لم تكن أنتيوبه تريد أن تفارق زوجها البطل، الذي كانت تحبه حباً جماً. وفي هذه المعركة الرهيبة كان الهلاك بانتظار أنتيوبه. فقد ومض في الجو الرمح، الذي قذفته إحدى الأمازونات، وقد انغرز رأسه القاتل في صدر أنتيوبه فوقعت عند قدمي زوجها. وقف الجيشان كلاهما ينظران بهلع إلى أنتيوبه المطعونة بالرمح. وانحنى ثيسيوس فوق جثمان زوجته مفجوعاً. وتوقفت المعركة الدامية. وفي جو من الحزن وارى الأثينيون والأمازونات الملكة الشابة الثرى. وغادرت الأمازونات أتيكا عائدات إلى وطنهن البعيد. ولفترة طويلة ظل يخيم على أثينا الحزن على أنتيوبه الحسناء، التي ماتت قبل الأوان.

ثيسيوس وبيرثوس: كانت قبيلة اللابيثي(٩٨) المحاربين تعيش في تساليا. وكان يتزعم هذه القبيلة البطل الجبار بيرثوس، الذي تناهت إليه أخبار بسالة ثيسيوس المظفر، فأراد أن يبارزه. ولكي يدفع ثيسيوس لقتاله قصد بيرثوس الماراثون. وهناك في المراعي الخصبة اختطف قطيع الثيران، الذي تعود ملكيته لثيسيوس. ولم يكد ثيسيوس يعرف بذلك حتى انطلق في أثر الخاطف، وقد لحق به بسرعة. وقف ثيسيوس وبيرثوس في مواجهة بعضهما، يرتديان درعين متلألئين، فكانا شبيهين بإلهين خالدين مخيفين. وقد دهش كلاهما من عظمة الآخر، وكانا كلاهما مفعمين بالبسالة، جبارين وجميلين. وقد ألقيا السلاح ومد كل منهما يده للآخر، وعقدا فيما بينهما حلف صداقة وطيدة راسخة، وتبادلا ـ بهذه المناسبة ـ السلاح. وهكذا أصبح ثيسيوس وبيرثوس صديقين.

بعد ذلك بوقت قصير قصد ثيسيوس تساليا لحضور عرس صديقه بيرثوس وهيبوداميا. كان حفل الزفاف زاهياً. وقد حضره الكثير من الأبطال الأماجد من مختلف أرجاء اليونان. كما دعي لحضوره القنطورات البرية، وهي أنصاف بشر

وأنصاف خيول. وكان قصر الملك يغص بالضيوف المستلقين خلف الموائد العامرة، ولما لم يكن القصر يتسع لجميع الضيوف، الذين جاؤوا لحضور العرس، فقد أقيمت مأدبة أخرى في كهف كبير، حيث تخيم البرودة المنعشة.

وصدحت أناشيد الزفاف والموسيقى، وتردد عالياً صياح المحتفلين المرح. كان جميع الضيوف يمتدحون العريس والعروس، التي كانت تتألق جمالاً، كما النجم السماوي. كان الضيوف فرحين مرحين. وكانت الخمرة تتدفق أنهاراً. وكانت صيحات الاحتفال تتردد أقوى فأقوى.

وفجاة وثب القنطور ايفريتوس، وقد دبت في رأسه الخمرة، وكان من أقوى القنطورات، وأشدها شراسة، وانقض على العروس. فقبض عليها بيديه الجبارتين، يريد اختطافها. وماإن رأى زملاؤه القنطورات ذلك حتى انقضوا على النساء. كان كل منهم يريد الفوز بغنيمة. ومن خلف الموائد وثب ثيسيوس وبيرثوس وأبطال اليونان، واندفعوا لحماية النسوة. وقطع الاحتفال وبدأت المعركة الشرسة، التي استخدم فيها كل شيء سلاحاً: الأكواب الثقيلة، دنان الخمرة الضخمة، قوائم الموائد المكسورة، حوامل الروائح الزكية، وهكذا راح الأبطال خطوة خطوة يضيقون الخناق على القنطورات المتوحشين، فيطردوهم من قاعة المأدبة، لكن المعركة استمرت خارج القاعة أيضاً.

والآن راح أبطال اليونان يقاتلون بالسلاح، ويحتمون بالترس. أما القنطورات فكانوا يقتلعون الأشجار من جذورها، ويرشقون الأبطال بالصخور العملاقة. وفي الصفوف الأولى كان يقاتل ثيسيوس وبيرثوس بيليوس ونسطور[11]. وكانت الكومة الدامية من جثث القنطورات ترتفع شيئاً فشيئاً بجوارهم. واحداً تلو آخر كان القنطورات يتساقطون قتلى. وأخيراً دب في صفوفهم الذعر فلاذوا بالفرار، واختبأوا في غابات بيليون. لقد انتصر أبطال اليونان على القنطورات الشرسين، ولم ينج منهم إلا القليل في هذه المعركة الطاحنة.

اختطـاف هيلين، ثيسيـوس وبـيرثـوس يقرران اختطاف بيرسفونه.

موت بيرثوس.

لم تعمـر طويـلاً هيبـوداميـا الحسنـاء، زوجة بيرثوس، فقد ماتت، وهي في ريعـان الشبـاب، وذروة الجـمال. بكى بيرثـوس الأرمل زوجته، وقرر، بعد مرور بعض الوقت، أن يتزوج. فقصد صديقه ثيسيوس في أثينا، وهناك قررا أن يخطفا هيلين الحسنـاء. وكـانت لاتزال فتاة يافعة، ومع ذلك فقد كان الحديث عن جمالها على كل شفـة ولسـان في كل أرجـاء اليـونان. وصل الصديقان إلى لاكونيا سراً، وهنـاك اختطفـا هيلين، وهي ترقص مع زميـلاتهـا بمـرح أثنـاء عيـد أرتيميس. اختطف ثيسيوس وبيرثوس هيلين، وانطلقا بها نحو جبال أركاديا، ومن هناك عبر كورنث واستم، إلى أن وصـلا أثينـا في أتيكـا. انـدفـع الأسبارطيون يطاردونهما، لكنهم لم يتمكنوا من اللحاق بالخاطفين. بعد أن أخفى الصديقان هيلين في أثينا، رميـا القـرعـة لمعـرفـة من منهـما سيفـوز بالحسنـاء السـاحـرة. فكانت من نصيب ثيسيـوس. وقبـل ذلـك كان الصـديقان قد أقسما لبعضهما أن يقوم من يفوز بهيلين بمساعدة الآخر في العثور على زوجته. وقد طالب بيرثوس ثيسيوس أن يساعده في الحصـول على برسفـونـة زوجة هادس، حاكم مملكة أشباح الموتى. وقد استفظع ثيسيـوس الأمـر، لكن ماذا كان بوسعـه أن يفعـل؟ فقـد كان قد أقسم اليمـين، ولا يستطيع أن يحنث بيمينه. وهكذا فقـد اضطـر لأن يرافق بيرثـوس إلى مملكـة المـوتى. نزل الصـديقـان إلى العـالم السفـلي، عبر الصـدع المظلم، قرب قريـة كولون، غير بعيد عن أثينا. وهناك في مملكة الأهوال مثل الصديقان أمام هادس، وطـالبـاه أن يسلمهـما برسفونة. استبد السخط بحاكم مملكة الموت الكئيب، لكنه أخفى غيظـه، وعـرض على البطلين أن يجلسـا على العرش المحفور في الصخر، لدى بوابة عالم الأموات. ولم يكد البطلان يجلسان على العرش حتى التصقا به،

ولم يعودا قادرين على الحركة. على هذا النحو عاقبهما هادس على طلبهما التجديفي . .

بينما كان ثيسيوس في مملكة هادس كان كاستر وبولوكس أخوا هيلين الحسناء يبحثان عن أختهما في كل مكان . وأخيراً عرفا أين خبأ ثيسيوس هيلين . وللحال حاصرا أثينا، فلم تصمد هذه القلعة الحصينة في وجههما . فقد فتح كاستر وبولوكس القلعة، وحررا أختهما، ثم أخذا ايترا والدة ثيسيوس أسيرة . أما مقاليد الحكم في أثينا فقد سلمها كاستر وبولوكس لمينيستيوس، عدو ثيسيوس القديم . أمضى ثيسيوس فترة طويلة في مملكة هادس، حيث ذاق الأمرين . إلى أن حرره هرقل، بطل الأبطال.

عاد ثيسيوس من جديد إلى ضوء الشمس، لكن هذه العودة لم تكن سعيدة . فقد وجد أسوار أثينا وقد تهدمت، وأن هيلين قد أطلق سراحها، وأن والدته أسيرة في اسبارطة، وأن ولديه ديموفون وأكاماس قد اضطرا للفرار من أثينا، بينما كانت السلطة كلها في يد عدوه اللدود مينيستيوس . غادر ثيسيوس أتيكا إلى أملاكه في جزيرة أثيبا، والآن أصبح سوء الطالع يرافق ثيسيوس في حله وترحاله . فليكوميد، ملك سيروس، لايريد إعطاءه أملاكه، وقد استدرج البطل العظيم إلى صخرة عالية، والقى به في البحر. هكذا مات أعظم أبطال أتيكا بيد غادرة . وبعد مرور سنوات عديدة على موت مينيستيوس عاد ابنا ثيسيوس إلى أثينا، بعد الحملة على طروادة . وهناك في طروادة عثر ولدا ثيسيوس على أمه ايترا . وكان قد جلبها إلى هناك أمة باريس، ابن ملك بريام، مع هيلين الحسناء، التي اختطفها .

ميلياغروس[١٠٠] :

أثار أونوس، ملك كاليدونيا، ووالد البطل ميلياغروس سخط الربة

أرتيميس، ففي أثناء الاحتفال بجني الثمار في بساتينه وكرومه قدم الأضاحي السخية لآلهة الأولمب، إلا أرتيميس لم يضح لها. وقد عاقبت أرتيميس أونوس على هذا، فسلطت على بلاده خنزيراً برياً رهيباً. وراح هذا الخنزير الكاسر الضخم يزرع الخراب والدمار في ضواحي كاليدونيا. فكان يقتلع بأنيابه الهائلة الأشجار من جذورها، ويدمر كروم العنب وأشجار التفاح المغطاة بالأزهار الفضية. ولم يرحم الخنزير الناس إذا ماصادفهم في طريقه. كانت المصائب تسود ضواحي كاليدونيا. وحين رأى ميلياغروس، ابن أونوس، هذا الحزن العام قرر تنظيم حملة صيد على هذا الخنزير وقتله. ودعا للاشتراك في هذا الصيد الخطير جميع أبطال اليونان. وقد شارك في حملة الصيد هذه كاستر وبولوكس القادمان من اسبارطة، وثيسيوس من أثينا، والملك أدميتوس من فيريس، وجازون من إيولكوس وإيولاس من طيبة، وبيرثوس من تساليا، وبيلياس من ثتي، وتيلامون من جزيرة سالامين، وغيرهم من الأبطال الكثيرين. ومن أركاديا جاءت أتالانتا السريعة في الجري كالظبي السريع. وكانت قد ترعرعت في الجبال، حيث أعز والدها بنقلها إلى الجبال حال ولادتها، لأنه لم يكن يرغب في أن تكون لديه بنات. وهناك في المغارة كانت الدبة هي مرضعة أتالانتا، وقد ترعرعت بين الصيادين. فكانت أتالانتا لاتقل عن أرتيميس نفسها مهارة في الصيد.

استمر الأبطال تسعة أيام في ضيافة أونوس، المعروف بكرم وفادته. وأخيراً انطلقوا لصيد الخنزير البري. ورددت الجبال المجاورة نباح أسراب الكلاب العديدة. وقد اكتشفت الكلاب الخنزير الضخم، وانطلقت في إثره. وها قد ظهر الخنزير المندفع كالزوبعة والكلاب في أعقابه. واندفع الصيادون ناحيته. كان كل منهم يريد أن يكون أول من يطعنه برمحه، لكن القتال كان قاسياً ضد هذا الخنزير الوحش، وقد ذاق طعم أنيابه الهائلة أكثر من صياد. حتى أن الخنزير صرع بأنيابه أنكيوس، الصياد الأركادي المقدام، حين لوح ببلطته ذات الحدين، يريد أن

يقتل الخنزير. وحينذاك شدت أتالانتا قوسها الرائع، ورمت الخنزير بسهم حاد. وفي هذه اللحظة وصل ميلياغروس. وبطعنة جبارة من رمحه قتل الخنزير الضخم، وانتهى الصيد، وفرح الجميع بالتوفيق الذي حالفهم.

لكن لمن تمنح الجائزة؟ فقد شارك في الصيد الكثير من الأبطال. وكثيرون منهم أصابوا الخنزير بجراح برماحهم الحادة. ودب الخلاف على الجائزة، ولما كانت الربة أرتيميس ساخطة على ميلياغروس لأنه قتل خنزيرها فقد راحت تغذي نار الفتنة.

وقد أدت هذه الفتنة إلى اندلاع الحرب بين الإيتوليين، سكان كاليدونيا، وبين الكوريت، سكان مدينة بليفرون، المجاورة. وقد ظل النصر حليف الإيتوليين مابقي البطل الجبار ميلياغروس يحارب في صفوفهم.

وفي غمار المعركة صدف أن قتل ميلياغروس أخ أمه ألثيا، ولاتسل عن حزن ألثيا حين عرفت نبأ موت أخيها المحبوب، وثارت ثائرتها، إذ نمى إليها أن أخاها قد لقي حتفه على يد ولدها ميلياغروس. وفي ثورة غضبها على ابنها توسلت ألثيا للملك هادس الكئيب، ولزوجته برسفونة أن يعاقبا ميلياغروس. ومن شدة غضبها دعت الايرينات المنتقمات أن يسمعن دعاءها. وغضب ميلياغروس حين عرف أن أمه دعت عليه بالهلاك، وهو ولدها، فغادر ساح الوغى. وجلس حزيناً، مائلاً برأسه على يديه في مخدع زوجته الحسناء كليوباترة. ومإإن توقف ميلياغروس عن القتال في صفوف الإيتوليين حتى رجحت كفة الكوريت. فحاصروا كاليدونيا الغنية، وأصبحت المدينة مهددة بالهلاك وقد راح شيوخ كاليدونيا يتوسلون إلى ميلياغروس أن يعود إلى صفوف الجيش، لكن دون جدوى، حتى أنهم عرضوا على البطل جائزة كبيرة، لكنه لم يستجب لتوسلاتهم. وقد جاء أونوس، والده الكهل، جاء بنفسه إلى مخدع كليوباترة، زوجة ميلياغروس، وراح يقرع الباب المغلق، ويرجو ميلياغروس أن ينسى غضبه، فالخطر يتهدد موطنه كاليدونيا. لكن

ميلياغروس لم يصغِ له. وراحت أخته وأمه وأصدقاؤه المحبوبون يتوسلون إليه أن ينجدهم. ولكن ميلياغروس ظل متشبثاً برفضه. وفي هذا الوقت كان الكوريت قد استولوا على أسوار كاليدونيا، وأضرموا النار في منازل المدينة بغية حرقها كلها. وأخيراً اهتزت تحت وقع الضربات جدران الجناح، الذي يوجد فيه ميلياغروس. وحينذاك ركعت زوجته الشابة، وقد تملكها الهلع، عند قدميه، وراحت تتوسل إليه أن ينقذ المدينة من الهلاك. وقد دعته إلى التفكير بذلك المصير الذي سيحيق بالمدينة وسكانها، وأن يفكر بأن المنتصرين سيأخذون الأولاد والزوجات عبيداً لهم. فهل يعقل أن يريد أن تلقى مثل هذا المصير؟ أصغى ميلياغروس الجبار لتوسلات زوجته، فقام على جناح السرعة بارتداء الدروع المتلألئة، وتمنطق بسيفه، وحمل الترس الضخم بيد والرمح بالأخرى. دخل ميلياغروس المعركة، فصد الكوريت، وأنقذ كاليدونيا موطنه. لكن الموت كان بانتظار ميلياغروس. فقد سمع آلهة مملكة الأشباح الموتى دعوات ألثيا ولعناتها. وسقط ميلياغروس في ساح الوغى، بعد أن أصيب بسهم ذهبي قاتل، أطلقه الإله أبولون النبّال، وطارت روح ميلياغروس إلى مملكة الأشباح الكئيبة[١٠١].

كيباريسوس[١٠٢]:

في وادي كارثيوس، في جزيرة كيوس[١٠٣] كان يعيش وعل منذور للحوريات. كان هذا الوعل في غاية الروعة. كان قرناه المتفرعان مذهبين، وكان عقد ماسي يزين عنقه، ومن أذنيه كانت تتدلى الحلي الكريمة. وكان الوعل قد نسي الخوف من الناس، فكان يدخل بيوت السكان، ويمد عنقه بكل طيبة خاطر لكل من كان يرغب في مداعبته، جميع السكان كانوا يحبون هذا الوعل، لكن أكثرهم حباً له كان كيباريسوس، ابن ملك كيوس، والصديق المحبوب لأبولون

النبال. كان كيباريسوس يقود الوعل إلى الروابي، ذات الأعشاب الة
الجداول الرقراقة، وكان يزين قرنيه القويين بأكاليل الزهور العبقة،
كيباريسوس الشاب، وهو يلعب مع الوعل، يمتطي ظهره، فيطـ
كارثيوس المزهر.

كان الوقت عند الظهر من نهار صيفي حار، وكانت الشـ
شواظها، وكان الجو كله مشبعاً بالقيظ. وكان الوعل قد اختبأ في الـ
شمس الهاجرة، ورقد في الخميلة. وبالمصادفة كان كيباريسوس يصـ
الذي كان يرقد فيه الوعل. ولم يعرف وعله المحبوب، لأن الأوراق
فرماه برمحه الحاد، فأصاب منه مقتلاً. ولا تسل عن حزن كيباريسوس
اكتشف أنه إنما قتل وعله. ومن شدة حزنه أراد أن يموت معه.
يواسيه، لكن دون جدوى، كان حزنه لا يواسى، وبدأ يتوسل إلى
القوس الفضي، أن يدعه حزيناً إلى الأبد. وقد استجاب أبولون لتو
الشاب إلى شجرة، وتحول شعره إلى أوراق إبرية خضراء داكنة.
جسمه. وقف الشاب شجرة سرو ممشوقة أمام أبولون ومثل السهم
ترتفع نحو السماء. وأطلق أبولون زفرة أسى. وقال:

- لسوف أبقى أندبك أبداً أيها الشاب الرائع، ولسوف تبقى
لمصاب الآخرين. كن أبداً مع الذين يحزنون ويندبون.

ومنذ ذلك الحين واليونانيون يعلقون أغصان السرو عند أ
الذي يوجد فيه ميت، وكانوا يزينون بأوراقه الإبرية محارق الدفـ
يحرقون عليها جثمان الميت، كما كانوا يزرعون أشجار السرو عند القبـ

سيكس والكيونة:

كان سيكس، ابن إله نجمة الصبح فوسفور، ملكاً على

وكـانت زوجتـه الكيونة الحسناء، ابنة إله الرياح إيليوس. وفي ذات مرة قرر، وقد سيطـرت عليـه الهواجس والوساوس، أن يذهب إلى معبد أبولون في دلفي، لكي يسأل الإله عن مستقبله. ولم يكن بمقدور سييكس أن يسافر بطريق البر، لأن الفليغريين [١٠٥] كانوا يقطعونه، فقرر أن يسافر بحراً. وحين أخبر سييكس زوجته الكيونة بعزمه، دب في قلبها الرعب. وعبثاً راحت الكيونة تتوسل لزوجها أن يبقى في البيت، وأن لايأتمن البحر ورياحه على مصيره. فقد كانت ابنة إيليوس تعرف مدى رهبـة الـريـاح، التي تهب فوق البحر اللامحدود. وعبثاً راحت تتوسل إليه أن يأخذها معه، مادام قد عقد العزم على السفر في هذه الرحلة البعيدة. كانت تريد أن تشاطر زوجها كل مايرسل له القدر، أثناء هذه السفرة البحرية. لكن سييكس لم يغير رأيه. فقد وعد زوجته أن يعود قبل أن يصبح القمر بدراً مرتين.

أنزلوا المركب إلى البحر. ويهم سييكس بالسفر، لكن الكيونة لاتستطيع أن تفـارقـه، فقلبهـا يحدثهـا بوقـوع مكـروه كبـير. وتبكي الكيـونـة، وهي تعانق سييكس. وأخيراً تخلص بكل لطف من أحضانها، وقال لها للمرة الأخيرة:

- وداعاً.

- وداعاً ـ همست الكيونة بصوت بالكاد يسمع، مفعم بالحزن.

صعـد سييكس متن المـركـب، وبـدأ المجـذفـون الشباب يجدّفون بكل همة ونشـاط، فانـدفع المركب بسرعة على أمواج البحر. أما الكيونة فقد راحت تتابعه بعينيهـا المملوءتـين بالـدمـع، ورأت سييكس، وهـو يرسل لها من على متنه تحيته الأخيرة. وعادت الكيونة إلى القصر، وهي تنتحب.

كان المركب يبتعد أكثر فأكثر. وكانت الريح المواتية تدفع الأشرعة. وبالكاد كان البحـر يضطـرب. كان يبدو وكأن كل شيء يبشر برحلة سعيدة. ومع حلول المسـاء كان المـركب قد قطـع نصف الطريق. وفجأة هبت فوق البحر ريح جنوبية عاصفـة، وتجهم البحـر، وراحت تتـدحرج على سطحه الأمواج العاتية المزبدة.

وعبثاً يعطي الربان إيعازاته بتثبيت الأشرعة ، فلم تكن إيعازاته مسموعة وكان هزيم العاصفة يئدها . وشيئاً فشيئاً تزداد شدة الريح ، التي راحت تهب من جميع الجهات ، وتندفع هائجة فوق البحر ، فيغلي البحر الهائج ، ويصطخب . وترتفع الأمواج العاتية أعلى فأعلى ، لكأنها تريد بلوغ السماء . أما السماء فكانت مغطاة بالسحب السوداء ، وتزداد كثافة العتمة شدة ، وتخترق سجف الظلمة البروق الساطعة ، التي تضيء الأمواج الرهيبة للحظة واحدة . وتدفقت سيول المطر من السحب السوداء . ولم يعد بمقدور المركب الصراع ضد العاصفة الرهيبة ، ويبدأ يمتلىء بالماء . أصبح الهلاك حتمياً . ويدرك سييكس ذلك ، لكنه لا يفكر إلا بالكيونة ، ولاتنطق شفتاه إلا باسمها . وترتفع موجة عاتية بشكل مخيف ، ثم تنقض على المركب فتحطمه أشلاء . واستطاع سييكس الامساك بإحدى قطع المركب ، لكن ذلك لم ينقذه من الهلاك ، فقد ابتلعته أمواج البحر .

كم انتظرت الكيونة عودة سييكس ، وكم توسلت إلى آلهة الأولمب أن رسلوا له ريحاً مواتية ، وإلى هيرا أن تعيد لها زوجها سعيداً سليماً . ولم تكن هيرا نريد أن تتوسل لها الكيونة بشأن ميت . فعمدت الربة العظيمة ، زوجة زوس ، قاذف الصواعق ، إلى استدعاء إيريدا ، وأمرتها بأن تطير إلى هيبنوس إله النوم ، وتامره بأن يكشف لألكيونه في الحلم عن موت سييكس .

انطلقت إيريدا على أجنحتها القوس قزحية ، إلى أقصى الغرب ، حيث يقطن هيبنوس ، ولم يمض من الوقت إلا أقله حتى وصلت الكهف العميق ، الذي لاتنفذ إليه أشعة الشمس أبداً . وكان الهدوء يخيم على الكهف ومن حوله ، ولم يكن يسمع إلا الخرير الهادىء لجدول عند مدخل الكهف ، فيرسل النوم بخريره . وعند الكهف كانت تنمو بكثافة نبتة الخشخاش والأعشاب المنومة ، وفي كل مكان كانت ترتفع ألسنة الضباب الداكن ، فتلفع كل ماحولها بالظلام الدامس . ولم تكد إيريدا تدخل الكهف المظلم حتى انقشعت الظلمة واستنار

بضيــاء قوس قزح . كان الإلــه هيبنــوس نائــماً في الكهف ومن حولـه كانت ترقـد الأحــلام ، وكــانت كثـيرة ، كثـرة الأوراق في الغـابـة ، كثـرة السنـابـل في السهل الخصب . نهض الإلـه هيبنـوس نصف نهضـة على فراشـه ، وبـالكاد استطاع أن يفتـح عينيـه ، ثم سأل إيـريدا عن سبب قدومها إليه . بلغت إيريدا هيبنوس أوامر هيرا العظيمة ، فنادى هيبنوس ابنه مورفيوس ، وأمره بتنفيذ رغبة هيرا .

وفي ظلمة الليل الدامس انطلق مورفيوس على جناحيه اللذين لايصدران أي صوت ، فوصـــل تراشنـــا . وهنــاك اتخـذ هيئـة سييكس ، وانحنى فوق فراش الكيـونـة . كان شبـح سييكس يقف شاحبـاً أمـام الكيونة . ومن على ذقنه وشعره كانت تسيـل ميـاه البحـر المالحة ، وقد أخبر زوجته بموته في لجة البحر . وفي الحلم مدت الكيونة له يديها ، وهمست للشبح المبتعد :

ـ ابق . إلى أين تندفع؟ لنذهب سوية .

استيقظت الكيـونـة . وراحت تبحث عن سييكس ، فلم تعثر له على أثر . وأدركت أن زوجها قد هلك . وانفطر قلبها من شدة الحزن ، فهي لاتريد أن تعيش بدون زوجها المحبوب .

ومــا إن بدأ الفجـر ينبلج حتى خرجت الكيـونـة من القصـر ، وذهبت إلى شاطىء البحر العالي وقد سيطر عليها اليأس . وقفت تنظر إلى أمواج البحر ، التي انتـزعـت منهـا زوجهـا . وبـدأت الظلمـة تتـلاشىء ، وحل الصباح . فبدت أبعاد البحـر بوضـوح . وفجأة رأت الكيـونـة أن الأمواج تحمل نحو الشاطىء بهدوء جثة غريق . وتمعن الكيـونـة النظـر ، وتكتشف فجأة أن الغـريق هو سييكس ، ومـدت الكيونة يديها نحوه ، ثم ألقت بنفسها من على الشاطىء العالي فتلقفتها أمواج البحر .

إن طائر القرلي ، الذي تحولت إليه الكيونة ، يطير فوق البحر ، وهو يلامس بجنـاحيـه ذرى أمواجه ، ويتردد بعيداً صياحها الحزين . وانحنت الكيونة ـ الطائر

فوق جثة سييكس، وكأنها تحتضنه بجناحيها، وتقبله بمنقارها، وأحس سييكس بقبلات زوجه هذه، فحوله الآلهة بدوره إلى طائر القرلي. وطار فوق أمواج البحر طائرا القرلي، متجهين نحو الشاطىء، وأجنحتهما تتلألأ. ومن جديد عاد سييكس والكيونة معاً، لايفارق أحدهما الآخر، ومن جديد عاد حبهما قوياً.

وحين تكون القرلي ـ الكيونة ترقد على البيض في عشها، المعلق فوق الماء، فإن أمواج البحر تكون هادئة. حيث يقوم إيليوس، والد الكيونة، بالسهر عليها، ولايسمح للرياح بالهبوب العاصف، إنه يسهر على طمأنينة ابنته وراحتها(١٠٦).

أورفيوس ويوريدس(١٠٧):

أورفيوس في العالم السفلي: كان المغني العظيم أورفيوس، ابن واغروس، إله النهر وكليوبة، ربة الشعر والموسيقى، يعيش في تراقيا البعيدة(١٠٨). وكانت زوجته هي الحورية الحسناء يوريدس. كان أورفيوس متيماً بحبها، لكنه لم يتمتع بالحياة السعيدة طويلاً مع زوجته. فبعد العرس بفترة قصيرة، وبينما كانت يوريدس تجمع الأزهار الربيعية مع صديقاتها الحوريات الشابات في واد أخضر، داست على أفعى دون أن تراها. فلدغت الأفعى زوجة أورفيوس الشابة في قدمها. أطلقت يوريدس صرخة قوية، ووقعت على أيدي صديقاتها اللواتي هرعن لنجدتها. شحب وجه يوريدس، وأغمضت عينيها. وقضى سم الأفعى على حياتها. ولاتسل عن خوف صديقات يوريدس، ورحن يندبنها، فيتردد بكاؤ هن بعيداً، إلى أن تناهى إلى سمع أورفيوس. فانطلق إلى الوادي على عجل، وهناك رأى جثة زوجته الحبيبة. فكاد قلبه ينفطر من شدة الحزن، ولم يستطع تحمل هذه الخسارة الفادحة. أمضى أورفيوس فترة طويلة يندب يوريدس، وقد شاركته الطبيعة كلها بكاءه، وهي تسمع غناءه الحزين.

أخيراً قرر أورفيوس النزول إلى مملكة أرواح الموتى المظلمة، لكي يتوسل إلى هادس وبرسفونة أن يعيدا إليه زوجته. نزل أورفيوس عبر كهف تينار المظلم نحو ضفاف نهر ستيكس المقدس.

وقف أورفيوس على ضفة ستيكس لايعرف كيف ينتقل إلى الضفة الأخرى، حيث تقع مملكة هادس، ومن حول أورفيوس تتزاحم أشباح الموتى. بالكاد يسمع أنينهم. الشبيه بحفيف الأوراق، التي تسقط في الغابة في نهاية الخريف. وها قد سمع من بعيد صوت اصطفاق المجاذيف. إنه زورق شارون، ناقل أرواح الموتى، قادم. ورسا شارون إلى الضفة. ويتوسل إليه أورفيوس أن ينقله مع الأرواح إلى الضفة الأخرى، لكن شارون الصارم لم يصغ له، ومهما توسل إليه أورفيوس فإنه لايسمع منه سوى رد واحد - «كلا».

وحينذاك داعب أورفيوس أوتار القيثارة فترددت أنغامها الشجية عبر ضفاف ستيكس. سحر أورفيوس شارون بموسيقاه. فكان يصغي إلى عزف أورفيوس وهو مستند إلى المجذاف. وعلى أنغام الموسيقى دخل أورفيوس القارب ودفع شارون القارب بالمجذاف بعيداً عن الضفة، فانطلق القارب عبر مياه ستيكس المظلمة، أوصل شارون أورفيوس إلى الضفة الأخرى، فخرج الأخير من القارب، وسار، وهو يعزف على القيثارة الذهبية، قاصداً هادس، المحاط بالأرواح، التي جذبتها أصوات قيثارته.

دنا أورفيوس من عرش هادس، ثم انحنى أمامه، وراح يداعب أوتار القيثارة بقوة، ثم أطلق عقيرته. راح يغني عن حبه ليوريدس، وكم كانت حياته سعيدة معها أيام الربيع المشرقة الصاحية. لكن أيام السعادة ولت بسرعة، وماتت يوريدس. غنى أورفيوس عن مصيبته عن عذاب الحب المحطم، وعن الحنين إلى الحبيبة الراحلة. كانت كل مملكة هادس قد تحولت إلى آذان صاغية، تسمع غناء أورفيوس، الذي سحر الجميع بغنائه. أما هادس فكان يصغي لأورفيوس وقد

أطرق برأسه . وكانت برسفونة تصغي إلى الأغنية ، وقد أسندت رأسها إلى كتف زوجها ، وكانت دموع الحزن تتراقص على أهدابها . ونسي تانتال ، الذي سحرته ايقاعات الأغنية ، عذاب الجوع والعطش ، وتوقف سيزيف عن عمله القاسي العقيم ، وجلس على تلك الصخرة التي كان يدحرجها نحو الأعلى ، واستغرق في التفكير . ووقفت الدانائيد ، وقد فتنهن الغناء ، فنسين وعاءهن المثقوب . حتى الربة هيكات الرهيبة ، ذات الوجوه الثلاثة ، غطت وجوهها لكي لاتظهر الدموع في عينيها . وترقرقت الدموع في عيني الايرينات ، اللواتي لايعرفن الشفقة ، لقد أثر أورفيوس عليهن بغنائه . لكن هاهي ذي أنغام القيثارة الذهبية تضعف رويداً رويداً ، وشيئاً فشيئاً تخبو اغنية أورفيوس ، إلى أن تلاشت كزقزقة الحزن الخافتة .

خيم الصمت العميق في كل مكان . وقد شق سجفه هادس ، إذ سأل أورفيوس عن الغرض من قدومه إلى مملكته ، وماذا يريد أن يطلب منه . وقد أقسم هادس ، قسم الآلهة الثابت ـ بمياه نهر ستيكس ـ أنه سينفذ طلب المغني الرائع .

فأجاب أورفيوس هادس :

ـ أيها الحاكم العظيم هادس ، إنك تستقبلنا نحن الفانين جميعاً في مملكتك حين تنتهي أيام حياتنا . إنني لم آت هنا لكي أنظر إلى تلك الفظائع ، التي تملأ مملكتك ، ولا من أجل أن آخذ حارس مملكتك سير بير ، ذا الرؤوس الثلاثة ، كما فعل هرقل . إنما أتيتك كي تسمح لزوجتي يوريدس بالعودة إلى الأرض . هلا أعدتها إلى الحياة . وأنت ترى كم أتعذب بسبب رحيلها . فكر أيها الحاكم فلو أنهم انتزعوا منك زوجتك برسفونة إذن لتعذبت أنت أيضاً . ثم إنك لن تعيد لي يوريدس إلى الأبد ، فلسوف تعود إلى مملكتك من جديد . إن حياتنا قصيرة أيها الملك هادس . هلا تركت يوريدس تتذوق لذة الحياة . فلقد نزلت إلى مملكتك وهي في ميعة الصبا .

فكر هادس ملياً ، وأخيراً أجاب أورفيوس :

ـ طيب ياأورفوس، لسوف أعيد يوريدس لك، فردها إلى الحياة، إلى ضوء الشمس، لكن عليك أن تذكر شرطاً واحداً: سوف تقتفي أثر الإله هرمس، الذي سيقودك، ومن خلفك ستسير يوريدس. لكن عليك أن لا تلتفت إلى الوراء، وأنت تسير عبر العالم السفلي. ولاتنس أن يوريدس سوف تغادرك بمجرد أن تلتفت وتعود إلى مملكتي إلى الأبد.

كان أورفيوس موافقاً على كل شيء. وكان يريد العودة بأسرع وقت. وجلب هرمس، السريع، سرعة الخاطر، شبح يوريدس. وراح أورفيوس ينظر إليها بابتهاج. ويهم أورفيوس بعناق شبح يوريدس، لكن هرمس يوقفه بقوله:

ـ إنك ياأورفيوس إنما تعانق ظلاً. لنذهب بسرعة، فطريقنا صعب.

انطلق الاثنان، هرمس في المقدمة، ومن خلفه أورفيوس، ثم يوريدس من ورائهما. ولم يمض من الوقت إلا أقله حتى قطعوا مملكة هادس. وقام شارون بنقلهم في قاربه عبر نهر ستيكس. وهاهو الدرب، الذي يقود إلى سطح الأرض. الطريق صعب. كان الدرب يتجه نحو الأعلى بشكل حاد، وكان فيه الكثير من الأحجار. وفي كل مكان كان يخيم الغبش الدامس، وبالكاد ترتسم فيه قامة هرمس السائر في المقدمة. وهاقد لاح الضوء بعيداً أمامهم. إنه المخرج. وبدا وكأن كل شيء أصبح أكثر تمييزاً. ولو أن أورفيوس التفت إذن لرأى يوريدس. لكن هل هي وراءه؟ ألم تبق في مملكة أرواح الموتى الملأى بالعتمة؟ وربما تكون قد تخلفت، فالطريق في غاية الصعوبة. وإذا ماتخلفت يوريدس فلسوف تبقى إلى الأبد تجوس في الظلمة. ويبطىء أورفيوس في سيره، ويصيخ السمع، فلا يسمع شيئاً. لكن هل يمكن سماع خطوات الظل الذي لاجسد له؟ وشيئاً فشيئاً تزداد مخاوف أورفيوس على يوريدس، وراح يتوقف أكثر فأكثر، ومن حوله يبدو كل شيء وقد ازداد وضوحاً. والآن أصبح بمقدور أورفيوس أن يميز شبح زوجته بكل وضوح.

أخيراً، وبعد أن نسي كل شيء، توقف أورفيوس والتفت. وإلى جانبه تقريباً رأى ظل يوريدس. فمد أورفيوس يديه لها، لكن العتمة راحت تبتلع الظل رويداً رويداً. وقف أورفيوس مكانه وكأنه تحجر، وقد استولى عليه اليأس. لقد رزيء مرتين بموت يوريدس، وكان هو نفسه سبب موتها الثاني هذا.

ظل أورفيوس واقفاً فترة طويلة. كان يبدو وكأنه فارق الحياة، لكأن هذا الواقف مجرد تمثال من المرمر. أخيراً تحرك أورفيوس، خطا خطوة وأخرى، ثم قفل عائداً نحو ضفاف ستيكس المظلم. لقد قرر أن يعود من جديد إلى عرش هادس، ويتوسل إليه من جديد أن يعيد له يوريدس. لكن شارون العجوز لم ينقله عبر نهر ستيكس في قاربه سهل الانقلاب. ولم تجد كل توسلاته فتيلاً ـ فلم تؤثر توسلات المغني على شارون الصارم. سبعة أيام وسبعة ليالي أمضى أورفيوس الحزين على ضفة ستيكس يذرف دموع الحزن، وقد نسي الطعام وكل شيء. وراح يشكو من آلهة مملكة أرواح الموتى المظلمة. وفي اليوم الثامن فقط قرر أورفيوس مغادرة ضفاف ستيكس والعودة إلى تراقيا.

موت أورفيوس: أربع سنوات مرت على موت يوريدس، لكن أورفيوس ظل على عهده في إخلاصه لها. ولم يرغب في الزواج من أية امرأة تراقية. وفي ذات مرة، مع بداية الربيع، حين ظهرت على الأشجار تباشير الخضرة، كان المغني العظيم جالساً على تلة عالية. وكانت قيثارته الذهبية عند قدميه. رفعها المغني، وداعب أوتارها بحنان، ثم أطلق عقيرته، فسحر الطبيعة كلها بغنائه الشجي، كان غناؤه يمور بالقوة، التي فتنت الوحوش الكاسرة، فتزاحمت من حوله، بعد أن تدفقت من كل الأحراج والجبال المجاورة. كما جاءت الطيور لتستمع إلى المغني. حتى الأشجار تحركت من أماكنها وأحاطت بأورفيوس، فالبلوط والحور والسرو والممشوق والدلب ذات الأوراق العريضة وأشجار الصنوبر

والشـوح كلهـا تجمهـرت من حول أورفيـوس، وراحت تصغي إليه، ولم يكن يهتز عليها أي غصن ولا ورقة.

فجأة ترددت في البعيـد صيحـات قوية ورنين الصنوج والضحكات. إنهن البـاخـانت يحيـين عيد باخ المرح والصاخب. ومإإن اقتربن ورأين أورفيوس حتى صاحت إحداهن بصوت قوي:

- هاهو ذا كاره النساء.

لوحت إحـدى البـاخـانت بالعصـا، ورمت أورفيوس بها، لكن اللبلاب الملتف حول العصـا، أنقـذ المغني. فرمتـه امرأة أخرى بحجر، لكن الحجر سقط مفتوناً بالغناء عند قدمي أورفيوس، لكأنه يطلب منه الصفح. وشيئاً فشيئاً راحت تقـوى صيحـات البـاخـانت من حول المغني، ويقـوى إيقـاع آلات الفليت وقرع الصنـوج. طغى ضجيـج الاحتفـال على غنـاء أورفيـوس، واحـاطت الباخانت بأورفيـوس، كأنهن سرب من الطيـور الجـارحـة. وكما حبات البرد راحت تتساقط عليـه العصي والأحجـار. وعبثاً راح أورفيوس يطلب الرحمة، فلم تصغ الباخانت المجنـونـات له، لصـوته، الذي كان يطيعه الشجر والحجر. سقط أورفيوس على الأرض مضـرجـاً بدمـه، وطـارت روحـه، أمـا الباخانت فقد مزقن جثته بأيديهن الملطخة بالدم[١٠٩]، وألقين برأسه وقيثارته في مياه نهر هيروس السريعة[١١٠]. وكانت المعجـزة، فأوتـار القيثـارة، التي حملتها أمواج النهر، راحت تعزف بصوت ضعيف لكأنها تندب المغني الراحل، فترد عليها الضفة بحزن وأسى. الطبيعة كلها كانت تبكي أورفيـوس، بكت الأشجـار والأزهـار، الـوحـوش والطيور، حتى الصخور الصم بكت، وازدادت الأنهار غزارة بسبب ماذرفت من دموع. وتعبيراً عن الحزن حلت الحوريات والدائيد شعورهن، وارتدين الثياب الداكنة.

حمل هيروس رأس أورفيوس وقيثارته بعيداً، نحو البحر الواسع، أما أمواج البحر فحملت القيثارة إلى ضفاف لسبوس[١١١].

ومنـذ ذلـك الحـين تتردد ألحان الأغاني الساحرة على جزيرة لسبوس . وفيما بعد وضع الآلهة قيثارة أورفيوس الذهبية في السماء بين الأبراج[112] .

نزلت روح أورفيوس إلى مملكة الأشباح ، ورأت من جديد تلك الأماكن ، التي بحث فيهـا أورفيـوس عن يوريـدس . ومن جديـد التقى المغني العظيم ظل يوريـدس ، فضمهـا بكـل حب بين أحضانه . ومنذ ذلك الحين أصبح بوسعهما أن يكـونـا معـاً لايعـرف الفـراق طريقـه إليهما . يجوس ظل أورفيوس ويوريدس عبر الحقول المعتمة ، التي تنمو فيها الشجيرات . وبوسع أورفيوس الآن أن يلتفت دون خوف لكي يرى ماإذا كانت يوريدس خلفه .

هيـاسـانت[113] Hyacintha

كان هيـاسـانت ، الشـاب الجميـل ، الذي يعادل آلهة الأولمب بجماله ، ابن ملك اسبـارطـة ، وصـديقـاً للالـه النبـال أبـولون ، وغالباً ماكان أبولون يأتي إلى ضفـاف ايفـروت في اسبارطة ، قاصداً صديقه ، ويمضيان الوقت معاً ، يصطادان على سفوح الجبال في الغابات الكثيفة ، أويتسليان بألعاب الجمباز ، التي برع فيها الاسبارطيون .

وفي ذات يوم ، عنـد اقـتراب الظهـيرة الحـارة ، كان أبـولـون وهيـاسـانت يتبـاريـان في رمي القـرص الثقيل . كان القرص البرونزي يرتفع نحو السماء أعلى فأعلى . وهـا هو الالـه أبـولـون الجبـار يستجمـع كل قواه ويرمي القرص ، ارتفع القـرص عاليـاً حتى وصل الغيوم نفسها ، وهو يتلألأ كالنجم ، ثم راح يسقط نحو الأرض فجـرى هياسانت نحو المكان ، الذي كان يجب أن يسقط فيه القرص . كان يريـد أن يرفعـه بسـرعـة ويرمي به ، لكي يرى أبولون أنه ، وهو اللاعب الرياضي الشـاب ، لايقـل عنـه ، وهو الاله ، مهارة في رمي القـرص ، وقـع القـرص على

الأرض، وقفز بسبب السقوط، فأصاب بقوة هائلة رأس هياسانت الراكض. سقط هياسانت على الأرض وهو يئن، وتدفق الدم الأحمر القاني من الجرح، فصبغ شعر الشاب الجميل الفاحم.

جرى أبولون الخائف نحو صديقه، وانحنى فوقه، ثم رفعه قليلاً، ووضع رأسه الدامي على ركبتيه، وراح يحاول وقف الدم، الذي ينزف من الجرح. لكن كل محاولاته ذهبت سدى. فقد شحب وجه هياسانت، وانطفأت عيناه، اللتان كانتا تتلألأن أبداً، وتدلى رأسه عاجزاً، مثل تويج زهرة الحقول، التي تذبل تحت أشعة شمس الهاجرة. ويصرخ أبولون يائساً:

- إنك تموت ياصديقي الحبيب! يالها من مصيبة. يالها من مصيبة! لقد مت على يدي! لماذا رميت القرص! آه لو كان بمقدوري التكفير عن ذنبي، والنزول معك إلى مملكة أرواح الموتى الحزينة! لماذا أنا خالد، ولماذا لاأستطيع اقتفاء أثرك!

إن أبولون يمسك بين أحضانه بصديقه المحتضر، ودموعه تسقط على رأس هياسانت المضرج بالدم. مات هياسانت، وطارت روحه إلى مملكة هادس، أما أبولون فقد وقف فوق جثمان هياسانت، وهو يهمس:

- لسوف تبقى حياً أبداً في قلبي ياهياسانت الجميل، ولتبق ذكراك حية أبداً بين الناس.

ولم يكد أبولون ينتهي من كلامه حتى نبتت من دم هياسانت زهرة حمراء فواحه، إنها زهرة الزنبق، وعلى وريقاتها انطبع أنين حزن الإله أبولون. إن ذكرى هياسانت حية بين الناس، وهم يحتفلون به في الأيام المعروفة باسمه.

بوليفيم، غالاتيا وأسيس[١١٤]

كانت غالاتيا، النيرئيد الحسناء، متيمة بآسيس Acis الشاب، ابن

فونـوس . وكـان آسيس بدوره متيـماً بالنيرئيد . ولم يكن آسيس وحده الذي وقع في حب غالاتيا ، ففي ذات مرة رأى السيكلوب العملاق بوليفيم غالاتيا ، وهي تخرج من أمـواج البحـر اللازوردي ، تتألق بجـمالهـا ، فوقـع في حبها بجنون . يالعظمة جبر وتـلـك ياأفـروديت الـذهبيـة ! حتى في السيكلوب القاسي ، الذي لم يكن أحد يجرؤ على الـدنـو منـه دون عقاب ، والـذي كان يحتقر آلهة الأولمب ، حتى في هذا غرست بذار الحب . كان بوليفيم يحترق في سعـير الحب . فقـد نسي نعـاجـه وكهوفه . حتى أن السيكلوب المتوحش راح يهتم بجماله ، فهو يسرح شعره المنفوش بالمعول ، أما لحيته الكثة فيقصها بالمنجل . حتى أنه لم يعد متوحشاً ومتعطشاً للدم كما كان .

وفي هذا الوقت بالذات وصل سواحل صقلية العراف تيليموس ، الذي تنبأ لبوليفيم :

- إن البطل أوليس هو الذي سيسمل عينك الوحيدة الموجودة في جبهتك .

لكن بوليفيم رد على العراف بضحكة فظة ، ثم صاح :

- لقد كذبت ياأغبى العرافين . فلقد استولت واحدة أخرى على عيني .

كانت ثمـة تلة صخـريـة تدخل بعيداً في البحر ، وكانت تنحدر بشكل حاد نحو الأمواج المصطخبة أبداً . وغالباً ماكان بوليفيم يأتي مع قطيعه إلى هذه التلة ، حيث كان يجلس وقـد وضـع الهـراوة ، التي كانت بحجم صاري السفينة ، ويخرج مزمـاره ، المصنـوع من مئـة قصبـة ، ويروح ينفخ فيه بكل ماأوتي من قوة ، فتتردد الأصوات المتوحشة لمزمار بوليفيم بعيداً عن البحر والجبال والوديان ، وتبلغ مسامع آسيس وغـالاتيـا ، اللذين كانـا غالبـاً مايجلسـان في الكهف البـارد ، على ساحل البحـر ، غير بعيـد عن التلة ، كان بوليفيم يعـزف على المزمار ويغني . وفجأة وثب كالثـور الهـائـج . لقـد رأى آسيس وغالاتيا في الكهف على ساحل البحر ، فصرخ بصوت عال ، لدرجة أن اتنا ردد صداه :

- انني أراكما، طيب، لسوف يكون هذا لقاءكما الأخير.

خافت غالاتيا، ورمت بنفسها في البحر، وقد حمتها أمواج البحر، التي تربطها بها أواصر القربى، هرباً من بوليفيم. أما آسيس فقد لاذ بالفرار للنجاة بجلده. ثم مد يديه إلى البحر وصاح:

- ساعديني ياغالاتيا! انقذوني ياأهلي! خبئوني.

لحق السيكلوب بآسيس، وانتزع من التلة صخرة بكاملها، ولوح بها، ثم رمى آسيس بها. وقد أصاب بوليفيم الشاب المسكين بطرف الصخرة فقط، فهرسته. ومن تحت طرف الصخرة انبجس دم آسيس الأحمر القاني. وشيئاً فشيئاً يفقد الدم لونه القرزمي، ويصبح أفتح فأفتح. إلى أن أصبح شبيهاً بالنهر، الذي عكره المطر العاصف. ويزداد النهر بياضاً وشفافية، وفجأة تحطمت الصخرة، التي هرست آسيس، واخضوضر القصب الرنان في الشرخ، ومنه راح يتدفق الجدول الشفاف السريع. ومن الجدول ظهر النصف العلوي لشاب ذي وجه أزرق، وعليه إكليل من القصب، إنه آسيس، لقد أصبح إلهاً نهرياً.

ديوسكور - كاستور وبولوكس[١١٥]:

كانت ليدا Léda الحسناء ابنة ثيستيوس، ملك إيتوليا، زوجة لتنداريوس، ملك أسبارطة. اشتهرت ليدا في كل أرجاء اليونان بجمالها الفتان. وقد أصبحت ليدا زوجة لزوس، ورزقت منه بولدين: الابنة هيلين، الرائعة كالربة، والابن بولوكس، البطل العظيم. كما رزقت من تنداريوس بولدين أيضاً: الابنة كليتمنسترة والابن كاستور.

ورث بولوكس عن أبيه الخلود، أما أخوه كاستور فكان من الفانين. كلا الاخوين كانا بطلين يونانيين عظيمين. ولم يكن ثمة من يفوق كاستور في فن قيادة

العربة، فكان يكبح جماح أكثر الخيول شراسة. أما بولوكس فكان ملاكماً ماهراً، لامثيل له. وقد شارك الأخوان ديوسكور في الكثير من مآثر أبطال اليونان. وكانا أبداً معاً، وكان الحب الأنزه هو الذي يجمع بين الأخوين.

وكان لدى ديوسكور ابناعم هما لنسيوس وايداس، ولدا آفاريوس، ملك مسينا. كان إيداس مقاتلاً جباراً، أما أخوه لنسيوس فكان يتمتع بقدرة خارقة على الرؤية، لدرجة أن بصره كان ينفذ إلى باطن الأرض، ولم يكن أي شيء يخفى على لنسيوس. وفي ذات مرة اختطف ديسكور وابنا عمهما قطيعاً من الثيران من أركاديا، وقرروا اقتسام الغنيمة. وكان على إيداس أن يقوم بالقسمة. وطمع إيداس بالانفراد مع أخيه في الحصول على الغنيمة كلها، فقرر اللجوء إلى الحيلة. قسم إيداس أحد الثيران إلى أربعة أجزاء متساوية، ووزع هذه الأجزاء على الأبطال الأربعة، أخيه وديوسكور وهو نفسه، واقترح أن يكون نصف القطيع من نصيب أول من يأكل حصته، وأن يكون النصف الثاني من نصيب الفائز الثاني. التهم إيداس حصته بسرعة، وساعد أخاه على التهام حصته.

غضب كاستور وبولوكس حين رأيا أن إيداس قد خدعهما. وقررا أن ينتقما من ابني عمهما، اللذين كانت تربطهما بهما حتى الآن أواصر صداقة متينة. اقتحم كاستور وبولوكس ميسين، واختطفا ليس فقط القطيع المسروق من أركاديا، بل وجزءاً من قطيع إيداس ولنسيوس، كما عمدا إلى خطف خطيبتي ولدي عمهما.

كان الأخوان ديوسكور يعرفان أن إيداس ولنسيوس لن يغفرا لهما فعلتهما، فقررا أن يختبئا في جوف شجرة كبيرة، وينتظرا بدء مطاردة ابني عمهما لهما. كان الأخوان ديوسكور يريدان أن يهجما على ولدي عمهما بغتة، لأنهما كانا يخافان الدخول في القتال مع إيداس الجبار، الذي سبق له أن تجاسر على القتال مع أبولون نفسه، حين اختلف الاله ذو القوس الفضي معه من أجل ماربيسا(١١٦) الحسناء. لكن لم يكن بوسع الأخوين ديوسكور أن يختبئا عن عيني لنسيوس الذي

رآهما من فوق تايفيت العـالي في جوف الشجـرة، فانقض إيـداس ولنسيوس على الأخـوين ديـوسكو. وقبل أن يتمكنا من الخروج من مكمنهما رمى إيداس الشجرة برمحـه فأصـاب كاستـور في صدره. وهنـا انقض بولـوكس عليهـما، ولم يصمد ابنا أفاريوس في وجهه فلاذا بالفرار، لكنه لحق بهما عند قبر ابيهما، حيث قتل لنسيوس وبـدأ المعـركـة القـاتلة ضد إيـداس. لكن زوس أوقف هذه المبـارزة. فقـد رمى بصاعقة متلألئة، أحرق بها إيداس وجثة لنسيوس.

عاد بولـوكس إلى حيث يرقـد كاستـور، المصاب بجرح قاتل. بكى بحرقة وهـو يرى أن الموت يفـرق بينـه وبين أخيه. وهنا توسل بولوكس إلى أبيه زوس أن يدعـه يمـوت مع أخيـه. تجلى قاذف الصواعق لابنه وعرض عليه، إما أن يعيش إلى الأبد شاباً في محفل الآلهة على الأولمب، وإما أن يعيش مع أخيه يوماً واحداً في مملكـة هادس المظلمـة، وآخر على الأولمب المشرق. ولما لم يكن بولوكس يرغب في فراق أخيه فقد اختار أن يشاطره نصيبه. ومنذ ذلك الحين والأخوان يجوسان يوماً في الحقـول المظلمـة في عـالم أشبـاح الموتى وآخر مع الآلهة في قصر زوس العظيم. هذا ويكن اليونانيون للأخوين ديوسكور الاجلال الذي يكنونه للآلهة، فهما يساعدان في كل الملمات، ويحميان الناس، إن في الوطن، أو السفر، أو المهجر.

آتريـوس وثييستـوس[117]:

كان آتــريـوس وثييستـوس ولـدي بيلوبس. وكـان ميرتيلوس[118]، حوذي الملك أونـومـاوس، الـذي قتله بيلوبس غيلة، قد صب لعنتـه عليـه، وقـرن هذه اللعنـة بالجـرائم الكبـيرة وبهـلاك ذرية بيلوبس كلها. وقد اثقلت لعنة ميرتيلوس على أتــريـوس وثييستـــوس. فقـد ارتكبـا الكثـير من الفظـائـع، حيث قتـلا كريسيبـوس، ابن الحـورية اكسيونا من أبيهما بيلوبس. وكانت أمهما هيبوداميا هي

التي حرضتهما على قتل كريسيبوس، وبعد ارتكاب هذه الجريمة هربا من مملكة أبيهما، خوفاً من سخطه، والتجآ إلى ستيلينوس ملك ميسين، ابن بيرسيوس. وزوج أختهما نيسيبه. وبعد موت ستيلينوس، ومقتل ابنه أورستيه، الذي أسره يولاوس، على يد الكمينة، أم هرقل. أصبح آتريوس حاكم ميسين، لأن أورستيه لم يترك وراءه من يرثه. وقد دب الحسد في نفس ثييستوس من أخيه آتريوس، وقرر انتزاع السلطة من يده بأية وسيلة كانت. فقام بمساعدة إيروبه، زوجة أخيه آتريوس، باختطاف الخروف، ذي الجزة الذهبية، والذي كان الاله هرمس قد أهداه له. لقد سرق ثييستوس هذا الخروف لأن الآلهة قالت: «لسوف يحكم ميسين من يملك الخروف ذا الجزة الذهبية». بعد سرقة الخروف راح ثييستوس يطالب بتسلم مقاليد الحكم في المملكة. لكن زوس، قاذف الصواعق، غضب من ثييسيوس. وبإشارات سماوية أوحى لسكان ميسين أن ثييستوس يريد اغتصاب السلطة بطريقة غير شرعية. فرفض سكان ميسين الاعتراف بثييستوس ملكاً عليهم، مما اضطره لأن يهرب من ميسين للنجاة بجلده من بطش أخيه. وانتقاماً من أخيه قام خفية باختطاف بليستين، ابن آتريوس. وفي بلاد الغربة قام ثييستوس بتربية بليستين، وكأنه ولده، وراح يغذي فيه روح الكراهية ضد آتريوس. كان ثييستوس الداهية يريد استخدام بليستين أداة للانتقام من أخيه. وحين شب بليستين أرسله ثييستوس إلى ميسين لقتل آتريوس. لكن الشاب نفسه سقط قتيلاً على يد والده. ولاتسل عن حزن آتريوس حين عرف هوية الشاب الذي قتل. وقد أقسم أن ينتقم من أخيه، ووضع خطة غادرة وحشية. ومن أجل تنفيذ هذه الخطة تظاهر آتريوس أنه على استعداد لمصالحة ثييستوس، فطلب من أخيه العودة إلى ميسين. وحين عاد ثييستوس إلى ميسين راح يتآمر من جديد مع إيروبه، زوجة آتريوس، ضد الأخير، ولاهم له إلا قتل أخيه. كان آتريوس يعرف ذلك، فازداد تصميماً على الانتقام من أخيه

الغـادر. وهكـذا فقـد أوعـز باختطـاف ابني ثييستوس، الشابين بليستين وتانتال، وقتلهما. ومن جثتيهما أعد آتريوس وليمة فظيعة لأخيه.

دعا آتريوس ثييستوس إلى المأدبة، ووضع أمامه الأطباق المطبوخة من جثتي ولديه. تردد هزيم رعد زوس في السماء الصافية. كان قاذف الصواعق غاضباً من آتريوس على فعلته الشنيعة. وقد انتفض من هول الجريمة هيليوس إله الشمس الساطـع، فقفـل راجعـاً على عربتـه، التي تجرهـا الخيـول المجنحة، عائداً نحو الشرق، كي لايرى الأب وهويشبع من لحم ولديه. أما ثييستوس، الذي لم يخامره الشـك في شيء، فقـد جلس إلى المأدبـة وراح يأكـل بشهية، حتى شبع، وفجأة سيطـر عليـه هاجس غامض بوقوع مصيبة هائلة، فسأل آتريوس عن ولديه. وهنا نادى آتـريـوس الخـدم، وأمـرهـم أن يعـرضـوا على ثييستوس رأسي وأرجل ولديه بليستين وتانتال. بكى ثييستوس كثيراً، وقد رأى ولديه قتيلين، وراح يتوسل إلى آتـريـوس أن يسلمه جثتي ولديه ليدفنهما. لكن آتريوس رد عليه بأنه قد دفن ولديه بنفسه، لكن ليس في الأرض، بل فيه نفسه. وهنا أدرك ثييستوس أي طعام تناول لتـوه. فألقى بالمـائدة وسقط على الأرض ينتحب بشكل مخيف. ولم يلبث أن ثاب إلى رشـده، ثم انطلق يعدومن القصر، وهويصب لعناته على آتريوس وكل ذريته. غادر ثييستـوس ميسـين وهـو لايـرى شيئـاً ولايتذكر شيئاً، ثم لجأ إلى الصحراء. أمضى فترة طويلة مختبئـاً في الصحـراء، وأخيراً جاء إلى ثيسبر وتوس ملك ايبير، الذي آواه عنده.

غضب الآلهـة من آتـريوس بسبب فعلته الشنيعة. وعقاباً له سلطوا القحط على أرغـوليـد. ولم يعـد ينمـو شيء في الحقول وتفشى الجوع في أملاك آتريوس. كان النـاس يمـوتـون بالآلاف. ولـدى سؤال آتـريـوس العراف عن سبب المحنة أجابه العراف أن المحنة لن تنتهي إلا بعد أن يعاد ثييستوس إلى ميسين.

فتش آتريوس طويلاً عن أخيه في مختلف أنحاء اليونان، لكنه لم يتمكن

من كشف مخبئه . وأخيراً عثر على ولده الصغير ايجيستوس . جلب آتريوس ابن اخيه ايجيستوس إلى قصره حيث رباه وكأنه ولده .

مرت سنوات عديدة ، وفي ذات مرة عرف مينيلاوس وأغاممنون ، ابنا آتريوس ، بالصدفة أين يختبيء ثييستوس . وقد استطاعا اختطافه وجلبه إلى ميسين . لم يتصالح آتريوس مع أخيه . فقد زج به في السجن ، وصمم على قتله . وقد استدعى ايجيستوس ، وأعطاه سيفاً قاطعاً ، وأمره بالذهاب إلى السجن وقتل السجين هناك . لم يكن ايجيستوس يعرف هول المهمة التي كلفه بها آتريوس ، الذي كان يعتبره والدا له . ولم يكد ايجيستوس يدخل الزنزانة حتى تعرف ثييستوس على ولده . فكشف له الحقيقة ، وللتووضع الأب والابن خطة قتل آتريوس في السجن . عاد ايجيستوس إلى القصر ، وأخبر آتريوس أنه نفذ أوامره ، وقتل السجين . سر آتريوس بتمكنه أخيراً من قتل أخيه ، فأسرع إلى ساحل البحر ليقدم القربان لآلهة الأولمب . وهنا ، وفي أثناء تقديم الأضاحي ، طعنه إيجيستوس في ظهره طعنة قاتلة ، بنفس السيف ، الذي أعطاه له آتريوس ليقتل به ولده[١١٩] . أطلق ايجيستوس سراح ثييستوس ، وتسلم الأب والابن مقاليد الحكم في ميسين . أما مينيلاوس وأغاممنون ، ابنا آتريوس ، فقد اضطرا للهرب للنجاة بجلدهما . وقد عثرا على ملاذ لهما لدى تنداريوس ، ملك اسبارطة . وهناك تزوجا من ابنتيه - مينيلاوس من هيلين الجميلة كما أفروديت ، وأغاممنون من كليتمنسترة ، وبعد مرور بعض الوقت عاد أغاممنون إلى ميسين ، وقتل ثييستوس ، وأصبح يحكم حيث كان يحكم أبوه . أما مينيلاوس فقد أصبح ، بعد موت تنداريوس ، ملكاً على أسبارطة .

إيزاكوس وهسبيريا[١٢٠] :

كان إيزاكوس ابن بريام ، ملك طروادة ، وأخاً للبطل الطروادي العظيم

هكتور. ولد إيزاكوس على سفوح جبل إيدا الكثير الغابات، وقد أنجبته الحورية الحسناء الكسيرويا، ابنة غرانيكوس الاله النهري. . ولما كان إيزاكوس قد ترعرع في الجبال فلم يكن يحب المدينة. وكان يتجنب السكن في قصر والده المنيف. كان يحب أن يكون وحيداً في الجبال والغابات الظليلة، كان يحب رحابة السهول.

نادراً ماكان إيـزاكوس[121] يظهر في طروادة، وفي مجلس الطرواديين. وعلى الرغم من حياة الوحدة فلم يكن إيزاكوس فظاً ومتوحشاً، بل كان بشوشاً، ولم يكن قلبه عصياً على الشعور بالحب. فغالباً ماكان ابن بريام الشاب يلتقي بالحورية الحسناء هسبيريا في الغابات والحقول. وقد وقع في حبها، أما الحورية فكانت تختبيء حال رؤية إيزاكوس.

وفي ذات مرة عثر إيزاكوس على الحسناء هسبيريا على ضفة نهر سيبرين، في الوقت الذي كان فيه منهمكة بتجفيف شعرها الكثيف تحت أشعة الشمس. ولم تكد الحورية ترى الشاب حتى خافت، ولاذت بالفرار منه. لكن إيزاكوس انطلق يطاردها.

وبغتة لدغتها أفعى كانت مختبئة في العشب، وبقي سم أنياب الأفعى في الجرح الذي أحدثته اللدغة في قدم الحورية. وقعت هسبيريا على يدي إيزاكوس، الذي كان قد لحق بها، وصاح إيزاكوس، وهو يحتضن الميتة، وقد جن جنونه من الحزن:

- ياللمصيبة، ياللمصيبة! لكم أكره الآن هذه المطاردة. لم أكن أنتظر أن أدفع غالياً ثمن الفوز. كلانا قتلناك ياهسبيريا! الأفعى أصابتك بهذه اللدغة القاتلة. وكنت أنا سبب ذلك. ولسوف أكون أدهى من الأفعى إن لم أكفر عن موتك بموتي.

ألقى إيزاكوس بنفسه من على الصخرة الشاهقة في أمواج البحر العاتية، التي كانت تتكسر على الصخور بقوة. أشفقت ثيتيس على الشاب المسكين،

فاستقبلته بين الأمواج بحنان، وألبسته الريش حين غاب في لجة اليم. لم يمت ابن بريـام، كما كان يصبـو، بل خرج من المـاء طائراً، وطفا على سطح البحر. ولكنه مستاء أنه مضطر لأن يعيش رغماً عنه. ويحلق عالياً على أجنحته، التي نبتت للتو، ثم يرمي بنفسـه في البحـر من عل، لكن ريشـه يحميـه أثناء السقوط. ومن جديد يعـود إيـزاكـوس فيرمي بنفسـه في البحر مرة إثر أخرى، إنه يريد أن يموت في لجة اليم. لكن الموت لا يأتيـه. إنـه يغـوص فقـط في أمـواج البحـر. ويصـاب جسد إيـزاكـوس بالضمور، وأصبحت ساقاه جافتين ونحيلتين، واستطال عنقه، وتحول إلى ذكر بط بحري[١٢٢].

هـــوامـــش

١ ـ عن ملحمة هسيود «الأعمال والأيام». يقدم هسيود تصورات الاغريق المعاصرين له (القرنان الثامن ـ السابع ق.م) عن فساد الأجيال المتلاحقة شيئاً فشيئاً. في البداية كان الأبطال عند اليونانيين هم أرواح الموتى، التي تؤثر على حياة الأحياء. ولذا فإن عبادة الأبطال كانت مرتبطة بقبورهم، وكانوا يقدمون لهم القرابين مساءاً وليلاً، وتنحر الحيوانات ذات اللون الأسود، ويراق دمها في حفرة القبر. وكان الأبطال يعتبرون حماةً للناس ومؤسسين للمدن والدول، ويردون الجائحات، ويساعدون في المعارك، وينقذون من النوازل، كان هسيود أول من سمى الأبطال أشباه آلهة. وكان الأبطال وسطاء بين الآلهة والناس، ومن صلبهم تحدر الكثير من الأسر النبيلة في اليونان وروما.

٢ ـ في هذه الأسطورة يدور الحديث حول الطوفان، وكيف نجا دوكاليون وبيرا في صندوق كبير. إن قصة الطوفان كانت موجودة في بابل القديمة أيضاً: إنها قصة أوتنابيشتيم، التي استعارها اليهود القدماء أيضاً ـ طوفان نوح كما رد في التوراة.

٣ ـ منطقة في وسط البيليبونيز.

٤ ـ نروي قصة تقييد بروميثيوس إلى الصخرة بأمر زوس، كما وردت في تراجيديا اسخيلوس «بروميثيوس مقيداً». وبروميثيوس (تعني باليونانية «النبي») هو مارد، متمرد على الآلهة، حامي الناس، وهو الذي حصل لهم على النار من السماء، والذي علمهم المهن والحرف المختلفة. وقد عاقبة زوس بقسوة بسبب عصيانه.

٥ ـ Gorgone اسم كان يطلق على الأخوات ميدوزا، أورياله، وسيتنو. /المترجم.

٦ ـ عفاريت مجنحة، لها جسم أسد ورأس نسر تقوم على حراسة الذهب.

٧ ـ قبيلة خرافية من الرعاة ـ الفرسان بعين واحدة، ولهم وبر كث، كانوا ينتزعون الذهب من الغريث.

٨ ـ بهذا تنتهي تراجيديا اسخيلوس «بروميثيوس مقيداً».

٩ ـ باندورا تعني باليونانية: «التي أعطيت كل الهبات».

١٠ ـ القصة مأخوذة عن ملحمة أوفيديوس «التحولات». وإياكوس هو مؤسس أسرة الايـاكوس، وهو والد بيليـاس وتيلامون، وجدّ آخيل. وحسب الأساطير المتأخرة فإن إياكوس، بوزيدون وأبولون قد بنوا أسوار طروادة. وحين أصبحت القلعة جاهزة زحفت الأفـاعي على جدرانهـا، لكن لم تمر منهـا سوى تلك التي زحفت عبر الجزء الذي بناه إيـاكوس الفـاني. وقد اعتبر ذلك إشارة إلى أن أخلاف إيـاكوس سيسيطرون على طروادة. وفيها بعد صعد أسوارهـا تيلامـون (ابن اياكوس) ونيوبتوليوم (ابن آخيل). إياكوس يعني القاضي العادل.

١١ ـ من الكلمة الاغـريقية Murmêdês وتعني النمل. إن الايمان بأن الناس يمكن أن يخلقوا من الحيوانات، يميز الدين في العصور البدائية.

١٢ ـ القصة بشكل عام مقتبسة من تراجيديا اسخيلوس «المتوسلات».

١٣ ـ الأسطورة مقتبسة من ملحمة أوفيدوس «التحولات». إن بيرسيوس واحد من أكثر أبطال اليونان شهرة، إن كل شخصيات هذه الأسطورة تقريباً قد نقلوا فيها بعد إلى السماء بصفة أبراج بيرسيوس، أندروميد، وكـاسيوبيه (أم أندروميد) وسيفيوس (والد أندروميد) والـوحش البحـري، الـذي قدمته أندروميد ضحية له. إن هذه الأسطورة قديمة جداً، وهي على الأرجح ميسينيه (فقد اعتبر بيرسيوس مؤسس ميسين).

١٤ ـ إحدى جزر السيكلاد في بحر إيجه.

١٥ ـ بيغـاس Pégase وكـريزاور ابنـا بوزيدون والغورغون ميدوزا، ولدا من جذع الغورغونة، التي قتلهـا بيرسيـوس. صعـد بيغـاس إلى الأولب، حيث كان يحمـل الـرعود والبروق لزوس. عن بيغـاس انظـر أيضاً قصة بيليريغون، يلقب بيغاس بحصان ربات الإلهام، لأنه حين راح جبل هيليكون يتراقص فرحاً بغناء ربات الإلهام فيرتفع نحو السماء، رفسه بنـاء على نصيحـة بوزيـدون بحـافـره، فأوقف ارتفاعه وانبجس من تحت الأرض ينبوع هيبوكرين ـ ينبوع آلهات الإلهام، القادرات على إلهام الشعراء.

١٦ ـ يرى هوميروس وغيره من الشعراء أن الأثيوبيين كانوا يقطنون أقصى أطراف الأرض ـ في غربها وشرقها. وبمعنى أكثر دقة فقد كان اسم أثيوبيا يطلق على كل المنطقة الواقعة في أفريقيا إلى الجنوب من مصر.

١٧ ـ الاله الذي عبد في مصر وليبيا، وفيها بعد وحده الاغريق والرومان مع زوس ـ جوبيتر.

١٨ ـ إحدى أقدم المدن اليونانية في أرغوليد.

١٩ ـ عن ملحمة هوميروس «الالياذة» وملحمة أوفيديوس «البطلات».

٢٠ ـ لهذا أصبحت عبارة «جهدسيزيف» قولاً مأثوراً للدلالة على العمل الذي لانهاية له، ولا جدوى منه.

٢١ ـ الاقتباس عن «إلياذة» هوميروس وقصائد بيندار، في البداية كان بيليروفون إله الشمس: فهو يندفع في السماء على جواد مجنح، ويصيب بسهامه شمير، الوحش الأسطوري، الذي يجسد العاصفة وقوى الأرض البركانية. وفي نفس الوقت فإن لأسطورة بيليروفون سمات الحكاية الشعبية العريقة. كان البطل يعبد في كورانثوس. ففي معبد بوزيدون كان يوجد تمثال لبيليروفون والحصان بيغاس.

٢٢ ـ منطقة وشبه جزيرة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى.

٢٣ ـ الجبل الذي كانت تقع عليه قلعة (اكروبول) كورنث.

٢٤ ـ كما فجر بيغاس ينبوع ربات الإلهام هيبوكرين على هيليكون، انبجس من تحت حوافره أيضاً ينبوع برينيه قرب كورنث وهيبوكرين قرب تريزن. وكلها كانت تعتبر ينابيع ربات الإلهام، وتتمتع بالقدرة على إلهام الشعراء.

٢٥ ـ قبيلة تعيش في شهالي ليثيا.

٢٦ ـ شعب خرافي من النساء المحاربات. الماهرات في رمي القوس يكرهن الرجال، يعشن في سيثيا أو آسيا الصغرى، ومن أجل سهولة الرمي من القوس وشد الوتر عمدن إلى إحراق نهودهن اليسرى. وكن يعاشرن رجال القبيلة المجاورة مرة واحدة في العام من أجل استمرار النسل، لكنهن لم يكن يربين سوى البنات، أما الصبيان فكن يرسلنهم إلى آبائهم.

٢٧ ـ عن ملحمة هوميروس «الأوديسة». يظهر تانتال متطرفاً وطائشاً، فهو يقتل ولده فقط من أجل أن يتأكد ما إذا كان آلهة الأولب قادرين على كل شيء. وعلى مايبدو أن هذه

الأسطورة متأثرة برواسب تلك العصور القديمة حين كان الاغريق يقدمون القرابين البشرية . وقد زاد ابنه بيلوبس وحفيداه أتريوس وثييستوس من جرائم هذه العائلة فحاقت بهم أيضاً لعنة الآلهة .

٢٨ ـ ومن هنا تعبير «عذاب تانتال» ، أي العذاب الذي لايطاق من إدراك قرب الهدف المنشود واستحالة بلوغه .

٢٩ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات» وأشعار بيندار. كان بيلوبس واحداً من أقوى حكام بيلوبونيز، وقد أعطى هذه الدولة أسمه . وتعكس الأسطورة العادة القديمة باختطاف الخطيبة والامتحانات التي يضعها أبوها . على الأواني الاغريقية يطالعنا بيلوبس راكباً عربة مع هيبوداميا .

٣٠ ـ مدينة إلى الشمال الغربي من بيلوبونيز في وادي نهر الفيوس (Alphée) .

٣١ ـ برزخ ايستام أو كورنث يصل بيلوبونيز باليونان الوسطى .

٣٢ ـ عن ملحمة موسهوس (شاعر وجداني من القرن الثالث ق . م . من مدينة ساراكوسا) «الحياة الرغيدة» . انعكست في الأسطورة عن اختطاف أوروبا العادة الأقدم في الزواج عن طريق خطف العروس . فيما بعد أصبحت أوروبا زوجة أستير يون ملك كريت ، الذي قام بتربية أبناء زوس وورثهم عرشه (بعده أصبح مينوس هو حاكم كريت) . وبعد موتهما اصبح مينوس ورادامانت، ابنا زوس وأوروبا ، قاضيين للموتى في العالم السفلي ، يفرضان العقوبة على أرواح المجرمين .

٣٣ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات» . كانت الأسطورة عن قدموس مكرسة لتفسير الاسم ماقبل اليوناني لقلعة طيبة ـ قدموس . . ويبدو أن أسطورة رحلات قدموس تعكس التنقلات القبلية في الماضي وصلات مدينةطيبة بفينيقيا : إن قدموس نفسه يتحدر من مدينة صور. ثم أن أخاه فونيكس مؤسس المملكة الفينيقية . وينسب إلى قدموس أيضاً إدخال الابجدية الفينيقية إلى اليونان . إن تحول قدموس وزوجته إلى حيتين ونشوء البشر من أسنان التنين ـ رواسب المعتقدات البدائية .

٣٤ ـ فينيقيا ـ بلاد على الساحل الشرقي للبحر المتوسط . وكيليليا في جنوبي آسيا الصغرى .

٣٥ ـ نهر في بيوتيا ينبع من السفح الشمالي لجبال البارناس ويصب في بحيرة كوبا .

٣٦ ـ بعيني بومة ـ أحد القاب أثينا ، التي كانت البومة إحدى صفاتها ، والبومة هي رمز الحكمة .

٣٧ ـ قلد قدموس هارمونيا بمناسبة زفافها، العقد الذي أهدته إياه أفروديت. وفيما بعد أصبح هذا العقد مصدر شقاء لكل من يحوزه.

٣٨ ـ إن قصة ابنتي قدموس سيميله وإينو على علاقة بمجموعة القصص عن ديونيزوس.

٣٩ ـ اليريا: بلاد تقع على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي.

٤٠ ـ اسم نهر في بيوتيا الجنوبية.

٤١ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٤٢ ـ اختلفت الروايات في عدد أبناء نيوبه: فهوميروس يقول أنه كان لديها ستة أولاد وست بنات. ويفريبيدس ـ سبعة وسبع، وسابفو ـ تسعة وتسع، وبيندار ـ عشرة وعشر.

٤٣ ـ تختلف روايات الكتاب القدامى حول مكان موت أبناء نيوبه: فبينما يرى هوميروس أنهم قضوا في بيت والدتهم، يرى أبوللودور أن الأبناء قتلوا أثناء الصيد على جبل كيثيرون، والبنات في القصر في طيبة. وقد كرس كل من اسخيلوس وسوفوكليس تراجيديا لقصة نيوبه. كما تناول النحاتون القدامى هذا الموضوع مرات عدة. ففي منتزه القيصر بولص في ضواحي لينينغراد/ بطرسبورغ حالياً ـ المترجم/ يوجد اثنا عشر ممراً تنتهي بتماثيل برونزية للنبوبيد (أولاد نيوبه)، وهي نسخة عن التماثيل الأصلية القديمة.

٤٤ ـ إن الأساطير عن هرقل مقتبسة عن تراجيديا «نساء تراخيس» لسوفوكل، وتراجيديا يوربيدس «هرقل» وعن «وصف الايلاذا» لباخساني. إن هرقل (هركوليس لدى الرومان) من أوسع الأبطال الشعبيين شهرة في اليونان. وقد اشتق اسمه من مطاردة هيرا له (إنه يعني «مجترح المآثر بسبب مطاردة هيرا»)، أما اسمه الحقيقي فهو السيس، أي «القوي». يوجد في قبة السماء برج هرقل إلى جانب برج هيدرا.

٤٥ ـ إحدى أقدم مدن اليونان كانت تقع في أرغوليد (منطقة في شمالي شرق البيلوبونيز).

٤٦ ـ قبيلة كانت تقطن أكرانايا (منطقة في غرب اليونان الأوسط).

٤٧ ـ منطقة في غرب البيلوبونيز.

٤٨ ـ مدينة في أرغوليد (في شمالي شرق بيليوبونيز).

٤٩ ـ حسب رواية أخرى فإن الألعاب النيمية قد أسسها الأبطال السبعة، الذين قاموا بغزو طيبة. منذ القرن السادس ق.م. أصبحت أعياداً وطنية شاملة على شرف زوس. وكانت تجري مرة كل ثلاث سنوات، تارة صيفاً، وأخرى شتاء. وخلال هذه الألعاب كان يجب أن يسود السلام التام.

٥٠ ـ مدينة في أرغوليد على ضفاف بحيرة تحمل، نفس الاسم. (جنوب غرب أرغوس).

٥١ ـ البحر الأسود.

٥٢ ـ الدانوب حالياً. لم يكن الاغريق يعرفون منابع ايستور، فكانوا يعتقدون أنه ينبع إما من أقصى الشمال، أو من أقصى الغرب.

٥٣ ـ جبل ومدينة تحمل الاسم نفسه في أركاديا في البيلوبونيز، وهناك تقع مدينة بسوفيس أيضاً.

٥٤ ـ منطقة في شمال غرب البيلوبونيز.

٥٥ ـ من أكثر الألعاب اليونانية القومية اهمية، كانت تجري مرة كل أربع سنوات، وتكرس لزوس الأولبي. وفي أثناء الألعاب كان السلام يسود كل أرجاء اليونان. واعتمرت مبدأ للتقويم الاغريقي بدءاً من الأولمبياد الأولى التي جرت عام ٧٧٦ ق.م. واستمرت هذه الألعاب حتى عام ٣٩٤ م. حين ألغاها الامبراطور تيودوس لأنها تتناقض مع المسيحية. كان الاحتفال بهذه الألعاب يجري في أول مرة يصبح فيها القمر بدراً بعد الانقلاب الشمسي الصيفي (٢٢ حزيران ـ يونيو)، وتستمر خمسة أيام، وفي الألعاب كانت تجري المباريات في الجري والمصارعة والمصارعة الحرة ورمي الرمح والقرص والسباق في المركبات. ولم يكن يسمح بالاشتراك فيها إلا لليونانيين الأحرار، الذين لم يرتكبوا جريمة. وكان الفائزون يحصلون على لقب الأولمبيين، ويكافأون بأكاليل الزيتون المقدس وسعف النخيل.

٥٦ ـ شعب خرافي يرى الاغريق أنه سكن تراقيا.

٥٧ ـ الاقتباس عن تراجيديا أوريبيدس «السيست».

٥٨ ـ مدينة في تساليا (مقاطعة في شرق اليونان الشمالية).

٥٩ ـ إحدى جزر سيكلاد في بحر إيجه، اشتهرت بالرخام الباروسي المعروف.

٦٠ ـ بلاد في شمال غرب آسيا الصغرى، أهم مدنها بيرغام.

٦١ ـ أعمدة هرقل التسمية القديمة لصخرتين على الضفتين المتقابلتين لمضيق جبل طارق. (اسمهما الآن جبل طارق وسيوتا) وبهما حدد هرقل نهاية رحلته البرية. ومن هنا فان القول «وصل إلى أعمدة هرقل» يعني «الوصول إلى النهاية».

٦٢ ـ أو تسير بير.

٦٣ ـ رأس في الطرف الجنوبي للبيلوبونيز، وكان الاغريق يعتقدون أن أحد المداخل المؤدية إلى العالم السفلي يقع بالقرب منه.

٦٤ ـ نهر خرافي.

٦٥ ـ نهر في ايتوليا وهي مقاطعة في غرب اليونان الأوسط.

٦٦ ـ مدينة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى.

٦٧ ـ مدينة في بيوتيا (مقاطعة في اليونان الأوسط) اشتهرت كمكان تجمعت فيه السفن الذاهبة لحرب طروادة.

٦٨ ـ حملة الاراغونيين انظر الجزء الثاني فصل «الارغونيون».

٦٩ ـ أحد جزر سبوراد لدى الساحل الغربي لآسيا الصغرى. مسقط رأس الطبيب المشهور بقراط

٧٠ ـ من تراجيديا سوفوكل «نساء تراخيس».

٧١ ـ مدينة في ابيريا (مقاطعة في غرب اليونان الشمالي) اشتهرت في القديم بمعبد زوس.

٧٢ ـ ديكه (ديكا) ربة الحقيقة وتشخيص العدالة. كانت تصور في التراجيديات منتقمة صارمة وهي تغمد سيفها في قلوب الظالمين.

٧٣ ـ إيثا ـ سلسلة جبلية في تساليا (مقاطعة في شرق اليونان الشمالي). وفي هذه الجبال يقع ممر ترموبيل الشهير، حيث قام اليونانيون في عام ٤٨٠ ق.م. بقطع الطريق على الفرس. وكان الاغريق بقيادة ليونيداس ملك اسبارطة.

٧٤ ـ فيلوكتيت. ملك تساليا وصديق هرقل. وقد اشترك فيلوكتيت في الحملة الطروادية، وهو الذي صرع باريس.

٧٥ ـ وفي رواية أخرى أن ربة النصر نيكه هي التي كانت على متن العربة.

٧٦ ـ عن تراجيديا يوربيدس «الهرقليون». والهرقليون هم ذرية هرقل وابنه هيلوس وهم كثر، وقد اقتحموا البيلوبونيز لاستعادة أملاك أبيهم. وقصة الهرقليين تعكس واقعة تاريخية ـ استيلاء الدوريين على البيلوبونيز.

٧٧ ـ سيكروبس Cecrops. ابن غايا، ربة الأرض الاتيكية القديمة. كان يصور بجذع أفعى لأن العادة كانت تقتضي تصوير الآلهة الذين تنجبهم الأرض على شكل أفاعي. كان سيركوبس يعتبر أول ملك اتيكي. ومن هنا فقد اطلق اسمه على الأوكروبول وأتيكا، كما أن سكان أثينا عرفوا باسم السيكروبيين.

اريختـونيـوس Erichtonions ملك أثينـا الخرافي، ابن هيباتستوس وغايا. ينسب إليه إدخـال عبـادة أثينـا إلى أتيكا، وأعياد أثينا وبناء معبد لأثينا ولبوزيدون. وفي البداية كان يوحـد مع ايـريختـوس Erichthee. وفي نهاية القرن الخامس ق.م. بدأ اسم ايريختونيوس يرد في مؤلفات يوربيدس كبطل مستقل.

٧٨ ـ بنات سيكروبس (أغلوروس، هيرسيه وباندوروس) كن ربات الندى والحاميات من الجفاف.

٧٩ ـ بالينا ـ أحد الرؤوس الثلاثة (الغربي) لشبه جزيرة هلكيد في مكدونيا.

٨٠ ـ وفي رواية أخرى أن بنات سيكروبس ماان رأين جسم الطفل الأفعواني (أو الطفل الذي تلتف عليـه الأفـاعي) حتى رمين بأنفسهن فزعـاً من على صخـرة الاكـروبـول في الهوة السحيقة فهلكن (وفي رواية أخرى أن الثعبان خنقهن).

٨١ ـ عيـد اتيكي على شرف أثينا بالاس (حـامية المدينة). كان في البداية عيداً أثينيا حصراً. وفيـها بعد جعله ثيسيـوس عيـداً وطنيـاً شامـلاً. وكـان يحتفـل به سنـويـاً في شهـر آب ـ اغسطس ـ ومـرة كل أربـع سنـوات كانت تجري الاحتفالات المهيبة بما يسمى بأعياد أثينا الكـبرى. وكـان الاحتفـال يبـدأ ليـلاً بجـري احتفـالي مع المشـاعل. وفيه كانت تجري مسـابقـات الخيـول (العـربـات) ومبـاريات الجمباز. وقد أدخل بيسيستراتس المباريات المـوسيقيـة. ومنـذ عهـد بيركليس راح يتبـارى المغنـون والمـوسيقيـون في أوريون. وكان الفـائـزون يحصلون على أكـاليـل الـزيتـون والجرار الفخارية ذات القبضتين وفيها زيت الزيتون من الشجرة المقدسة (ومن هنا العادة الراهنة في تقليد الفائزين بالكؤوس). وثمة في متحف الارميتاج جرة من هذا النوع عثر عليها لدى التنقيب عند سواحل البحر الأسود الشـماليـة. وفي يوم ميـلاد أثينـا كانت تنظم المسيرات الاحتفالية من موقع أثينا سيرامبك إلى معبـد أثينـا على الاكـروبـول. وكـان المشـاركـون يقـدمون للربة البيبلوس (الثياب الخارجية)، الذي أعادت نساء أثينا حياكته. كان يوضع على شكل شراع على السفينة الأثنيـة المقـدسة التي كانت تتحرك على عجلات حتى المعبد، وهناك كانوا يلبسون الربة هذا الثوب. وكان الاحتفال ينتهي بتقديم القرابين وبمأدبة عامة.

٨٢ ـ عن ملحمة اوفيديوس «التحولات».

٨٣ ـ يرى هسيود أن ايوس أنجبت فائيتون من سيغالوس.

٨٤ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

٨٥ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات». إن قصة ديدال وايكاريوس تدل على أن الناس بدأوا منذ العهود الغابرة يفكرون بكيفية الانتقال ليس عبر البر والبحر فقط، بل وبالجو. ومما يلفت النظر أن إنجاز ديدال الأعظم لم يعتبر تماثيله والمباني التي شيدها، بل الأجنحة التي صنع. ظهرت اسطورة ديدال في أثينا ـ أهم مركز للتجارة، والحرف والعلوم والفنون في اليونان القديم.

٨٦ ـ جزء من بحر إيجه بين جزيرتي ساموس وباروس وبين ساحل آسيا الصغرى.

٨٧ ـ عن سيرة حياة بلوتارك، «ثيسيوس». كان ثيسيوس يلقى كل الاحترام في أتيكا كبطل ومؤسس لدولة أثينا. وإليه ينسب توحيد أتيكا وتأسيس الألعاب الباناثينية. وقد حاول الارثينيون تبجيل وتعظيم بطلهم الكبير في مواجهة هرقل، البطل الدوري. ومن هنا فإن الكثير من مآثر ثيسيوس هي نسخة عن مآثر هرقل، ومع ذلك فإنه لم يبلغ أبداً تلك الشهرة التي كان هرقل يتمتع بها كبطل قومي للاغريق.

٨٨ ـ مدينة على الساحل الشمالي الغربي لأرغولد.

٨٩ ـ عيد اغريقي يأتي من حيث الأهمية بعد الألعاب الأولمبية، كان يجري مرة كل عامين على شرف بوزيدون في استم (برزخ كورنيث). وفي رواية أخرى أن هذه الألعاب تعود إلى الألعاب الجنائزية على شرف ميليكريت ابن اينو. كانت الألعاب تشمل مسابقات الجمباز، سباق الخيول والمباريات الموسيقية. وكان الفائز يكافأ بأكليل من الكرفس أو الصنوبر مع سعف النخيل. وكان السلام الذي يعلن أثناء هذه الألعاب لايحترم بصرامة كما في الألعاب الأولمبية.

٩٠ ـ مدينة في استم غير بعيد عن كورنيث.

٩١ ـ مقاطعة في شمال استم تحدها من الشرق أتيكا. .

٩٢ ـ كان الاغريق يعتقدون أن الدم المراق يدنس الانسان ولذا فإن على كل قاتل أن يقوم بطقوس تطهير خاصة عند مذبح أحد الآلهة.

٩٣ ـ أحفاد البطل فيتالوس، الذي أسس في ايلفيسين ـ عبادة دينية ذات طقوس سرية على شرف الربة ديميترا.

٩٤ ـ أي الرحيم.

٩٥ ـ ومن هنا قولهم «خيط آريان» «الخيط الدليل».

٩٦ ـ في رواية أن ديونيزوس انتزع آريان من ثيسيوس عنوة، وجعلها زوجته، وفي رواية أخرى أن ثيسيوس غادر آريان بينما كانت نائمة، فجاء ديونيزوس، وعثر عليها.

٩٧ ـ انظر ميلياغروس.

٩٨ ـ شعب خرافي.

٩٩ ـ بيليوس بطل تسالي، ابن إياكوس، ملك إيجينا، زوج ثيتس، والد آخيل. نسطور ملك بيليوس، ابن نيليوس. اشترك في معركة اللابثيين ضد القنطورات وفي حملة الارغونيين وصيد كاليدونيا. عاش حتى أدركته الشيخوخة، وعند اندلاع حرب طروادة كان يحكم الجيل الثالث من البشر. اشترك مع أولاده في الحرب ضد طروادة. تميز بين أبطال اليونان بالفصاحة والحكمة.

١٠٠ ـ عن ملحمة هوميروس «الالياذة». كان ميلياغروس بدوره قد اشترك في حملة الارغونيين.

١٠١ ـ تروي الأساطير المتأخرة (انظر «تحولات» أوفيديوس) أن الموبرات، ربات المصير، جئن إلى الثيا، أم ميلياغروس، عند ولادته، وتنبأت إحداهن بأن ميلياغروس سيموت بمجرد أن تأتي النار على الخشبة الموجودة في الموقد. وللحال أطفأت الثيا الخشبة وخبأتها في حرز حريز. وحين قتل ميلياغروس أخاها في المعركة عمدت ألثيا في ثورة غضبها إلى إحراق الخشبة، فمات ميلياغروس. وبعد موته شنقت ألثيا وكلويباطرة نفسهما، أما شقيقاته الحزينات فقد بقين يندبنه دون كلل، لدرجة أن أرتيميس حولتهن إلى غرغرات.

١٠٢ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

١٠٣ ـ إحدى جزر السيكلاد في بحر ايجه، بين الأطراف الجنوبية لأتيكا وجزيرة اثبيا.

١٠٤ ـ مدينة في ماليد (مقاطعة في شرق اليونان الأوسط عند خليج مالاي) يروى أن هرقل هو الذي أسسها.

١٠٥ ـ قبيلة اسطورية.

١٠٦ ـ وفي رواية أخرى أن سييكس والكيونة كانا مغرورين بحبهما المتبادل لدرجة أنهما راحا يسميان نفسهما زوس وهيرا. وعقابا لهما على ذلك حولهما زوس إلى طائرين: الكيونة ـ إلى نورس بحري وسييكس إلى قرلي. إن مسخ الناس إلى طيور موضوع يصادفنا كثيراً في الأساطير القديمة.

١٠٧ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

١٠٨ ـ كان التراقيون من عبدة ديونيزوس وربات الإلهام المتحمسين، وكان أورفيوس يمثل عندهم فن الموسيقى الوجداني. وكانت قوة موهبته الغنائة كبيرة لدرجة انها كانت تحرك الأشجار والصخور وتروض الوحوش الكاسرة. وقد اصبح اسم اورفيوس مرادفاً للمغني والموسيقى الموهوب.

١٠٩ ـ وفي رواية أخرى أن أورفيوس لقي حتفه على يد ديونيزوس، الذي غضب من المغني لأنه انضوى تحت لواء أبولون، وحط من قدر عبادة ديونيزوس (الأسطورة تقوم على المنافسة بين العبادتين). إن قصة موت أورفيوس تشبه حكاية لينوس، الذي كان يدعى أنه سلف أورفيوس واستاذه تارة، وشقيقه تارة أخرى. ولينوس هو مغن خرافي وموسيقي بارع عاش في كهف في جبل ربات الشعر والموسيقى. وقد تبارى بالموسيقى مع أبولون الذي قتله. (وحسب رواية متأخرة فإن لينوس راح يعلم هرقل العزف على القيثارة، وحين عاقب لينوس تلميذه هرقل ضربه الأخير بالقيثارة على رأسه فقتله).

١١٠ ـ نهر في تراقيا (ماريتسا حالياً).

١١١ ـ جزيرة في بحر إيجة عند سواحل ميزيا (شمال غرب آسيا الصغرى). لسبوس ـ جزيرة في الأرخبيل اليوناني في بحر إيجه يسميها الأتراك مدلو.

١١٢ ـ برج ليرا، مع نجم فيغا من الحجم الأول.

١١٣ ـ عن ملحمة اوفيديوس «التحولات»، إن هيباسانت إله يرمز إلى الطبيعة المزدهرة والمحتضرة. إن تحول الناس إلى نباتات موضوع مألوف في القديم (انظر الأساطير عن دفنه، أدونيس، نرسيس إلخ) كان مركز عبادة هياسانت مدينة اميكالا ـ حيث كانت تجري كل عام (في تموز ـ يوليو) الاحتفالات التي تستمر ثلاثة أيام، انها أعياد الهياسانت المكرسة لأبولون وهيباسانت. في اليوم الأول كانت تقدم قرابين الحزن، وفي اليومين الأخيرين كان يجري الاحتفال المرح، وتقام المباريات على شرف أبولون.

١١٤ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

١١٥ ـ ديوسكور (أي ابنا زوس) عرفا أيضاً باسم تنداريد أي ابنا تنداريوس. هناك ثلاث مآثر معروفة اجترحها الديسكور: فقد قاما بحملة على أتيكا وحررا شقيقتهما هيلين، التي اختطفها تيسيوس، كما اشتركا في حملة الارغونيين، وصارعا ايداس ولنسيوس، ولدي أفاريوس. وحسب بعض الروايات فإن زوس جعلهما برج التوأم، مكافأة لهما على حبهما

الأخـوي (أونجمـة الصبح والمسـاء). انتشـرت عبـادة ديـوسكـور في مختلف مقاطعات اليونان. وكانا يعتبران حاميين لحسن الضيافة وتربية الخيول والملاحة. وفي اسبارطة كانا حاميـين للدولـة وراعيـين للجمباز. وقد انتشرت هذه العبادة بين القبائل الايتالية. ففي رومـا كان يوجد معبد الديوسكور. ولدى قصر الكيرينال في روما يوجد تمثالان كبيران لهما وقد أصبح اسمهما رمزاً للصداقة الأخوية، التي لاتنفصم عراها.

١١٦ ـ بينما كان أبولـون يخطب ماربيسا عمد إيداس إلى حملـها في عربـة مجنحـة أهـداه إياها بوزيدون. وقد طاردهما أبولون ولحق بهما في ميسين. وقد تجاسر إيداس القوي على قتال الاله، لكن زوس أوقفهما عن العراك، وأمر ماربيسا بأن تختار لنفسها الزوج الذي تريد. وقـد اختـارت إيداس لأنها خافت أن يتركها أبولون. وأصبحت كليوباطرة، ابنة ماربيسا وإيداس زوجة لميليا غروس.

١١٧ ـ تعبر الاسطـورة عن فكـرة دفـع الأبناء ثمن أوزار آبائهم. ومن قصة آتريوس وثييستوس الدموية اقتبس سوفوكل، يوربيدس وسينيكا مواضيع لتراجيدياتهم.

١١٨ ـ انظر اسطورة بيلوبس.

١١٩ ـ وفي رواية أخرى (هوميروس) أن آتريوس ظل يحكم في البيلوبونيز بسلام إلى أن وافته المنية.

١٢٠ ـ عن ملحمة أوفيديوس «التحولات».

١٢١ ـ كان جده قد علمه فن تفسير الأحلام، وقد تنبأ أن الابن (باريس) الذي ستنجبه هيكوب لبريام سيسبب دمار طروادة. ولذا فقد نصح برمي الطفل حال ولادته، وتركه وشأنه.

١٢٢ ـ إن تحول النـاس إلى طيـور موضـوع منتشـر في الأسـاطـير القـديمة (انظر الأساطير عن ميلياغروس، سييكس والكيونة، أيدون وفيلوميل).

الفهـــرس




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاولت الميثولوجيا اليونانية والأسطورة الإغريقية، تفسير الكون والحياة، ومعرفة أسرارهما وأسرار الإنسان نفسه، وتطورت إلى ملاحم عن الأبطال والآلهة التي تحميهم.

يتحدث هذا الكتاب عن أصل العالم والآلهة بنظر الميثولوجيا والأسطورة اليونانية، عن زوس وبوزيدون وهير وأبولون وأرتيميس وأثينا وهرمس وأفروديت وديميترا وعشرات غيرهم. كما يتحدث عن دوكاليون وبيرا وبرميثيوس وباندورا وإياكوس وسيزيف وأوربا وقدموس وإيدون وهرقل وميديا وجازون وعشرات غيرهم أيضاً.

إنه كتاب ضروري لكل من يهتم بتاريخ الثقافة والأدب والفن، ومنهل غني للمبدعين في كل مكان.

الناشر

السعر: ١٨٥ ل.س